أحمد قريع
أبو علاء

على دروب الفتح

(٢)

أصل الحكاية

فلسطين

جامعة القدس
معهد القدس للدراسات والأبحاث

أحمد قريع
أبو علاء

على دروب الفتح

(٢)

أصل الحكاية

جامعة القدس
معهد القدس للدراسات والأبحاث

أصل الحكاية،

الكتاب الثاني من سلسـلة إصدارات "**على دروب الفتح**".

أحمد قريع (أبوعلاء) / مؤلف من فلسـطين.

الطبعـة الأولى، 1443 هـ - 2022 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنـع طبـع هـذا الكتـاب أو جـزء منـه بـكل طـرق الطبـع والتصويـر والنقـل والترجمـة والتسـجيل المـرئي والمسـموع والحاسـوبي وغيرهـا مـن الحقـوق إلا بـإذن خطـي مـن معهـد القـدس للدراسـات والأبحـاث / جامعـة القـدس.

القدس ، فلسطين

معهد القدس للدراسات والأبحاث

جامعة القدس

صندوق بريد: 51000

تلفاكس: 00972-02-2790666 .

الموقع الالكتروني: https://isr.alquds.edu

البريد الالكتروني: isr@alquds.edu

الرقم المعياري: **ISBN 978-9950-364-36-3**

جامعة القدس
معهد القدس للدراسات والأبحاث

ISBN 978-9950-364-36-3

9 789950 364363

الفهرس

تمهيد ٥

فتح... بداية وطلقة وثورة شعب!! ١١

ظروف نشأة « فتح » ١٥

تجارب العمل العسكريّ قبل التّأسيس ١٧

الإرهاصات الأولى - البدايات / أنوية فتح الأولى ٢١

ولادة «فتح» ٢٥

كوادر حركة فتح في قطاع غزّة ٣٥

كوادر حركة فتح في مصر ٤١

حركة فتح في أوروبا ٤٣

منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، «التّأسيس والتّمثيل» ٤٧

الممثّل الشّرعيّ والوحيد للشّعب الفلسطينيّ ٤٧

البداية ٤٩

المؤتمر الوطنيّ الفلسطينيّ الأوّل ٥٥

جدليّة علاقة فتح بمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة ٥٩

الإطار السّياسيّ الأوّل لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة ٦١

المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ ٦١

الأردنّ أرض الرّباط، وشعبه ذو الأصل والمنبت الواحد ٦٧

عيلبون - « البداية- الانطلاقة » - الصّوت الفتحاويّ الفدائيّ ٧٩

احتلال عيلبون ٨٣

لماذا عمليّة عيلبون؟ ٨٥

البلاغ العسكريّ رقم (١) الصادر عن القيادة العامّة لقوّات العاصفة ٩٧
بلاغ عسكريّ رقم (٢)..... ٩٩
إعلام حركة فتح « في السّنوات الأوّلى للانطلاقة وحتّى نهاية عام ١٩٦٩ » ١٠١
« فلسطيننا نداء الحياة » ، مشعل إعلام فتح الأوّل ١٠٣
معركة الكرامة... النّصر الكبير ١٠٩
الأسباب المعلنة للعدوّان..... ١١١
المعركة ١١٧
نتائج المعركة..... ١٢٣
ماليّة حركة « فتح »..... ١٢٧
الأردنّ والعمل الفدائيّ..... ١٣٣
القواعد العسكريّة لحركة فتح في الأردنّ ١٤١
الجبهة الأردنيّة المميّزة..... ١٤٣
نفوذ المقاومة نقيض لنفوذ السّلطة الأردنية الرسمية..... ١٤٩
مقدّمات ما قبل أيلول..... ١٥٧
أيّلول الأسود على الطّريق ١٦٥
وفاة الرّئيس جمال عبد النّاصر..... ١٨٥
الطّريق إلى لبنان يمرّ بأيلول ١٨٧
قوّات فتح الأولى في لبنان..... ١٩٧
التّمرّد والانشقاق في حركة « فتح » ٢٠١
تّمرّد أبو يوسف الكايد عام ١٩٧٢..... ٢٠٥
صُـوَر..... ٢٠٧

تمهيـــد

في الجـزء الثاني من سلسـلة الإصـدارات المعنونـة باسـم «على دروب الفتح» اسـمينا هـذا الجـزء، وهـو الكتـاب الثـاني، «أصـل الحكايـة» الطويلـة الـتي نحـن بصددهـا، وهي حكايـة تكـون ونشـأة وتطـور الحركـة (حركـة فتـح) التي شـقت درب الكفـاح المسـلح، وأطلقـت الثـورة الفلسـطينية المعاصرة، وأحيـت الذاكرة الجمعيـة، واعادت بعـث الهويـة، وقـادت الحركة الوطنية للشـعب الفلسـطيني على مـدى نصـف قرن، بـكل جدارة واسـتحقاق، وهي ما تـزال الحركـة القائدة، التي تحظـى بهـذه الصفـة دون منـازع، وتتربـع على ذات المكانة الـتي انتزعتهـا بالمثابرة وسـعة الأفـق والتضحيـات والبطولة المسـطرة بدمـاء القادة الشـهداء، بمـن فيهم القـادة المؤسسـون الكبار.

وفيمـا كان الجـزء الأول مـن هـذه السلسـلة بمثابـة عملية إنعـاش للذاكرة الجماعيـة المشـتركة لعمـوم أبنـاء الشـعب الفلسـطيني، ان لـم نقـل عمليـة فرش أرضيـة تاريخيـة لمـا سـيلي مـن حيثيـات سـتملأ سـماء الـشرق الأوسـط دويـاً، وتكتـب صفحـات لا نهايـة لهـا، وتتحـول الى رقم صعـب لا يمكن شـطبه من المعادلـة، يـأتي الجـزء الثـاني مـن هـذه السلسـلة بمثابـة كشـافات ضـوء مركـزة اساسـاً على تكويـن البدايـات، بمـا في ذلـك المخاضـات الفكريـة الإتصـالات المبكـرة والأفـكار الأوليـة، الـتي اثمـرت في نهاية مطـاف قصير عن تأسـيس اول الخلايـا التنظيميـة في أماكـن بعيـدة عـن المـسرح الذي سـيصبح في وقت لاحق بـؤرة اهتمـام الحركـة الوليدة.

واحسـب ان مضمـون هـذا الجزء، او قل هـذا الكتاب، أكثر أهميـة من الجزء

الأول، كونه يقترب أكثر فأكثر من صلب الرواية الفتحاوية التي لم تكتمل بعد، وينطوي في الوقت ذاته على حيثيات ووقائع وحقائق ومرويات ومعلومات غير متداولة على نطاق واسع، الامر الذي سيجعل المتلقي اشد التفاتاً الى محتويات هذا الإصدار مما كان عليه الحال في الجزء السابق، لا سيما واننا نتحدث عن «أصل الحكاية» التي كبرت ونمت عظامها بسرعة قياسية، واكتست لحماً وشحماً بصورة صحية، وغيرت مسار شعب القضية الفلسطينية، من قضية لآجئين إنسانية تحظى بالقليل من العطف والإحسان، الى قضية وطنية ذات اهداف عظمى وتطلعات سياسية كبيرة، في مقدمتها هدف الحرية والاستقلال.

والحق أن هذا الجزء من رواية فتح المديدة شارح لنفسه بنفسه، فهو يشتمل على نحو أربعين عنواناً فرعياً، يتحدث كل منها عن مسألة بعينها، ففي البداية توجز العناوين الأولى بدايات حركة فتح، ارهاصاتها وظروف نشأتها، ثم يعرض ولادة الحركة على ايدي خليتها التنظيمية الأولى، هذه الخلية التي يمكن اعتبارها الاجتماع التأسيسي لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح). وفي صفحات تالية يتطرق هذا الجزء الى الأماكن والتواريخ والاسماء، وذلك الى ان تكونت اول لجنة مركزية للحركة ممن يُعرفون بالقادة المؤسسين.

ولا يتوقف الامر عند عرض أسماء اللجنة المركزية، بل يتعداه الى التذكير بأسماء اللجان القيادية في الأقاليم، لا سيما في كل من الجزائر والكويت والسعودية وقطر وليبيا، وهذه هي الأقطار العربية التي كانت تشهد حراكاً فلسطينياً لافتاً، أكثر من البلدان العربية الأخرى، خاصة البلدان القريبة من جغرافية فلسطين التاريخية، والمحيطة بها، حيث الثقل السكاني الفلسطيني الأكبر والأهم، وهو ما يظهر مدى صعوبة العمل التنظيمي في هذه الأقطار التي

كانـت تبـدي حساسـية امنية شـديدة إزاء أي نشـاط فلسـطيني من أي نـوع، رغم ان ذلـك لـم يحـل دون وجود كـوادر تنظيمية في سـائر الدول المحيط بفلسـطين، بما في ذلك سـوريا.

لكـن ذلـك لا يعـني بالـضرورة ان حركـة فتـح، وهي في طـور بنائهـا السري بعـد، لـم يكن لهـا نشـاط في البـلدان الـتي كانت تعـرف ببـلدان الطـوق، او حتى داخـل الأراضي الفلسـطينية، سـواء في الضفـة الغربيـة او في قطـاع غـزة، اذ كان قطـاع غـزة، وهو بلد القـادة المؤسسـين في واقع الحـال، يضم عشرات الكـوادر التي سـتنهض فيمـا بعـد بـدور حاسـم في بنـاء القاعـدة الشـعبية للحركة الفلسـطينية الناشـئة وسـط اصعـب الظـروف السياسـية، ناهيـك عـن الضفـة الغربيـة الواقعة تحـت السـيادة الاردنيـة، وهي الرقعـة المكانيـة الـتي كان فيهـا العمـل السـياسي والتنظيـمي اشـد صعوبـة مما كان عليـه الوضع في قطـاع غزة تحـت الإدارة المصرية.

في هـذا الجـزء مـن الروايـة الطويلـة، الذي اسـميناه «أصل الحكايـة» يمكن للقـارئ، وربمـا سـيتاح له لأول مـرة، ان يطالـع أسـماء الرعيـل الفتحـاوي الأول، أولئـك القـادة العظـام، ممن اشـتبكوا مع المسـتحيل، وشـقوا الدروب الصعبـة بأقل الإمكانيـات المتاحـة، وقهـروا في نهايـة مطـاف قصير كل الظـروف الإسـتثنائية، ثم اقامـوا البنيـة التنظيميـة الأولى لأهم وأكبر حركة فلسـطينية قادت شـعبها في وقت لاحـق على طريـق الكفـاح المسـلح في البدايـة، ثم اوجـدت له كيانـاً سياسـياً صلّباً مـن وعاء ومحتـوى منظمـة التحريـر الفلسـطينية، الـتي سـتصبح بعد حـين قصير الممثـل الـشرعي الوحيد للشـعب الفلسـطيني، بفضل الجهـود الحثيثـة والتضحيات العظيمـة الـتي قدمتهـا فتـح والفصائـل الأخـرى، الـتي سـلّمت بقيادة حركـة فتح وتزعمهـا للمسـيرة الكـبرى نحو نيـل الاسـتقلال والحرية.

واعتقد ان عين القارئ ستلتفت بشدة وربما بإمعان نظر وتبصر، الى ذلك الحضور المميز للفلسطينيين في أوروبا، لا سيما فيما كان يعرف في حينه باسم المانيا الغربية، وهو حضور مُشكّل في غالبيته من الطلاب بالدرجة الأولى، هؤلاء الطلاب الذين سيتولون مواقع قيادية فيما بعد، خصوصاً بعد حرب العام ١٩٦٧، ويسهمون بقوة في بناء الهياكل التنظيمية والعسكرية لحركة فتح، التي استفادت كثيراً ممن باتوا يعرفون ب " الكادر الأوروبي» هذا الكادر النوعي الذي لم يكن مشاركاً في مرحلة النشأة الأولى، ولا يمكن اعتباره من جيل المؤسسين، الا انه الكادر المتقدم الذي لعب دوراً بالغ الأهمية في تاريخ الحركة الفدائية، وبنى اول الجسور مع الحركات السياسية الأوروبية المستنيرة.

ومن المشوّق ان يطالع القارئ في هذا الجزء من السلسلة، الجهود السرية التي بذلها القادة المؤسسون في الأقطار العربية المعروفة بتحفظها الشديد على أي نشاط فلسطيني منظم، ان لم نقل حظره ومنعه بكل طريقة بوليسية ممكنة، حيث سيتم عرض عدد من الزيارات التي قام بها كل من أبو جهاد وأبو يوسف النجار الى الأردن، لعقد اجتماعات مغلقة مع بعض الكوادر في المخيمات، تمهيداً لزيارة مهمة قام بها الأخ أبو عمار، الذي جال على بعض التجمعات الفلسطينية، لا سيما في عمان واربد، حيث استأجر هناك بيتا لتسهيل عقد لقاءاته مع القيادات المحلية، وبناء اول الخلايا العسكرية، وكان الرجل الذي لم يكن معروفاً ولا مشهوراً، يواصل انشطته هذه باسم أبو محمد.

بعد ذلك كله يمر هذ الجزء مرور الكرام على بعض الوقائع، ويتوقف في الكثير من المحطات المهمة، ويناقش ما شاء من المسائل، الا ان يتوقف ملياً عند عملية عيلبون، وهي اول عملية فدائية، او قل فاتحة العمل العسكري

الذي سيتواصل على طريق الكفاح المسلح لعقود مديدة لاحقة، كما ان هذا الجزء سيتوقف أطول واكثر عند المحطة الفارقة في تاريخ الثورة الفلسطينية المعاصرة، ونعني بها معركة الكرامة عام ١٩٦٨ ، ولا يغفل كذلك التحدث عن احداث أيلول الأسود عام ١٩٧٠ تلك الاحداث الدامية التي تسببت بوفاة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وادت الى خروج الثورة الفلسطينية من اهم قاعدة لها خارج فلسطين، لتبدأ بعد ذلك المرحلة اللبنانية الطويلة.

فتح... بداية وطلقة وثورة شعب!!

تعـدّدت الرّوايـات حـول تأسـيس حركـة فتـح، وتناولـت كلّ روايـة مشـاركة صاحبهـا في الإجتماعات الأولى واللقاءات الثنائيّة والجماعيّة في غزة وفي سـوريا ومصر والكويـت والمنطقة المحايدة بين الكويت والسّـعودية. ورغم عـدم إعطائي أهميّة كبيرة لتحديـد متى وكيـف ومن شـارك في عمليّة التّأسـيس الأولى بالتّواريـخ المتناقضة لكلّ واحـد مشـارك فيها إلا أنّني سـأروي بعـض هـذه الآراء والروايـات مع العلـم أنّني أود التأكيـد أوّلا على أنّ خليـل الوزيـر (أبـو جهـاد) هـو الأب الـرّوحيّ لحركـة فتـح بـلا منـازع، وأنّ يـاسر عرفـات (أبـو عمّـار) هو القائـد والزّعيم السّـياسّي والعسـكريّ الأوّل والأوحـد لحركـة فتح.

وقبـل تسـمية حركـة فتـح ولقاءاتهـا التّأسيسـيّة، وبيـان الحركة، وهيـكل البناء الثّـوريّ أودّ أن أقـول -وأنـا مطمـئن كلّ الإطمئنان- إلى أنّ رابطة الطّلبة الفلسـطينيين في القاهـرة الـتّي تأسّسـت في العـام الدراسي ١٩٥٠- ١٩٥١ هي بداية تأسـيس حركة فتح، وأنّ قيـادة هـذه الرّابطـة هي الـتّي حملـت بـذور التّأسـيس بالإضافة طبعـا لخصوصيّة الحضـور الكبير لخليل الوزيـر وكمال عدوان نظرا لمشـاركتهما في الأعمال العسـكريّة والنّضـال الجماهـيري في قطـاع غـزّة. وبـكلّ القناعـة أرى أنّ قيادة هـذه الرّابطة هي التّي أسّسـت فيما بعد هـذا التّنظيم الوليد المتميّز على السّـاحة الفلسـطينيّة والعربيّة، وهي الـتّي حـدّدت الأولويّـة الفلسـطينية للانتماء قبـل التّنظيم أو بـلد الإنطلاقة.

فـفي وسـط العاصمـة المصريّـة، وقـرب ميـدان مصطـفى كامـل بشـارع قـصر النّيـل، كان مقـرّ رابطة الطّلبة الفلسـطينيين. وكانت هي حضن جمع الشّـتات الفكريّ والنّضـاليّ ل ٦٦ طالبـا قبلتهـم الجامعـات المصريّة. ورغـم الحصار السّـياسيّ والفكريّ

آنـذاك، والّذي كان يلـفّ العالـم العـربيّ كلّـه وليس مصر فقـط، فقد خرج نـور كأنّه الحلـم للشّـباب الفلسـطينيّ الباحـث عـن الوطـن والحريـة في آنٍ واحـد، ولـم يكن الأمـر سـهلا، بل كان أصعـب مـن ولادة قيصريّة كما يقـال... ورغم ذلـك فقد أعطت هـذه النّـواة الأمـل من خـلال عنفـوان لا حـدود لطاقاتـه. كان في مقدمة وقيـادة هذه الرّابطـة مـوسى أبو غـوش الطّالب في كلّيّـة الطّـبّ الّذي كان أوّل رئيس لهـذه الرّابطة، الّـتي أصدرت مجلـه تحمل اسـم «صوت فلسـطين».

شـدّت الرّابطـة الطّلبة الفلسـطينيين إليها مع مـرور الوقت، فـكان التّنافس على مقاعـد هيئتهـا الإداريّة ورئاسـتها، ولـم يكن التّناقض الفكـريّ والحزبيّ عائقـا في دور الرّابطـة، واسـتلم رئاسـتها فتـحي بلعـاوي، وعندما ظهر يـاسر عرفات طالب الهندسـة احتـلّ رئاسـة الرّابطة للمدّة الممتـدّة ما بـين عام ١٩٥٢-١٩٥٦، وأصبحـت الرّابطة في هذه الفترة الوجيزة كيانا وطنيّا له أهدافه السّياسـيّة الّتي كان بوصلتها الوطن بوصلة فلسطين.

عنـد الحديـث عن رابطـة الطّلبـة الفلسـطينيين الّتي أنشـئت في القاهـرة عام ١٩٥١ ودورهـا الرّيـاديّ في انطلاقة فتـح، ودور قيادة هذه الرّابطة لتشـكيل النوايا الأولى لفتـح، بل معظـم قياداتها ودورها ومؤسّسـيها الأوائـل... لا يمكن تنـاسي دور الحركة الطّلابيّة في إرسـاء العمل النّضاليّ الفلسـطينيّ، بـل وفي كلّ المراحـل كان للطّلّاب دور في هـذا المجـال. فبالإضافة إلى رابطة الطّلبة الفلسـطينيين في القاهـرة، كان هناك أيضاً رابطة طلبة فلسـطين في الإسـكندريّة، ورابطة طلبة فلسـطين في دمشق، ورابطة طلبة فلسـطين في بيروت.

وتجـدر الإشـارة أيضاً إلى أنّ هـذه الرّوابط الطلابية عقـدت في القاهرة مؤتمرها الأوّل بتاريـخ ٢٩/ تشريـن ثـانٍ / نوفمـبر ١٩٥٩، وفي هـذا المؤتمـر الهـامّ أعلـن عـن تأسـيس «الاتّحـاد العـامّ لطلبة فلسـطين» والّذي كان مـن أهدافه تجميع وضـمّ الطّلبة الفلسـطينيين إلى هـذا الاتّحاد في كلّ الوطـن العربيّ، فكان الاتّحاد لطلبة فلسـطين أوّل

مؤسّسة ومنظّمة نقابيّة وحركة سياسيّة ونواة تنظيم شعبي تشكّل أوّل مؤسّسة كيانيّة للشعب الفلسطينيّ.

لقد قام الاتّحاد بمهامّ عظيمة في مجال تعبئة الشّباب، وأفرز قيادات هامّة للثّورة، ولعب دوراً إعلامياً كبيراً على مستوى الوطن العربيّ والعالم؛ لتعريف هذا العالم بالقضيّة الفلسطينيّة.

ولهذا كانت الرابطة والاتحاد فيما بعد هما العنوان الأوّل والمخزون القيادي لمرحلة جديدة من النضال الفلسطيني، بل إن قيادات الاتحاد والرابطة من قبل أصبحت قيادة حركة فتح فيما بعد... وبالطبع كانت البوصلة، أوّلاً وأخيراً، متوجهة نحو فلسطين. ولهذا كان ياسر عرفات سبّاقا لحمل رمزيّة هذا الهدف؛ فعندما دعيت الرّابطة لحضور المؤتمر الطّلاّبّي العالميّ بصفتها تمثّل رابطة الطّلبة الفلسطينيين في براغ -تشيكوسلوفاكيا- في آب عام ١٩٥٦، توجّه ياسر عرفات وصلاح خلف وزهير العلمي لحضور المؤتمر، وظهر ياسر عرفات في قاعة المؤتمر يرتدي كوفّيته المعروفة التّي تحمل رمزيّة فلسطين بأرضها وفلّاحها وعاملها وطالبها، وبهذا اللباس والحضور الجديد شدّ إليه كلّ وفود طلبة العالم ووسائل الإعلام، ووجّهت للوفد دعوات لزيارة دول أوروبا الشّرقيّة.

لست هنا بصدد تعداد الأدوار والمساعدات الّتي قدّمتها الرّابطة، و لكنني أشير إلى أنّها تميّزت بصهر كلّ اتّجاهات الفلسطينيين الفكريّة والسّياسيّة والحزبيّة في بوثقة واحدة، وهدّأت التناقضات بين كلّ هذه الاتّجاهات، ووجّهت هذه الطّاقة المثقلة بالآمال نحو فلسطين أوّلا... ولا يمكنني هنا إلا أن أذكر أنّ اخي وصديقي الحميم الشّهيد عبد الفتّاح عيسى حمود كان سكرتيرا للرّابطة لمدّة خمس سنوات، ولهذا فإنّ قيادتها وأفكارها كانت هي الأساس للتّفكير في ولادة تنظيم جديد يضمّ الجميع لأجل الجميع وفلسطين أولا، وهي «فتح».

ظروف نشأة « فتح »

لا شكّ في أنّ هزيمة الدّول العربيّة وجيوشها، والخيانات العلنيّة والخفيّة ابتداء من السّلاح الفاسد للجيش المصريّ وانتهاء بالإنسحابات المشبوهة من المواقع الاستراتيجيّة الّتي كانت في مواجهة جيش العدوّ والجيش البريطانيّ قد أدّت إلى نكبة الشّعب الفلسطينيّ الّذي كان ينتظر التّحرير بناء على أوامر جيش الانقاذ بإخلاء مواقعه. ولهذا فقد تشرّد الشّعب الفلسطينيّ، وبنيت له المخيّمات على عجل في كلّ من سوريا ولبنان وغزّة والضّفّة الغربيّة والشّرقيّة، فهاجر أكثر من ٧٥٠ ألف فلسطينيّ خضعوا جميعا أطفالا وشيوخا ونساء وشبّانا للرّقابة الأمنيّة الصارمة لهذه الدّول. فقد فرضت مصر حكمها العسكريّ على قطاع غزّة، وضمّت الضّفّة الغربيّة إلى الأردن، وأعدمت حكومة عموم فلسطين في يوم ولادتها، ولم يبق للفلسطينيين إلا الحلم والأمل بالعودة...!

كان الشّباب الفلسطينيّ يبحث عن أيّ تنظيم أو حزب أو حركة يساريّه دينيّة أو وطنيّه لعله يجد فيها وسيلة لتحرير فلسطين فالتحقوا بها، وكان هؤلاء الشّباب يشعرون بالمهانة الّتي لحقت به من عدوه أولا ومن الأنظمة الّتي سعت في كلّ بلد عربيّ وبلا استثناء إلى إهانته وإذلاله، وفرض على الفلسطينيين الصّمت والصّمت المطبق.

لم تقدّم الأمم المتّحدة لهؤلاء الشّباب أيّة آمال بالعودة، وأعلنت الدّول العربيّة عن عجزها المطلق، وذهبت ذليلة صاغرة لتوقيع اتّفاقيّات لهذه الهدنة مع الكيان المغتصِب، والّتي شكّلت جوهر الذّلّ والخيانة للشّعب الفلسطينيّ... ومن هنا خرجت مجموعات من الشّباب الفلسطينيّ للبحث عن بوابات للنّضال

والفـداء، ولهـذا فقـد تطّـوع أكثر من خمسـمائة شـاب عندما قامـت الهيئـة العربيّة العليـا بإعـداد بعـض المتطوّعين للقيـام باعمال عسـكريّة ضـدّ العـدوّ في الخليل.

لقـد تفاءل الفلسـطينيون بثورة مـصر عام ١٩٥٢، وعقدوا آمـالا كبيرة عليها، خاصـة وأنّ أحـد أسـبابها هـو السّـلاح الفاسـد الّذي أرسـل إلى القـوّات المصريّـة المحـاصرة في الفالوجـة، بالإضافـة إلى الشّـعارات البرّاقـة، فسـارعوا للإنخـراط في الأحـزاب المختلفـة كمـا اشرنا. حيث كان الشـباب الفلسـطينيّ يبحـث عن حزب أو حركـة أو منظّمـة تقوده من أجل التّحريـر، وإزالة الإحتلال، وقهـر الإهانة والذّلّ وفقـدان الكرامـة الّـتي تركتهـا عمليّـة التّهجـير المترافقة مـع الاضطهـاد والإذلال العـربيّ بحجـج كثـيرة، وبالطّبـع القضايـا الأمنيّـة أوّلاً. وكان انضمـام الشّـباب الفلسـطينيّ إلى الأحـزاب والتنّظيمـات والحـركات العربيّـة قـد أخذهـم بعيدا عن القضيّـة الفلسـطينيّة إلى شـعارات رنانـة وكاذبـة، فـكان لا بـد من خلـق تنظيم أو حركـة تكـون بوصلتها فلسـطين.

لقد كان التآمّر الدّوليّ على الشّـعب الفلسـطينيّ سـببا من الأسباب الرّئيسية في خلـق تنظيم فتـح، فالقوى العظـمى الّتي صنعت «إسرائيـل حوّلت قضيّتـه إلى قضيّة لآجئـين بحاجة إلى مـوادّ تموينيّة ومخيمـات تجمّع لهم».

أمّـا حـقّ العـودة وقرار التّقسـيم الصّادر عن الأمـم المتّحدة فلم يكونـا إلا حبرا على ورق لـم تنفـذ إسرائيـل منهما شـيئا، فـكان لا بدّ من مواجهـة هذا الضّعـف العربيّ بمقاومة تعيد إحياء قضيّة الشّـعب الفلسـطينيّ وحقوقـه المشروعة.

تجارب العمل العسكريّ قبل التّأسيس

لقد أشرت سابقا إلى أن الهيئة العربيّة العليا دعت الشّباب الفلسطينيّ إلى الإلتحاق بمعسكرات تدريب محدودة النّشاط للقيام بعمليّات عسكريّة ضدّ العدوّ. وبعد نكبة عام ١٩٤٨ ومع مطلع عام ١٩٤٩ استطاعت الهيئة العربيّة العليا برئاسة الحاجّ أمين الحسيني تجهيز (٥٠٠) شاب فدائيّ، وتمّ توجيههم للعمل في منطقة الخليل بقيادة توفيق إبراهيم. قامت تلك القوّة بعدّة عمليّات عسكريّة، لكن الظّروف المحيطة وحصار العدو ومجازره ضد كل من يتعاون مع الفدائيين اضعفها وتوزع أفرادها كل حسب منطقته. ورغم ذلك فقد بقيت هناك عمليات فردية لم يكن هدفها الرئيس الاصطدام مع العدو، فقد كان هنا هدف هؤلاء يتمثل في الحصول على بعض الاموال التي تركوها في بيوتهم حيث أخفوها والعودة إلى مواقعهم، كثيرا ما كانوا يصطدمون بالعدو ودورياته، فكانت تقع الاشتباكات بينهما، فيسقط من الطرفين القتلى والجرحى.

لقد تركّزت تلك النّشاطات في مناطق جنوب فلسطين، والمناطق المحاذية لجبال الخليل في منطقة الفالوجة وبيت جبرين والدّوايمة، وكذلك في الامتداد الطّبيعيّ لقطاع غزّة، وكان التّنقل بين غزّة والخليل يتم بسهولة كبيرة، ففي ليلة واحدة يتمّ الإنتقال بين الجهتين، حيث كان المختصّون العارفون بالطّرق ينقلون الأفراد والبضائع... ورغم ذلك فإن الرّوح الكفاحيّة لم تضعف عند الكثير من الشّباب الفلسطينيّ، فقامت مجموعة منهم ضمت كلا من: خليل الوزير، وحمد العايدي، ومحمّد حسن الإفرنجي، ومصطفى السّميري،

ومحمود العرومي، وسليمان الزّميلي، وشحدة غيث، وموسى عبيد بالتّدريب على الأسلحة وزراعة الألغام على يد بعض الضّبّاط المصريين الموجودين في القطاع.

كانت أهمّ عمليّة لهذه المجموعه بقيادة خليل الوزير بتاريخ ١٩٥٥/٢/٢٥، حيث حصلت المجموعه على المتفجّرات من بعض ضباط الجيش المصريّ، وأعدّ العبوّة محمّد الإفرنجي حسب ما تدرب عليه في الدّورة الّتي ذكرنا، وساعده في نقلها شحدة غيث وموسى أبو عبيد، حيث زرعوها بجانب إحدى المضخّات الكبيرة لخزان زوهر الذي يقوم بتأمين المياه للمستعمرات الموجودة في النّقب الجنوبيّ.

انفجرت العبوة، ورغم صغر حجمها ووزنها الّذي بلغ خمسة كيلوغرامات فقط، فقد أحدثت دمارا كبيرا، وتدفقت المياه باتّجاه البحر الابيض.

كانت العمليّة مفاجأة للعدوّ الذي ردّ بعنف على قطاع غزّة بأمر من رئيس وزراء العدوّ آنذاك دافيد بن غوريون، وقد سقط عدد من الشهداء المصريين والفلسطينيين بتاريخ ١٩٥٥/٢/٢٨.

وعلى إثر هذه العمليّة، وردّ العدوّ عليها فقد خرجت المظاهرات في كلّ أنحاء قطاع غزّة، كذلك أثار العدوان القيادة المصريّة والشّعب المصريّ. وفي نفس الوقت اتصل خليل الوزير بياسر عرفات الّذي كان يرأس رابطة الطّلبة الفلسطينيين، حيث كان هذا الإتّصال هو البداية للتّنسيق الثّنائيّ بين القائدين، والّذي على أثره أضرب أعضاء الرابّطة عن الطّعام، وكان منهم ياسر عرفات وفتحي البلعاوي، كما قاموا بالإعتصام في مقرّ جامعة الدّول العربيّة.

كانت الأحداث آنذاك تتسارع، وتشكّلت لجنة بطلب مصريّ لتحديد الخسائر ودراسة الواقع الميدانيّ في غزّة، وكان على رأس المستقبلين لهذه اللجنة

«خليل الوزير»، وتعزّزت العلاقة بين خليل الوزير وياسر عرفات... وكان هذا اللقاء هو شرارة الثّورة الفلسطينيّة غير المعلنة.

ونظرا لوقوع قطاع غزّة تحت إدارة الحكم المصريّ. فقد طلب الفلسطينيون بالرّدّ على العدوان، والسّماح بتجنيد الفلسطينيين. ولامتصاص ردود الفعل من جهة، وللرّدّ على العدوان الإسرائيليّ على القوّات المصريّة الموجودة في القطاع من جهة أخرى، أمر الرّئيس عبد النّاصر بتشكيل كتيبة فدائيّة يشترك فيها الفلسطينيون وكانت هذه الكتيبة بقيادة البكباشي مصطفى حافظ، ومن شفافيّة الحلم الفلسطينيّ بالعودة ومقارعة العدو والاستعداد للفداء رسم الفلسطينيون الأساطير حول مصطفى حافظ وقوّات الفدائيين الّتي كانت تحت إمرته والّذين بلغ عددهم أكثر من ثلثمائة فدائي، حيث شنّوا منذ نهاية العام ١٩٥٥ وحتّى آذار عام ١٩٥٦ أكثر من ١٨٠ هجوما.. ولكن بعد فشل العدوان الثّلاثيّ على مصر، والإنسحاب الإسرائيليّ من غزّة ومن سيناء فقد صدرت الأوامر من القيادة المصريّة بإيقاف نشاط الكتيبة الفدائيّة، بعد أن استشهد القائد الضّابط المصريّ البطل (مصطفى حافظ) الّذي سماه شارون (الشّبح) من خلال استلامه لطرد ملغّم... وكانت هذه الوسيلة الأبسط الّتي تعاملت بها إسرائيل في تلك الحقبة مع المناضلين الفلسطينيين والعرب.

وهكذا، فإنّه يمكنني أن اقوم إنّ تجربة الكتيبة الفدائيّة الّتي قادها مصطفى حافظ والتّنظيم السّياسيّ غير المعلن الذي أسست له رابطة الطّلبة الفلسطينيين شكّل القاعدة الأولى لبناء وتأسيس حركة فتح، والّتي كانت النّواه والخطوة الأساسّية للبناء الثّوريّ اللاحق.

الإرهاصات الأولى - البدايات
أنوية فتح الأولى

كان لجهود رابطة الطّلبة الفلسطينيّة وحضورها المحليّ والعربيّ والدّوليّ، كما أشرنا، وانتصار الثّورة المصريّة عام ١٩٥٢، وفشل العدوان الثّلاثيّ، واحتلال غزّة وسيناء والإنسحاب منهما الأثر العميق في توحيد الرّؤيا للشباب الفلسطينيّ وطليعته المتمّثلة بقيادة الجهاز التّعليميّ في غزّة، وفي رئاسة رابطة الطّلبة الفلسطينيين بالقاهرة. وممّا لا شكّ فيه أنّ الثّورة الجزائريّة والتّضحيات الّتي قدّمتها في كفاحها ضدّ الاستعمار الفرنسيّ، والنّماذج البطوليّة لهذا الصّراع قد أذكى الرّوح الثوريّة أيضا لدى هذا الحضور الفلسطينيّ الشّبابيّ الجديد.

وهنا يمكن القول إنّ اللقاءات الّتي بدأت بين الأسماء الأولى الّتي ذكرناها عام ١٩٥٤-١٩٥٥-١٩٥٦ شكّلت في مجموعها تأسيس حركة فتح... وتجدر الإشارة أنّ عداء الحكومة المصريّه للإخوان المسلمين ومحاربتهم في العام ١٩٥٤ دفع بالعديد من قيادات الإخوان المسلمين للتّخلي عن مواقفهم، في حين تبقى في المواقع الأماميّة للقتال مجموعة الشّباب الّذين كان منهم خليل الوزير، وكمال عدوان الّذي تسلّم كميّات البنادق الّتي كانت بحوزة الإخوان المسلمين في غزّة، كما استلم خليل الوزير من الشّيخ هاشم الخزندار ١٨ جنيها مصريّا هي كلّ ما تبقى في ميزانيتهم.. وقد كان هذا المبلغ هامّا جدّا آنذاك.

إنّ الشّيء الآخر الّذي يجب أن يذكر هو أنّ حركة فتح لم تؤسّس كحزب أو حركة حزبيّة أو تنظيم، كما الأحزاب والتنّظيمات آنذاك، بل بدأت بعناصر

قليلـة اتّفقـت على أن يكـون كلّ القتـال والنّضـال والجهـد السّـياسيّ والانتمـاء الحـزبيّ كلّـه موجهـا نحو فلسـطين كمـا اسـلفنا. ولهـذا السّـبب يمكن القـول إنّ جـذور التأسّـيس لحركـة فتح بـدأت مـع نهاية احتـلال غـزّة في نيسـان عام ١٩٥٧ وفشـل العـدوان الثّـلاثيّ، وهنـا يقـول يـاسر عرفـات: «كنـا نجتمع بعد حـرب عام ١٩٥٦، وبـدات فكـرة فتـح ترتـدي طابع النّضج، حيـث لم تكن فتـح موجودة حتّى الآن.. وكانـت بدايـة التّجمّـع في مـصر وغزّة».

لقد أجمع كلّ من صلاح خلف وسـعيد المسـحال وكمال عدوان وآخرون على أنّ فكـرة فتـح بـدأت بالتّبلور لهـذا الفريق من الشّـباب بعد الاحتـلال الإسرائيليّ لقطـاع غـزّة عام ١٩٥٦. وهنـا نجد أنّ هـذه النّـواه الأولى في قطاع غـزّة وفي القاهره بـدأت تتـوزّع في عام ١٩٥٧، فذهـب عرفـات للعمـل في الكويـت مهندسـاً، وذهب كمـال عـدوان إلى قطر، أمّـا صلاح خلف فاسـتقرّ في غـزّة مدرّسـا، وكذلك توجّه عبـد الفتّـاح عيسى حمـود إلى الأردنّ ومن ثـمّ إلى المملكة العربيّة السّـعوديّة فقط، وذهـب زهير العلمي إلى لبنان، وسـعيد المسـحال إلى السّـعوديّة.

أمّـا حركـة الشّـباب في سـوريا فقد دفعـت عددا مـن طلاّب جامعة دمشـق ومدرّسـيها كذلـك مـدرسّي وطلاّب المـدارس الثّانويّة إلى إنشـاء ما سـمّي آنذاك بـ (جماعـة أبنـاء فلسـطين)، وكان من مؤسّـسي هذه الجماعـة عبد الله الدّنـان، وظافر الخـضرا، ومحمّد السّـهليّ ومحمـود المغربيّ، ومحمـود عبّاس.

كانـت سـوريا أكثر الدّول العربيّة مرونة في اسـتقطاب الشّـباب الفلسـطينيّ، فسـمحت لهم بالدّخول إلى بعض الكلّيّات العسـكريّة ومنها كلّيّة حمص العسـكريّة. وكمـا حصـل مـع مجموعـة القاهـرة فقـد توزّعـت مجموعـة سـوريا بعـد عام ١٩٥٧، فذهـب عبـد الله الدّنـان ومحمود عبـاس للعمل في حقـل التّدريس في قطـر، وهناك التقـوا كمـال عـدوان ومحمّد يوسـف النّجار وسـليمان الشّرفـا ورفيق النتّشـه. أمّا

هايل عبد الحميد وفيصل حوراني فلم يحظ نشاطهم بالقوّة اللازمة، وذهبا لاستكمال الدرّاسة في ألمانيا، حيث أسّس هاني الحسن وهايل عبد الحميد هناك تنظيما طلاّبيّا اسمه (طلائع العائدين).

إننا هنا يمكن أن نشير إلى أنّ مجموعة الأسماء، وكذلك الأنوية الّتي وردت في صفحات سابقة، كانت تجمع على أنّ العمل العسكريّ ضدّ العدوّ هو الآداة الوحيدة لاسترجاع الأرض، مع ضرورة إقامة علاقات جيّدة مع الأنظمة المحاذية لفلسطين، ولكن بعضهم أشار لصعوبة إقامة علاقات مع هذه الأنظمة؛ لأنها ستفرض سياستها على التّنظيم الّذي تقبل به، وتستغله ليس في مواجهة إسرائيل بل في تصفية الحسابات فيما بينها.

ولادة «فتح»

لقد أوجز خليل الوزير بكلمات محدودة وواضحة في كتابه (حركة فتح: النّشوء، الارتقاء، التّطور، البدايات) ولادة فتح بقوله:

«بعد عودتي إلى القاهرة وقطاع غزّة ذهبت إلى الكويت من أجل العمل كمدرّس، وكان ذلك في الشّهر العاشر من (تشرين الأوّل) ١٩٥٧، وهناك التقيت الأخ أبو عمّار بعد أن كان هو بدوره قد جاء إلى هذه الدوّلة العربية من القاهرة لكي يعمل فيها مهندساً. وكان اللقاء مع أبو عمّار في سيارته على شاطيء الخليج، وعقدنا للمرّة الأولى جلسة عمل بحثنا فيها كيفية البدء على الصّعيد التّنظيميّ ولم يكن هناك أيّ إنسان آخر، وقد اقتصر اللقاء علينا نحن الاثنين فقط».

وبعد هذا الاجتماع تمّ دعوة عدد من الإخوة الّذين كانوا يلتقون معهما في الفكرة والهدف، والاستعداد لبناء التنّظيم اللازم، ومن هؤلاء الّذين حضروا للاجتماع المطلوب: ياسر عرفات، وخليل الوزير، وعادل عبد الكريم، ويوسف عميره، وتوفيق شديد، ويعتبر هذا الاجتماع هو الاجتماع التّأسيسيّ لحركة «فتح».

تشكّل الاجتماع الأول من خمسة أعضاء لكنّ الخامس تخلّف عن الاجتماع الثّاني، ولم يطرح اسم التّنظيم المراد بناؤه، واستمر العمل على تجميع عناصر التّنظيم مدّة عامين تقريباً، وكان الهدف -كما أشرت- هو تكوين قوّة جديدة من أجل تحرير فلسطين، وأخيراً استقرّ الأمر على تسمية «حركة التّحرير الوطنيّ الفلسطينيّ»، وقد قال بعضهم أن كلمة فتح قد جاءت عكس

الحـروف الأولى للحركـة، فمـن «حتـف» إلى «فتح» الّتي يسـتبشر بها الفلسـطينيون ويتفائلـون، وهكـذا ولدت «فتح».

تسـارعت خطـوات البنـاء، فـازدادت الاتّصـالات بالإخـوة الّذيـن كان للمجموعـة علاقـة بهـم، والّذيـن توافقـت آرائهم مـع الطّـرح الجديد، ومـن الّذين انضمـو للمجموعـة عبـد الفتّـاح حمـود، وكمـال عـدوان، وأبـو يوسـف النّجـار، وعبـدالله الدّنّـان، وحسـام سـويد، وفي وقت لاحق محمـود عبّاس وفـاروق القدوميّ.

كان خـالد الحسـن وصلاح خلـف وهاني القّـدومي من أوائل شـباب الكويت الّذيـن التحقـوا بالحركة، وفي وقت لاحـق كان أبو الأديب من الّذين تمّ اسـتقطابهم... ولـم يتـمّ التّوقّف عن الانتماء الحـزبيّ أو التنظيميّ السّـابق لأيّ مـن الأعضاء، فقد تـمّ إلغـاء الارتباط الأوّل بالانتمـاء الأوّل لحركة التّحرير الوطنيّ الفلسـطينيّ فتح..

تحـرّك مجموع الأعضـاء التّابعين للحركة في كلّ الاتّجاهـات وإلى كلّ الدّول من أجـل بنـاء التّنظيم الجديد، وشـهدت الأعـوام الأولى من السّـتينات نشـاطاً خاصّاً، فقـد تحـرّك بعـض الإخـوة إلى الأردنّ، وتحـرّك آخرون إلى سـوريا وغزّة ومـصر، وتمّ الاتّصـال بالطّلبـة والعمـال في النّمسـا وألمانيـا، كمـا أنّ الأنويـة الأولى في كلّ مـن المملكـة العربيّـة السّـعوديّة وقطر بـدأت بالتّحرّك لزيـادة الاعداد، وهنـا قال محمد الأعـرج «أبـو الرّائـد»: «كنـت أحـاول أن أضـمّ أحمـد قريـع (أبـو عـلاء)- الذي كان مسـاعداً لمديـر البنـك العـربي في الدمـام بالسـعودية- إلى التّنظيـم فوجدته من الأوائل».

لـم تكـن الأمـور تجـري بالسّـهولة الّـتي يمكـن تصوّرهـا، فأنـت تعمل في بيئـة نقيضة وليسـت معاديـة، ولهـذا وفي العـام ١٩٦٢ اعتقلت السّـلطات الأردنيّة مجموعـة تزيـد عن عشرين عنـصراً للحركـة في منطقـة الخليل، وكان منهـم عثمان

رشـيد الطّباخي، وأبو عزمي دنديس، وإسـماعيل حجازي، وعطا سـليمان المحيسـن، ووجّهـت السّـلطات التّهمة إليهم بعد أن وجـدوا خرائط ومتفجّـرات عند أحدهم، بأنّهـم يحاولـون الإضرار بالدّاخـل الأردنّي، رغـم توضيـح أعضاء المجموعـة أنّ هذه الأسـلحة والمتفجّـرات هي موجّهـة ضـدّ العـدوّ الصّهيـونّي، وخاصّـة ضـدّ المفاعل النّـوويّ في النّقب.

وتجدر الإشـارة هنا إلى أنّ الاسـلحة والمتفجّرات كان يتـمّ الحصول عليها من خـلال شراء الأسـلحة الفرديـة في كلتـا الضّفّتـين، كما تـمّ نقل بعض الأسـلحة من سـوريا عـبر «بوابة الحمّـة» الّتي هي نقطة انطلاق من سـوريا والأردنّ وفلسـطين.

كان الوقـت يمـرّ بسرعـة، ولـم تكـن عمليّـة الإعـداد تمـرّ بسـهولة، فمنذ العـام ١٩٥٧ وحـتّى نهايـة العـام ١٩٦٤ جـرت عمليّـة تراكميّـة للإعـداد وتكوين النّويـات الأولى للحركـة، ولكـن يتحـدّد موعـد للانطـلاق بالعمـل العسـكريّ. وكان هنـاك فريقـان مختلفـان حول هذا الأمـر: فريق مكوّن أساسـاً مـن الإخوة أبو جهـاد وأبـو عمّـار اللذين كانـا يسـتعجلان الانطلاقـة، والفريق الآخـر كان يتزعمه الإخـوة مـن تنظيـم سـوريا يطلبـون التّأجيل حـتّى تنضـج الظّروف.

وفي ١٩٦٤/٩/١ اجتمـع قـادة الفـروع من غـزّة والكويت وقطر وسـوريا وليبيا وتغيّـب أبـو جهـاد عن الاجتمـاع نظـراً لوجـوده في الجزائـر، وقد حـضر الاجتماع كلّ مـن الإخوة:

- **محمود الخالدي.**
- **حسام الخطيب.**
- **محمود عبّاس.**
- **أبو يوسف النّجّار.**

- **عادل عبد الكريم.**
- **ياسر عرفات.**
- **محمود أبو الفخر.**
- **عبدالله الدّنّان.**
- **محمّد الإفرنجيّ.**

كانت نقطة الخلاف الأولى في الاجتماع هي الانطلاق أم الانتظار، وأظهر البعض ترددهم نظراً لضرورة الاستعداد التّامّ وتأمين الاحتياجات الكاملة والظّروف المناسبة، لكن الفريق الآخر كان يطالب بالانطلاقة، وأشار إلى أنّه قد تمّ ابلاغ كلّ خلايا التّنظيم بالاستعداد لذلك، وإنّهم قد حصلوا على الموافقة.

وفعلاً اجمعت أيضاً الخلايا والمجموعات في كلّ من دول الخليج وسوريا والأردنّ على تأييد الانطلاقة، وقد سبق هذا الاجتماع الّذي أوردنا إعلان إسرائيل عن تحويل مجرى نهر الأردنّ إلى بحيرة البطوف عبر نفق عيلبون، ومن ثمّ نقل المياه بأنابيب ضخمة إلى النقب جنوباً.وقد عزّز هذا موقف الفريق المنادي بضرورة الانطلاق بسبب التّوتّر الّذي أحدثه هذا الإعلان في الدّول العربيّة وخاصّة سوريا والأردنّ...

وهنا، لا يمكن تناسي عمليّة التّصويت الّتي تّمت على قرار الانطلاقة من عدمه، حيث صوّت خمسة أعضاء مع القرار واعترض أربعة، وكانت عمليّة عيلبون هي الإعلان الأوّل والبلاغ الأوّل عن انطلاقة حركة فتح رغم القيام بالعديد من العمليّات دون الإعلان عنها.

إنّني هنا ومن باب التّأكد أودّ أنّ أذكر أنّ أوّل لجنة مركزيّة لحركة فتح كانت مكّونة من الإخوة:

- **ياسر عرفات /أبو عمّار.**
- **خليل الوزير /أبو جهاد.**
- **عبد الفتّاح الحمود.**
- **صلاح خلف.**
- **محمّد يوسف النّجار.**
- **كمال عدوان.**
- **خالد الحسن.**
- **فاروق القدوميّ.**
- **محمود عبّاس.**
- **عبدالله الدّنّان.**
- **حسام سويد.**

إنّـني في هذا السّـياق الّذي ذكـرتُ فيه أعضـاء اللجنة المركزيّـة الأولى لحركة فتـح أجـد أنّـه مـن المفيـد أن أذكـر أسـماء الـكادر الفتحـاويّ الأوّل في كلّ قطـر؛ لتتكامـل صـورة هـذا البنـاء وهرمه القيـاديّ ولـكي أُلاحـق الأحـداث والتّطورات اللاحقـة للثّورة الفلسـطينيّة.

لقـد كان إقليـم الجزائـر، و لجنة الإقليـم القياديّة أقـدم كوادر حركـة فتح في الكويـت، و كانـت لجنـة الإقليم في الكويـت تتكوّن مـن الإخوة الآتية أسـماؤهم:

- **سليم الزّعنون.**
- **خالد الحسن.**
- **وائل السّعديّ.**

- **تحسين البورنو.**
- **موسى قنيبي.**

كما كان كذلك من القيادات في الكويت الإخوة:

- **ياسر عرفات.**
- **خليل الوزير.**
- **عبد الله الدّنّان.**
- **يوسف عميرة.**
- **صلاح خلف.**
- **أحمد السّعديّ.**
- **عادل عبد الكريم.**
- **عرفات أبو سكران.**
- **حسن الثّوابتة.**
- **غالب بركات.**
- **منير عجّور.**
- **علي ياسين.**
- **حسين زريعه.**
- **منير سويدة.**
- **محمود مسودة.**
- **توفيق شديد.**
- **هاني القدوميّ.**

- **فاروق القدوميّ.**
- **محمود الوزير.**
- **علي حسن.**
- **موسى عوض.**
- **علي جاد الله.**
- **إبراهيم صبحي.**
- **محمّد حرب.**
- **حسني زعرب.**
- **نبيل الشّريف.**

أمّـا قيـادات حركـة فتـح و كواردهـا في السّـعوديّة فتمثلت في الأخـوة الآتية أسماؤهم:

- **عبد الفتّاح حمود (أمين سرّ الإقليم).**
- **كمال عدوان (مسؤول الإعلام).**
- **محمّد الأعرج (مسؤول التّنظيم).**
- **سليمان أبو كرش.**
- **نور الّدين منصور (مسؤول العمّال).**
- **مروان اليحيي.**
- **صبحي أبو كرش (أبو منذر).**
- **عبد الفتاح القلقيلي (أبو نائل).**
- **ماجد أبو شرار.**
- **أحمد قريع.**

- **عبد العزيز السّيّد.**
- **عمر بشناق.**
- **بكر عبّاس.**
- **علي يونس.**
- **عبد العزيز شاهين.**
- **صبري البنا.**
- **سعيد المزّين.**
- **غالب الوزير.**
- **أحمد القدوة.**
- **رمضان كريرة.**
- **معاذ عابد.**

أمّا قيادات حركة فتح و كوادرها في قطر فكانتُ مشكّلةً من الإخوة:

- **أبو يوسف النّجّار.**
- **محمود عبّاس.**
- **رفيق النّتشه.**
- **سعيد المسحال.**
- **محمد الإفرنجيّ.**
- **فتحي البلعاوي.**
- **معاذ عابد.**
- **إبراهيم الزّرد.**

- **فايز الرّنتيسيّ.**
- **رياض الزّعنون.**
- **صبحي عبد القادر.**
- **فوزي الرّنتيسيّ.**
- **مصطفى الفارس.**
- **سعيد تيّم.**
- **محمّد أبو حزعة.**
- **عوني الكبرا.**
- **شعبان أبو سعد.**
- **عبد المجيد الأسمر.**
- **أحمد رجب.**
- **سليمان الشّرفا.**
- **ياسين الشّريف.**
- **محمود المغربيّ.**

أمّا في ليبيا فتمثّلت كوادر حركة فتح في الأخوة:

- **كمال السّرّاج.**
- **جرير القدوة.**
- **توفيق الشّهابيّ.**
- **غازي عرنوس.**

- **محمود أبو فخر.**
- **أحمد عبد الغفور.**
- **غالب عجّور.**
- **فتحي أحمد.**
- **محمّد سكيك.**
- **يعقوب سابا.**
- **زيد وهبي.**
- **مروان قويدر.**
- **نعيم أبو الشّعر.**

كوادر حركة فتح في قطاع غزّة

لا شك في أنّ قطاع غزّة اكتسب خبرة قتالية أكثر من الضّفّة الغربية في الفترة الزّمنية الّتي تلت النّكبة عام ١٩٤٨وخاصّة وأنّ الحاج أمين الحسيني استقر بها وتمّ تكوين مجموعات قتالية هامة أرسلت إلى منطقة الجليل.

كذلك ظهرت محاولة تكوين قوّة عسكريّة طلب لها الدّعم من الدّول العربيّة... كما أنّ أهل القطاع تدرّبوا على العمليّات العسكريّة بشكل متواصل، وضاعف خبرتهم في العمل الفدائيّ الّذي قاده مصطفى حافظ، وكذلك احتلال إسرائيل للقطاع أثناء العدوان الثّلاثيّ على القطاع ومصر.

ونتيجة لانسحاب الجيش المصريّ دون مقاومة، فرض على العديد من شباب قطاع غزّة وقيادتهم الإنخراط في عملية تنظيم جديدة، وفي نفس الوقت شكّل الطّلبة الّذين خرجوا للدّراسة في مصر فريقاً جديداً ذو أهداف خلاّقة للتّحرير، وكان على رأس هذا الفريق المشاركون في رابطة طلبة فلسطين، سنتناولها كافّةً بالتّفصيل.

وهنا نختصر أسماء كادر فتح في قطاع غزّة وهم:

١- **عبد اللطيف عبيد.**
٢- **جمال عايش.**
٣- **إبراهيم الحفناوي.**
٤- **علي أبو مرسه.**

٥- هندي الشّوبكي.

٦- محمّد جراده.

٧- اسعد الصّفطاوي.

٨- عبد المعطي السّبعاوي.

٩- عمران سنونو.

١٠- محمّد أبو ليل.

١١- يوسف جاد الله شملخ.

١٢- الشّيخ طاهر شبانه.

١٣- الشّيخ بدر شبانه.

١٤- علي أبو الكاس.

١٥- سمير الواديّة.

١٦- محفوظ رحمي.

١٧- صلاح القدوة.

١٨- زهير الوزير.

١٩- مرعي بسيسو.

٢٠- رفيق جابر.

٢١- هشام زينة.

٢٢- عطا أبو كرش.

٢٣- عبد الجواد عليّان.

٢٤- خليل سمارة.

٢٥- بدر الدّين الخزندار.

٢٦- عودة أبو مدين.

٢٧- عبد ربّه أبو مدين.

٢٨- يوسف العرعير.

٢٩- زياد الصّوراني.

٣٠- سليمان أبو حسنين.

٣١- نعيم زيديّة.

٣٢- عادل شراب.

٣٣- سليمان أبو عبدو.

٣٤- محمّد سعيد مكّي.

٣٥- محمّد نعمان الخزندار.

٣٦- خالد ساق الله.

٣٧- ماهر البورنو.

٣٨- فريج الخيري.

٣٩- محمّد أبو جراد.

٤٠- محمّد أبو عبدو.

٤١- صلاح عبدو.

٤٢- يوسف الزّعيم.

٤٣- عايده سعد.

٤٤- خديجة سكيك.

٤٥- محمّد الغزاويّ.

٤٦- يوسف أبوجبارة

٤٧- يوسف أبو زيد.

٤٨- فوزي سعد.

٤٩- علي أبو عيد.

٥٠- محمّد سليمان أبو عيد (طبّسُ).

٥١- إبراهيم أبو طير.

٥٢- اسماعيل النّاقة.

٥٣- عدلي صادق.

٥٤- بشير الصّادق.

٥٥- محمّد جاد الله.

٥٦- مالك الصّوراني.

٥٧- سعيد شملخ.

٥٨- شوقي الفرا.

٥٩- سليم الزّريعي.

٦٠- صدقي العبادلة.

٦١- عبد الله بدوي.

٦٢- خليل سمارة.

٦٣- محمّد العبد شحاته.

٦٤- معوض الجربه.

٦٥- هاني الدّبيكي.

٦٦- راشد الحلو.

٦٧- حمد العايدي (أبو رموز).

وفي نفس الفترة كانت خلايا فتح تتشكل في الضّفّة الغربية ومن قياداتها وكوادرها:

١- **إسحق دزدار.**
٢- **عمر الخطيب (أبو شامخ).**
٣- **فايز خالد حمدانّ (الرّائد خالد).**
٤- **عزّت أبو الرّبّ (خطاب).**
٥- **مصطفى عيسى (أبو فراس).**
٦- **تودّد عبد الهادي.**
٧- **عصام عبد الهادي.**
٨- **تيسير هواش.**
٩- **نصري سعد الله.**
١٠- **أحمد ارشيد.**
١١- **سعيد العطعوط.**
١٢- **عدنان الجولاني.**
١٣- **إبراهيم استنبولي.**
١٤- **مصطفى سمارة.**
١٥- **عبيد الكاظمي.**
١٦- **هشام السعودي.**
١٧- **فاطمة برناوي.**
١٨- **إحسان برناوي.**
١٩- **نعيم قعدان (المختار نعيم).**
٢٠- **محمود محمّد سعيد.**

٢١- أبو عزمي دنديس.

٢٢- الشّيخ ايوب بدوي جنيد.

٢٣- عثمان رشيد الطباخي.

٢٤- رمضان البنا.

٢٥- د. خليل عودة.

٢٦- خالد طنطش.

٢٧- عزمي مزعرو.

٢٨- محمود الهمشري.

٢٩- عبد السّلام الحمور.

٣٠- منير حجازي.

٣١- أبو العزّ عبيدو.

٣٢- مهدي عبيدو.

٣٣- مهدي حجازي.

٣٤- جبران الرّجوب.

٣٥- العبد العويوي.

٣٦- عزمي دنديس.

٣٧- محمّد سالم دنديس.

٣٨- كامل أبو ديّة.

كوادر حركة فتح في مصر

كانت مصر مركزاً أساسيّاً لحركة فتح، منذ أيام النّكبة وما تلاها، وقد استوعبت مصر آنذاك أعداداً كبيرة من الطّلبة الفلسطينيّين، وخاصّة القادمين من غزّة بعناية سياسيّة من الحاج أمين الحسيني آنذاك. ويمكن تقديم كادر فتح في مصر بعد تجمّع أعداد منهم مع القادمين من دول أخرى، والّذين تشكّلت منهم لجنة إقليم مصر على النّحو الآتي:

١- **هايل عبد الحميد/ معتمد الإقليم.**
٢- **إبراهيم الطّري.**
٣- **عبد اللطيف أبو بكر.**
٤- **عبد العزيز أبو جياب.**
٥- **يونس الشّريف.**
٦- **علي الجبالي.**
٧- **جمال عرفات (أبو رؤوف).**

وكان أوائل كوادر حركة فتح في مصر:

١- **خليل الآغا.**
٢- **الطّيّب عبد الرّحيم.**
٣- **ربحي عوض.**
٤- **محمّد الافرنجيّ.**
٥- **نصر وافي.**
٦- **صخر بسيسو.**
٧- **مهدي بسيسو.**
٨- **سفيان الآغا (مجيد).**
٩- **علي الزّميلي.**

١٠- **حازم فؤاد كراون.**
١١- **منذر عزّ الدّين الدّجاني.**
١٢- **خالد الشّريف.**
١٣- **عبد فؤاد كرازون.**
١٤- **مريد الدّجاني.**
١٥- **د. منذر الشّريف.**
١٦- **نزار عمّار.**

أمّا الكادر الّذي التحق بالحركة أثناء دراستهم فمنهم:

١- **مازن أبو غزالة.**
٢- **عبد الله حجازي.**
٣- **زكريا بعلوشة.**
٤- **فتحي الخزندار.**
٥- **يحي الغصين.**
٦- **عمر العسولي.**
٧- **ضيف الله الأخرس.**
٨- **يحي بسيسو.**
٩- **عوني الفيشاوي (أبو معين).**
١٠- **صالح الأسطل.**
١١- **علي مهنّا.**
١٢- **وحيد امطير.**
١٣- **محمّد سعدي بسيسو.**
١٤- **ظاهر عبد اللطيف بسيسو.**
١٥- **زهدي القدوة.**
١٦- **غسّان الآغا.**
١٧- **أسعد الشّريف.**
١٨- **عبد الفتاح الشّريف.**
١٩- **بكر تنيرة.**

حركة فتح في أوروبا

وجدَ الكادر الفتحاويّ في أوروبا منذ بدايات التأسيس، لكنّه لم يكن يعرف بتلك التّسمية، فالكادر كان شكلاً من مجموعات طلاّبيّة بعضها منتظم في خلايا صغيرة اجتمعت على فكرة تحرير فلسطين، وبدأت تلتقي لتحقيق هذا الهدف من خلال بناء تنظيم جديد أسموه «طريق العودة». ولم تكن هذه المجموعات في بلد واحد بل كانت متواجدة في اسبانيا وفرنسا والنمسا وايطاليا ألمانيا الّتي جمعت العدد الأكبر من الطّلاّب والعمال الفلسطينيّين. وبالطبع كانت الخلايا الصّغيرة تقوم بدور تنظيميّ وتعبويّ وسط الطّلاّب في تلك البلدان، وتقوم بجمع التّبرعات لمختلف المهمّات.

لا يمكن القول إنّ مجموعة أوروبا، وخاصّة ألمانيا، من المجموعات التّأسيسية لحركة فتح، فقد ظهرت بعد تأسيس حركة فتح، ولم تكن منظّمة بشكل معروف ومتكامل، لكنّ مجموعة كادر ألمانيا وأوروبا لعبت دوراً هامّاً فيما بعد في رفد الحركة بالكادر وبالإمكانات المادّيّة المحدودة.

وفيما يلي بعضاً من قيادة حركة فتح وكوادرها في ألمانيا:

١- **هايل عبد الحميد (أبو الهول).**
٢- **هاني الحسن.**
٣- **غازي الحسيني.**
٤- **عبد الله الإفرنجي.**
٥- **أمين الهنديّ.**
٦- **زهير مناصرة.**
٧- **يوسف النّونو.**
٨- **أحمد نمر عبد الله.**

٩- **حسين جابر.**

١٠- **محمّد سعادة.**

١١- **أميل خوري.**

١٢- **أحمد ارشيد.**

١٣- **محمّد عبده.**

١٤- **داود بركات.**

١٥- **نبيل نصار.**

١٦- **وليم نصّار.**

١٧- **عدنان أبو عياش.**

١٨- **ربحي محمّد حسين.**

١٩- **سعدي اللقطة.**

٢٠- **سامي أبو سليم.**

٢١- **حيدر ابراهيم.**

٢٢- **عبد الهادي محمّد سعيد.**

٢٣- **يحي حمدان عاشور، وقد كان متواجداً في النّمسا.**

أمّا الكادر الفتحاويّ في سوريا، والّذي لعب أدواراً هامّة في بدايات حركة فتح، والّذي تكونّ معظمه في بداية عام ١٩٦٦ فقد شكّل لجنة تنظيميّة للحركة مكوّنة من الأخوة:

١- **ممدوح صيدم (أبو صبري).**

٢- **عبد الكريم العكلوك (أبو العبد).**

٣- **زكريا عبد الرّحيم.**

٤- **جهاد القراشولي.**

٥- **علي الكردي.**

٦- **عدنان أبو حشمه.**

٧- **صلاح الزّواوي.**
٨- **محمود الخالدي.**
٩- **حسام الخطيب.**

ومن الكادر لحركة فتح في سوريا نذكر:

١- **سعد غندور (أبو عمّار سعد).**
٢- **محمّد عودة (أبو داود).**
٣- **أنيس الخطيب.**
٤- **فهمي تميم.**
٥- **عادل عبد الله.**
٦- **حسن زيدان.**
٧- **محمّد علي عودة.**
٨- **عبد الله عمارة.**
٩- **حسن أبو النّور.**
١٠- **حسن سويد.**
١١- **عمر كتيله.**
١٢- **صبري بدر.**
١٣- **حسين سعيدون.**
١٤- **أحمد عبّاس.**
١٥- **عطا عبّاس (الحاج عطا).**
١٦- **أبو نزار عويص.**
١٧- **الشّيخ فضل.**
١٨- **عبد المجيد زعموط.**
١٩- **يوسف عطا الله.**
٢٠- **خالد الخطيب.**

٢١- ماجد فانوس.
٢٢- شفيق الصّفديّ.
٢٣- باسم عبد الحميد.
٢٤- علي حجّاج.
٢٥- أبو هند.
٢٦- عمر أبو ليلى (مجاهد).
٢٧- حسين الهيبة.
٢٨- أبو علي المدني.
٢٩- مختار بعباع.
٣٠- رفيق التّونسيّ (أبو حميد التّونسيّ).
٣١- محمّد أبو راشد الخاروف.
٣٢- أحمد الوحش.
٣٣- محمّد الوحش.
٣٤- محمود السّهليّ.
٣٥- محمود عوض.
٣٦- معروف عارف.
٣٧- أحمد أبو الهيجا.
٣٨- سعيد سليمان.
٣٩- سعيد شرعان.
٤٠- صلاح أبو زرد.

وممّا لا شكّ أنّ مجموعة سوريا كما مجموعة الأردنّ كانت تقع عليها عدّة مسؤوليات هامّة ودقيقة من أجل بناء قواعد ارتكازيّة على أرض فلسطين، وكذلك تأمين قواعد قريبه مع الحدود مع فلسطين من أجل انطلاق العمليّات الفدائيّة وسنأتي على تفاصيل ذلك لاحقاً.

منظّمة التّحرير الفلسطينيّة

«التّأسيس والتّمثيل»

الممثّل الشّرعيّ والوحيد للشّعب الفلسطينيّ

يسبق الحديث عن تأسيس منظّمة التّحرير الفلسطينيّة عدّة تساؤلات، منها:

هل حقيقة أنّه كان سهلاً تأسيس منظّمة التّحرير الفلسطينيّة أو أنّها وجدت من الفراغ؟ وما هو الواقع السّياسيّ والاجتماعيّ والعسكريّ الّذي ولدت فيه منظّمة التّحرير الفلسطينيّة؟ وهل استطاعت الأحزاب والمنظّمات والحركات اليساريّة والقوميّة والدّينيّة أن تملأ الفراغ في حلم الفلسطينيّين بالانتماء إلى كيان خاصّ بهم في ظلّ ضعف يحيط بالدّول العربيّة وشعوبها في المجالات كافّة بحيث لم يترك للفلسطينيّين نافذة ضوء نحو وطنهم؟

وفي نفس الوقت كانت كلّ دولة عربيّة تحاول الهروب إلى الأمام من الالتزامات الّتي تلاقيها بالنّسبة للقضيّة الفلسطينيّة، فأرادت إلقاء هذا الحمل عنها ورميه على الشّعب الفلسطينيّ... ؟!

تساؤلات كثيرة، لكنّ محصلتها كانت إعادة الرّوح الكيانيّة الفلسطينيّة،

الّتي أسقطت في عدم الاعتراف بحكومة عموم فلسطين بعد النّكبة والمتلاحمة تماماً مع أهداف أخرى تجاوزت حقوق الشّعب الفلسطينيّ وطموحه وأحلامه وقدراته ومستقبله.

ولاشكّ في أنّ هذه الخطوة ومهماتها كانت محدودة إلّا أنّها كانت الضّوء الّذي يشير إلى حقّ الشّعب الفلسطينيّ في كيانيّته ونضاله وجهاده ووطنه وتحرّره وحريته.

ولهذا نحن نعيد ترديد قصّة ولادة منظّمة التّحرير للاعتبار والعبرة، ولرسم ملامح جديدة تضاف إلى المنظّمة منقوصة الحضور من خلال هذا الانقسام الفلسطينيّ العربيّ المسيّج بالتحدي الإسرائيليّ.

البداية

بـدأت الفكـرة منـذ العـام ١٩٤٩ عندما حـاول الحـاجّ أمين الحسـينيّ وقيادة الهيئـة العربيّـة العليـا تشـكيل كيـان فلسـطينيّ، وكذلـك تشـكيل هيئـة جديـدة للوصـول إلى قيـام تنظيـم فلسـطينيّ يشـبه «الاتّحـاد القـوميّ العـربيّ» عام١٩٥٩، لكـن تناقـض المصالـح، ومواقـف الدّول العربيّة، واختـلاف التحالـف فيما بينها أجّـل هـذا الطّمـوح وتلـك الرّؤيـا الّـتي لو أنجزت لشـكّلت جبهـة شرعيّـة التّمثيل وكيانيّتـة، وشـكّلت حركـة المقاومـة في وجـه الكيـان الصّهيـونيّ الجديد.

ولا شـكّ في أنّ ثـورة يوليـو المصريّـة عام ١٩٥٢ قـد أحيـت الآمـال لدى الفلسـطينيّين في دعـم إنشـاء بوابـة ثوريّـة عليهـا أن تـردف النّضال الفلسـطينيّ، فحلـم التّحرير لم يغب يوماً لدى الفلسـطينيّين، ومحاسـبة النّظام العـربيّ الّذي زوّد الجيـش أسـلحة فاسـدة في حربـه ضـدّ العصابـات الصّهيونيّة والجيـش الإسرائيليّ وضـع في الذّاكـرة الفلسـطينيّة بارقـة ضـوء وأمل.

وكذلـك فـإنّ انطـلاق الثّـورة الجزائريّـة أعطـى نموذجـاً حيّـاً في مقاومـة الاحتـلال والاسـتعمار، وحـتّى أنّ المناضلـة جميلة بوحـيرد دخلـت إلى قلب وعقل كلّ طفل وشـاب وامرأة فلسـطينيّة وأصبحـت نموذجاً للمشـاركة والتضحية... وكان تأميـم قناة السـويس حدثـاً هزّ المشـاعر العربيّة، وفتح بـاب التّفكير الثّـوريّ ضدّ الاسـتعمار، وكان لفشـل العدوان الثّلاثيّ على مصر بعد تأميم القناه عام ١٩٥٦ سحراً خاصّـاً لعبـد النّـاصر ولمصر وللفلسـطينيّين... كمـا أنّ إلغـاء المعاهـدة -البريطانيّة الأردنيّـة-، وطـرد كلـوب باشـا، و إسـقاط حلف بغـداد، وتحقيـق الوحدة السّـوريّة المصريّـة باسـم الجمهوريّـة العربيّـة المتّحـدة قد حـرّك المشـاعر الفلسـطينيّة، فبدأ

حلـم التّحريـر بخطوات ولـو صغيرة إنّمـا كإشـارة إلى أنّ المـدّ الوطنيّ الفلسـطينيّ قـد نضح لبنـاء خلايا ونوايـا وعنـاصر فدائيّة جاهزة للفـداء والتّضحية مسـتفيدة مـن الأحـداث الّتي سـبقت كعناويـن للتّحرير.

ولا شـكّ أنّ جمـال عبد النّـاصر أبدى اهتمامـاً خاصّاً بالقضيّة الفلسـطينيّة، ورأى منـذ البدايـة أنّ قطـاع غـزّة وهـو السّـور والخندق وخـطّ الدّفـاع الأوّل عن مـصر، هو العنـوان القـوميّ الأوّل الّذي يجـب رعايته.

ورغـم أنّه لـم تكن لديه خطّـة أو إمكانيّة اسـتعداد آنذاك لتّحرير فلسـطين -كمـا قـال- إلّا أنّـه أمـر ومنـذ بدايـة الثّـورة المصريّـة ١٩٥٢ باعـداد عـدد مـن الفدائيـين الّذيـن حـدّدت لهم مهمّة الاسـتطلاع وجمـع المعلومات عن كيـان العدو سـواء الطّـرق أو الجسـور أو السـدود أو مـولدات الكهربـاء، وكلّ مـا يخـدم العـدو اسـتراتيجيّا... إضافـة لجمـع معلومـات عـن تحرّكات الجيـش الإسرائيـليّ، حيث لم يكـن الفدائيـون الّذيـن يقومـون بتلـك المهمّـات مصريين فقـط بـل كان يتعاون مـع المخابـرات والاسـتخبارات المصريّة عـدد من العنـاصر في الضّفّـة الغربيّة، كما كانـت هي المهمّـات نفسـها بالتّنسـيق مـع الأردنّ في جمـع المعلومات.

كانـت تلـك المعلومـات تأتي مـن خلال أولئـك الرّجـال الّذين كانـوا يبحثون عـن الأهـداف العسـكريّة، وكانـوا في نفـس الوقـت يقومـون بتغطيـة مهماتهـم العسـكريّة «بسرقـة»، أو الاسـتيلاء على قطعـان المـواشي أو الأبقـار...!

بعـد العدوان الثّـلاثيّ على مصر عام ١٩٥٦ تعـددّت الأوّلويـات أمام الحكومة المصريّـة ولـم تحـظ القضيّـة الفلسـطينيّة بأولويات تلـك الاهتمامـات. إلّا أنّ عبد النّـاصر كان يبحث عن كيانيّة للشّـعب الفلسـطينيّ تسـاهم في الصّراع مـع العدوّ، وفي نفـس الوقـت (لا تخرج عـن طوعه) كمـا يقال.

كانت تلك الفترة الّتي تلت العدوان الثّلاثيّ على مصر، ومع بداية السّتينات -وجوها وتوصية- ملائمة لإنشاء الكيان الفلسطينيّ الّذي انتظره الشّعب الفلسطينيّ، وسبقته عدّة محاولات كما أشرنا حتّى حكومة عموم فلسطين.

وبناء على مبادرة من مندوب مصر في الجامعة العربيّة قرّر مجلس الجامعة العربيّة في ١٩٥٩/٣/٩ بناء على توصية اللجنة السّياسيّة الطلب إلى الدّول العربيّة عقد اجتماع لدراسة «إعادة تنظيم الشّعب الفلسطينيّ وإبراز كيانه، شّعباً موحّداً له طريقه الوطنيّة النّضاليّة، لا مجرد لاجئين».

وبناء على ذلك اتّخذ المجلس أوّل قرار بهذا الشأن في دورته الأربعين ١٩٦٣/٩/١٩ بالموافقة على توصية اللجنة السّياسيّة، وكان ذلك في اليوم الّذي توفي فيه مندوب فلسطين في الجامعّة العربيّة أحمد حلمي عبدالباقي.

وطبقا لميثاق الجامعة العربيّة ووجهة النظر المصريّة فقد تمّ اختيار أحمد الشّقيريّ لكي يتولى هذا المقعد الشّاغر.

وهنا يمكن اختصار التعريف بالشّخصية الفلسطينيّة الّتي تم اختيارها. فلقد تمّ اختيار أحمد الشّقيريّ مساعداً لعبد الرحمن عزام، الأمين العام للجامعة العربيّة عام ١٩٤٨، ومثّل الجامعة العربيّة في محادثات رودس ١٩٤٨، ومثّل الحكومة السّوريّة في عدّة مؤتمرات عالميّة.

وفي فبراير/ شباط ١٩٥١ عيّن أميناً مساعداً للجامعة العربيّة، ولكنّه ظلّ يعمل ضمن الوفد السّوريّ في الأمم المتّحدة بالإعارة، حتّى عام ١٩٥٧، حيث وافقت سوريا بعدها على أنّ يمثّل أيضاً المملكة العربيّة السّعوديّة في الأمم المتّحدة.

في الأسبوع الأوّل من شهر أيلول /١٩٦٣ اتّصلت السّفارة العراقيّة بأحمد الشّقيريّ الموجود في بيروت، بعد استقالته من وظيفته الّتي ذكرنا، وأبلغته السّفارة في رسالة من عبدالخالق حسونه الأمين العام للجامعة العربيّة آنذاك يطلب منه فيها مغادرة بيروت، والحضور إلى القاهرة. وفي نفس اليوم التقاه السّفير المصريّ في لبنان ليبلغه رساله من جمال عبد النّاصر، يطلب فيها شفوياً قبول منصب ممثّل فلسطين لدى الجامعة العربيّة.

لقد كان اختيار عبد النّاصر للشّقيريّ تقديراً منه لموقف أحمد الشّقيريّ في الأمم المتّحدة عندما نشبت الأزمة بين مصر والسّعوديّة بشأن اليمن وتغيير نظام (ملكيّة البدر) إلى جمهورية اليمن بقيادة عبدالله السّلاّل، وتضاعف الخلاف بين مصر والسّعوديّة حتّى وصل إلى أروقة الأمم المتّحدة، حيث طلب منه الأمير فيصل -رئيس وزراء السّعوديّة ووزير خارجيتها آنذاك - أنّ يسلّم البرقيّات الّتي تشرح فيها اعتداء مصر على الحدود السّعوديّة، فرفض... فكان الجواب: وظيفتك أنّ تنفذّ التّعليمات لا أنّ تفسرها... وأصبح الشّقيريّ في آب/١٩٦٣ ممثّلاً للمملكة العربيّة السّعوديّة في الأمم المتّحدة.

رغم ترحيب الجامعة العربيّة باختيار أحمد الشّقيريّ ممثّلاً لفلسطين في جامعة الدّول العربيّة إلّا أنّ المملكة العربيّة السّعوديّة اعترضت على شخص الشّقيريّ، وكذلك الأردنّ الّذي رأى في هذا الاختيار مؤشّراً ربما يؤدّي إلى فصل الضّفّة الغربيّة عن الأردنّ، وخلق كيان فلسطين منها. كما أنّ مندوب العراق أشار إلى ضرورة اختيار ممثّل فلسطين اختياراً ديمقراطيّاً من قبل الشّعب الفلسطينيّ، فردّ عليه الشّقيريّ: «ليس هناك حياة ديمقراطيّة في العراق، فقد انتهت مع موت نوري السّعيد».

صدر القرار (١٩٣٣) باختيار أحمد الشّقيريّ مندوباً لفلسطين في جامعة

الدّول العربيّـة، وجـاء في القـرار الصّـادر عـن الدّورة الأربعين للجامعـة العربيّة:

- التّأكيد على أنّ الشّـعب الفلسـطينيّ هو صاحب الحقّ الشّرعيّ في فلسـطين وأنّ مـن حقّه أنّ يسـتردّ وطنه، ويقـرّر مصيره، ويمارس حقوقـه الوطنيّة الكاملة.

- التّأكيـد على أنّ الوقـت قـد حـان ليتـولى أهل فلسـطين أمر قضيتهـم، وأنّ واجـب الدّول العربيّـة أنّ تتيـح لهـم الفرصة المناسـبة لممارسـة هـذا الحقّ.

مـن المفيـد أنّ نعـرف أنّه وحـتّى نهايـة عام ١٩٦٣ أصـدرت الجامعـه العربيّة (٥٨٩) قـراراً بشـأنّ فلسـطين لم تنفذ معظمهـا، ورغم أنّ عبد النّـاصر كان يريد أنّ يخـرج القضيّـة من حالـة الجمـود وبالطّبع تبنّيهـا ليكون لمـصر الأفضليّـة القوميّة فـإنّ ذلـك لم يرق للسـوريين الّذين ينافسـون عبد النّـاصر، وخاصّة بعـد الانفصال لدولـة الوحـدة الّتي لم تـدم طويلاً.

وفي الفـترة الواقعـه مـا بـين ١٣-١٦ كانـون الثّـاني ١٩٦٤ انعقـد مؤتمـر القمة العربيّـة الأوّل في القاهـرة في الوقـت الّذي كانـت فيـه الخلافات العربيّـة في أوجها؛ فهنـاك خلافـات بـين المغـرب والجزائـر، حيث كانـت مصر تؤيّـد الجزائـر، وكذلك هنـاك الخـلاف العميق بـين مصر والسّـعوديّة نتيجة لحـرب اليمن، وقـال: «لم ترض السّـعوديّة لشّـعب اليمـن أنّ يحيـا»، وتصدّت لثورة اليمـن. وفي خطابه في بورسـعيد ١٩٦٣/١٢/٢٣ هاجـم حـزب البعـث في سـوريا وقـال: "حـزب البعث اليـوم يعاني من سـكرات المـوت، البعـث الانتهـازي لـم يحسـن اسـتخدام الصّفحـة الجديـدة الّتي فتحـت له للتّعـاون مـع العناصر القوميّـة"... كذلـك كان هناك خلاف بـين المغرب وتونـس؛ لأنّ تونـس اعترفـت باسـتقلال موريتانيـا، والمغـرب كان يؤكّـد أنّهـا من الـتّراب المغـربيّ كمـا هو الحـال بالنتيجـة للصحراء.

في هـذا الواقـع المعقد لـلدّول العربيّة لم توجّـه دعوة لأحمد الشّـقيريّ لحضور

القمّة؛ فهدّد بالاستقالة. ونتيجة لذلك تمّت الموافقة على حضور الشّقيريّ في مؤتمر الملوك والرّؤساء. وأصبحت القضيّة الفلسطينيّة وممثّليها يحتلّون مقعدهم الدّائم في القمم العربيّة.

ترأس المؤتمر الأوّل الرّئيس العراقيّ عبد السّلام عارف آنذاك، وحضره الأمين العام لجامعة الدّول العربيّة عبدالخالق حسونة، والملك حسين ملك الأردنّ، والرّئيس الجزائريّ أحمد بن بلا، والرّئيس السّودانيّ الفريق إبراهيم عبود، والرّئيس السّوريّ أمين حافظ، وأمير دولة الكويت الشّيخ عبدالله السّالم الصّباح، وولي عهد ليبيا الأمير حسن الرّضا، والرّئيس التّونسيّ الحبيب بورقيبه، وملك المملكة العربيّة السّعوديّة سعود بن عبدالعزيز آل سعود، والملك الحسن الثّاني ملك المغرب، والرّئيس اليمنيّ المشير عبدالله السّلّال، والسّيّد رشيد كرامي رئيس وزراء لبنان نيابة عن الرّئيس فؤاد شهاب. حيث ناقش الزعماء العرب في المؤتمر عدداً من القضايا أهمّها:

- **تصفية الأجواء بين زعماء العرب، وحلّ الخلافات القائمة بينهم.**
- **تحويل مجرى روافد نهر الأردنّ رداً على سحب إسرائيل مياه النّهر.**
- **القضيّة الفلسطينيّة.**

وفي هذا المؤتمر تنازل الشّقيريّ عن الكثير من الأمور الّتي يعتقد فيها خلق الكيان الجديد ممثّلا في (م. ت. ف)، والّذي يتيح له حضور المؤتمرات باسم منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، وليس ممثّلاً لفلسطين في الجامعة العربيّة.

المؤتمر الوطنيّ الفلسطينيّ الأوّل

عقد المؤتمر الوطنيّ الفلسطينيّ الأوّل في القدس في ٢٨/أيار ١٩٦٤، وقد حضر المؤتمر الملك حسين رغم كلّ الضّغوط الّتي مورست عليه؛ فقد قالت سفارة الولايات المتّحدة الأمريكيّة في الأردنّ: «إنشاء الكيان تعطيل للجهود السّلميّة الّتي بذلتها الولايات المتّحدة لإنهاء النزاع العربيّ الإسرائيليّ عبر السنين» - وتتردد تلك العبارة بطرق مختلفة وحتّى اليوم والسّاعة !!

وبلغ عدد مندوبي الشّعب الفلسطينيّ ٤٥٠ عضواً، واشترك في المؤتمر وزراء خارجيّة الدّول العربيّة جميعاً باستثناء وزير خارجية المملكة العربيّة السّعوديّة، كما لم يسمح لممثّلي فلسطين في السّعوديّة من الحضور. وأعلن الشّقيريّ في هذا المؤتمر قيام «منظّمة التّحرير الفلسطينيّة» ممثّلة للشّعب الفلسطينيّ، وتم انتخاب الشّقيريّ رئيساً للجنة التّنفيذيّة لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة.

قرّر المؤتمر في جلسته الختامية ما يلي:

- **الطّلب من جامعة الدّول العربيّة اتّخاذ موقف حاسم تجاه دول السّوق الأوروبيّة المشتركة لمنحها إسرائيل امتيازات خاصّة.**

- **قيام م. ت. ف بتّمثيل فلسطين لدى جامعة الدّول العربيّة، وكانت المقاطعة، والأمم المتّحدة ومنظّماتها ووكالاتها المختلفة، والمؤتمرات الرّسميّة والشّعبيّة تمتلك وحدها حقّ تّمثيل الفلسطينيّين وتنظيمهم والنّطق باسمهم.**

- **إبلاغ جميع الدّول والمنظّمات الدّوليّة والشّعبيّة والحركات التّحريريّة في العالم عن قيام م. ت. ف، وأهدافها، وطلب المساندة والتعاون والتأييد لها.**

أمّا القرارات الّتي أخذها المؤتمر فهي:

- **المباشَرَة فوراً بفتح معسكرات التّدريب للقادرين على حمل السّلاح من الشّعب الفلسطينيّ رجالاً ونساءً وبصورة إلزاميّة تهيّئ كلّ فرد منهم ليكون على مستوى التّحرير.**

- **تشكيل كتائب فلسطينيّة عسكريّة نظاميّة، وكتائب فدائيّة قادرة وفعّالة.**

- **اتّخاذ كافّة الإجراءات السّريعة لتزويد الكتائب الفلسطينيّة بمختلف الأسلحة الحديثة والتّجهيزات اللازمة.**

- **إنشاء جهاز عسكريّ متخصّص في القيادة العربيّة الموحّدة، يساهم فيه الفلسطينيّون لتنظيم الإفادة من طاقات الشّعب الفلسطينيّ في الميدان العسكريّ على النّطاق الواسع.**

بعد المؤتمر الأوّل الّذي عقد في القدس ظهر أنّ أحمد الشّقيريّ -رغم انتخابه من بعض الأعضاء الحاضرين كرئيس للجنة التّنفيذيّة لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة- قد وقع في عدّة أخطاء منها:

- **دخوله في صراع مع "حركة فتح «الّتي كان يرى فيها قوّة بديلة" له بحكم إيمانها بالعمل الفدائيّ الّذي استقطب كلّ طبقات وفئات الشّعب الفلسطينيّ.**

- **إلغاؤه لمشاركة أكبر عدد من الشّخصيّات الوطنيّة الفلسطينيّة الّذين رشحتهم الهيئة العربيّة العليا... متجاوزاً بذلك على شخصيّة الحاجّ أمين الحسينيّ التّاريخيّة وحضوره الوطنيّ الكبير بما في ذلك الولاء له شخصيّاً.**

- الدخول في صراع مع عدد كبير من الدّول العربيّة ذات التأثير الكبير في الجامعة العربيّة، والقضيّة الفلسطينيّة وهي سوريا والمملكة العربيّة السّعوديّة.

- انعكاساً لما سبق ولاءه المطلق لجمال عبدالنّاصر بحكم ترشيحه له والمساهمة في ولادة م. ت. ف، في وقت كانت فيه الدّول العربيّة أما خاضعة للاستعمار الفرنسي أو البريطاني، أو مواليه له، وكذلك منغمسة في صراع ثنائي فيما بينها أو في محاورها وتحالفاتها.

- اعتباره لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة خاضعة لرئيسها فقط يقيل من يشاء ويعزل من يشاء ويعين من يشاء. وابلغ مثّل هو عزل خليل الوزير من مكتب م. ت. ف وفتح في الجزائر وتعيين شخص آخر، مع العلم أنّ مؤسس المكتب هو خليل الوزير برعاية وحماية ودعم الحكومة الجزائريّة.

- تنازل أحمد الشّقيريّ في «الميثاق القومي» للمنظّمة في المادة الرابعة الّتي نصت على «أنّ المنظّمة... لا تمارس أي سيادة إقليمية، على الضّفّة الغربيّة في المملكة الأردنّية الهاشمية، ولا قطاع غزة، وسيكون نشاطها مقتصراً على المستوى القومي الشّعبي في الميادين التّحريرية والتنظيمية. كذلك، بالرغم من إنشاء جيش التّحرير الفلسطينيّ، فقد تم "بشرط أن تختار المنظّمة أفراد وضباط هذه القوات وتسلمها، وتدريبها وفق خطة تضعها القيادة العامة الموحدة بمشاركة م. ت. ف".

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أنّ م. ت. ف أنشئت بقرار من الملوك والرؤساء العرب وليس من الشّعب الفلسطينيّ نفسه لولا أنّ هناك تطورات سياسية حصلت أضفت الشرعيّة والتّمثيل الشّرعيّ للشّعب الفلسطينيّ، وإلا فإن قراراً آخر من الملوك والرؤساء العرب يلغي قرار الإنشاء الأوّل.. !

لقد كان للعمليات العسكريّة الّتي أطلقتها حركة فتح قبل انطلاقة ١٩٦٥/١/١ أثراً واضحاً لدى الدّول العربيّة وخاصّة مصر، ويمكن لهذا العمل الفدائي أنّ يفلت من بين أيدي الدّول العربيّة. لهذا كان إنشاء منظّمة التّحرير الفلسطينيّة الّتي وضعت القواعد والبنود للسيطرة عليها، ورغم أنّ مصر شكّلت أول كتيبة فدائية بقيادة مصطفى حافظ إلا انها كانت تسيطر عليها وانهتها بعد عدوان ١٩٥٦ رغم انجازاتها الكبيرة!!

إن عمليات «فتح» الفدائية قبل عام ١٩٦٤، و١٩٦٥ كان تعتبر أجراس للإعلان عن أنّ هناك عدّة عمليات عسكريّة ستنطلق ضد العدو الصّهيونيّ من الطرف الأردنّي والسّوريّ واللبناني ومن قطاع غزة، وكان هذا يشكل رسائل واضحة للدول العربيّة بأنّ عملية النضال الفلسطينيّ لتّحرير الوطن قد انطلقت... وأعلنت فتح في العام ١٩٦٥ أنها نفذت وتحت اسم قوات العاصفة ١٤٦ عملية عسكريّة، ٥٥٠ عملية عام ١٩٦٦، ١٤٦ عملية عام ١٩٦٧، ٦٦٧ عملية في العام ١٩٦٨.

هنا يظهر بوضوح أنّ حركة «فتح» هي التنظيم الرائد والقائد للنضال الفلسطينيّ والّتي سبقت كلّ الأحزاب والتنظيمات، والّتي ولدت فيما بعد، وهي صاحبة الحضور العسكريّ و السّياسيّ والشّعبي، وبالتالي هي أقوى وأولى و أكثر فاعلية وحضوراً من منظّمة التّحرير الفلسطينيّة الّتي كانت شبه تشكيل رسمي غير فعال، وبالتالي كان من الضروري إجراء تغيير على قيادة وبنية وسياسة وهيكل م. ت. ف بعد فشل سياسة التجاوز الّتي إتبعها أحمد الشّقيريّ، الّذي حاول أنّ يتدارك الأمر فأعلن في ١٩٦٦/١٢/٢٦ عن عزمه على تشكيل ما يسمى «مجلس الثورة لمنظّمة التّحرير» الّذي سيأخذ على عاتقه أعداد الشّعب لخوض معركة التّحرير، وأدان بيان الشّقيريّ عمليات ملاحقة الفدائيين ومطاردتهم والاشتباك معهم بالسلاح.

جدليّة علاقة فتح بمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة

أودّ التأكيد على أنّه ومنذ اليوم الأوّل لنشوء منظّمة التّحرير الفلسطينيّة برئاسة أحمد الشّقيريّ الّذي عّين بقرار من بعض الحكومات العربيّة، وخاصّة مصر، وبعناية الرئيس جمال عبدالنّاصر. وللأسباب الّتي ذكرناها تبنيّ الشّقيريّ الأهداف المصريّة في اليمن عندما كان سفيراً للمملكة العربيّة السّعوديّة. وعندما بدأت الدّول العربيّة تستشعر قدوم الثّائر والمقاتل الفلسطينيّ، ولكي لا تسقط الورقة الفلسطينيّة من أيدي بعض الأنظّمة الّتي كانت تستخدم القضيّة للمزاودة بها على شعوبها قرّرت هذه الدّول إنشاء منظّمة التّحرير الفلسطينيّة.

وبدون أن تدري قيادة المنظّمة والأسماء الفاعلة، وأوّلهم أحمد الشّقيريّ، أنّهم بمهاجمتهم فتح من على كلّ المنابر، قد ساعدوا فتح على الانتشار والوصول إلى كل بيت فلسطينيّ، وخاصّة أنّ فتح كانت تنادي بالاستقلاليّة وعدم تدخّل الدّول العربيّة في سياساتها، وأنّ الكفاح المسلّح هو الأداة الأوّلى والرّئيسة لتحرير فلسطين، فاستقطبت الشّارع الفلسطينيّ الّذي تخنقه النّكبة والأنظمة كلّ يوم وكلّ لحظة.

أحيا هذا الموقف كلّ الحنين والشّوق للعودة إلى فلسطين، وبدأ الشارع يجترّ مجدّداً ذكرياته في فلسطين ومشاركة بعضهم في معارك فلسطين، وقصص السّلاح، واللجوء، والانتصارات الّتي لم يعلن عنها... وفازت فتح، وعزل قبل أن يستقيل أحمد الشّقيريّ بعد أن قدّم سبعة أعضاء من اللجنة التنفيذية

مطالبتهم باستقالته، وبعد وقت قليل استلمت فتح بقيادة ياسر عرفات عام ١٩٦٩ رئاسة المنظّمة.

في هذه الفسحة من السّرد لتاريخ م. ت. ف، لا بدّ لي هنا من ذكر بعض اللحظات الدّقيقة الّتي وضعت «فتح» على القائمة الأولى للعمل الوطنيّ الفلسطينيّ من خلال مشاركة قيادات فتح في المؤتمر الفلسطيني الأوّل.

فلقد حاول الشّقيريّ أن يتناسى قوّة ووجود فتح كما فعل مع قيادات الهيئة العربية العليا والحاج أمين الحسينيّ من خلال استثنائهم من المشاركة في المؤتمر الأوّل بأوامر خارجيّة، ومنه شخصيّاً، وخوفاً من خروج السّلطة من يده. ولهذا وبعد مواجهة عنيفة معه من كل من خليل الوزير وكمال عدوان دخلت أربعة أسماء من فتح إلى اللجنة السّياسيّة للمؤتمر، وهم: ياسر عرفات، وخليل الوزير، وكمال عدوان، ورفيق النّتشه. وهنا تجدر الإشارة إلى أن ياسر عرفات لم يشارك في هذا المؤتمر رغم وجوده في القدس، فلقد كان يراقب عن كثب الخطوات كافّة الّتي سبقت المؤتمر، وتفاصيل المواقف، والشّخصيّات المشاركة، والمواقف السّياسيّة النّاتجة عنه؛ حتّى لا يلزم فتح بما لا يقبل به الشّعب الفلسطينيّ.

وبدلاً من حضوره فقد اشترك كلّ من خالد الحسن، وزهير العلمي، وهاني القدومي عن فتح، بالإضافة إلى أكثر من خمسة عشر عضواً من فتح دون معرفتهم من الشّقيريّ وغيرة.

الإطار السّياسيّ الأوّل لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة

المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ

يعدّ المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ (حاضنة الدّيمقراطيّة الفلسطينيّة) البرلمان الفلسطينيّ، أو مجلس النوّاب الفلسطينيّ مجازاً؛ لأنّ تشكيله لم يتّبع النّظم الدّيمقراطيّة الحديثة، بل إنّه جاء مقلّداً لها؛ فهو لم ينتخب من الشّعب الفلسطينيّ انتخاباً كما هو الحال في (المجلس التّشريعيّ)، لكنّه يعدّ الهيئة التّمثيليّة التّشريعيّة للشّعب الفلسطينيّ بأسره داخل فلسطين وخارجها والّذي عدّ حسب نصّ المادّة السّابعة من النّظام الأساسيّ لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة: «السّلطة العليا لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة»، وهو الّذي يضع سياسة م. ت. ف وخططها وبرامجها، مع العلم أنّ ذلك لم يكن متاحاً من خلال إجراء انتخابات تشريعيّة آنذاك.

يشكّل المجلس الوطنيّ المرجعيّة العليا لكلّ هيئات «م. ت. ف» ومؤسّساتها، ويختص بكلّ المسائل الدّستوريّة والقانونيّة والسّياسّة العامّة المتعلّقة بالقضايا المصيريّة للشّعب الفلسطينيّ، وكلّ ما يتعلّق بمصالحه الحيويّة العليا... كما ورد في نصّ التّعريف به.

لقد ظهرت تسمية ونشأة المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ ومنظّمة التّحرير الفلسطينيّة في المؤتمر الأوّل الّذي عقد في القدس عام ١٩٦٤، وفي الحقيقة كانت من قبل (عام ١٩٤٨) حين صارع الحاج أمين الحسينيّ في خلق الكيانيّة الفلسطينيّة السّياسيّة الّتي انطلقت مع أيام النّكبة الأوّلى في غزّة، حيث شكّل

المجلس أوّل سلطة تشريعيّة فلسطينيّة على أرض الدّولة العربيّة الّتي نصّ عليها قرار الأمم المتّحدة رقم ١٨١/ عام ١٩٤٧.

لقد شكّل المجلس حكومة عموم فلسطين، وقد ترأّس أحمد حلمي عبد الباقي هذه الحكومة، ومثّل فلسطين في جامعة الدّول العربيّة رغم اعتراض بعض الدّول العربيّة ومعارضتها ومحاربتها وعدم الاعتراف بها، أمّا المؤتمر الفلسطينيّ الأوّل الّذي عقد في القدس فقد بلغ عدد أعضائه ٣٩٧ عضواً، تمّ اختيارهم من أماكن وجود الفلسطينيّين في كلّ من الأردنّ، وقطاع غزّة، وسوريا، ولبنان، والكويت، والعراق، ومصر، وقطر، وليبيا.

وقد خرج هذا المؤتمر بالقرارات الآتية:

- **إعلان قيام منظّمة التّحرير الفلسطينيّة.**
- **المصادقة على الميثاق الوطنيّ القوميّ لـ (م. ت. ف).**
- **عُدّ المؤتمر بكامل أعضائه (المجلس الفلسطينيّ الأوّل)، والّذي عقد أحدى وعشرين دورة للمجلس الفلسطينيّ، والّتي كان أكثرها إثارة هي:**
- **الدّورة الاستثنائيّة الّتي عقدت في عمّان في الفترة الواقعة بين ٢٧-١٩٧٠/٨/٢٨ في عمّان.**
- **الدّورة التّاسعة عشرة الّتي عقدت في الجزائر بين ١٢-١٩٨٨/١١/١٥، والّتي سمّيت «دورة إعلان الاستقلال».**
- **الدّورة الحادية والعشرين الّتي عقدت في غزّة، والّتي طالبت بإلغاء بعض البنود من الميثاق الوطنيّ الفلسطينيّ، وقد تمّ ذلك في غزّة بحضور الرّئيس الأمريكيّ بيل كلينتون.**

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هناك بعض القرارات الهامّة الّتي صدرت عن المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ، ومنها:

- **قرار قيام م. ت. ف بتمثيل فلسطين في كلّ المحافل الإقليميّة والدّوليّة.**
- **المصادقة على النّظام الأساسيّ للصندوق القوميّ الفلسطينيّ وهذان القراران صدرا في الدّورة الأوّلى عام ١٩٦٤، أمّا في الدّورة الرّابعة فقد صدر قرار تقليص عدد أعضاء المجلس إلى مائة عضو بعد أن كانوا أكثر من خمسمائة عضو في الدّورة الثّالثة، وكان ذلك في عام ١٩٦٨. كما صدر في هذه الدورة عدّة قرارات أهمّها:**

١. **قرار تغيير اسم الميثاق القوميّ الفلسطينيّ إلى الميثاق الوطنيّ الفلسطينيّ.**

٢. **قرار فصل رئاسة المجلس الوطنيّ عن رئاسة اللجنة التّنفيذيّة.**

٣. **قرار إنقاص عدد أعضاء اللجنة التّنفيذيّة إلى أحد عشر عضواً، يتمّ انتخابهم من المجلس الوطنيّ، ومن بين أعضائه.**

في الحديث عن منظّمة التّحرير الفلسطينيّة لا يمكن تجاوز دوائرها ونظمها، فلكل دائرة مهمّات حساسة ووثيقة، ولها دور في حالة النضال الفلسطينيّ، وبدون الدّخول في تفاصيل ذلك نذكر هذه الدّوائر، وهي:

١- **الدّائرة السّياسيّة.**

٢- **الدّائرة العسكريّة.**

٣- **دائرة الصّندوق القوميّ.**

٤- **دائرة شؤون الوطن المحتلّ.**

٥- **دائرة التّربية والتّعليم.**

٦- **دائرة العلاقات القوميّة.**

٧- **دائرة الإعلام والثّقافة.**

٨- **دائـرة التّنظيـم الشّـعبيّ: وهي من أهـمّ الدّوائـر في منظّمـة التّحرير الفلسـطينيّة، وهي الّـتي تعـنى بالاتّحـادات والمنظّمـات الشّـعبيّة، وتـشرف على مؤتمراتهـا وانتخاباتهـا، وهي:**

- **الاتّحاد العامّ لعمال فلسطين.**
- **اتّحاد الشّبيبة.**
- **الاتّحاد العامّ للمرأة الفلسطينيّة.**
- **الاتّحاد العامّ لطلبة فلسطين.**
- **الاتّحاد العامّ للصحفيين والكتّاب الفلسطينيين.**
- **الاتّحاد العامّ للمعلّمين.**
- **جمعيّة الهلال الأحمر الفلسطينيّ.**
- **المجلس الأعلى للشّباب والرّياضة.**
- **الحركة الكشّفيّة الفلسطينيّة.**
- **الاتّحادات الرّياضيّة.**

٩- **دائرة الشّؤون الاجتماعيّة، وهي من أهمّ هذه الدّوائر.**

١٠- **دائرة الشّؤون الإداريّة.**

١١- **دائرة شؤون المفاوضات.**

١٢- **دائرة شؤون اللاّجئين.**

كمـا تجدر الإشـارة هنـا إلى أنّ النّظام الأسـاسيّ لمنظّمة التّحرير الفلسـطينيّة

يشكّل الحركة الدّيناميكيّة للمنظّمة، وعملها اليوميّ والشّهريّ والسّنويّ من خلال الهيكل التّنظيميّ لها، والذي أشرنا إليه. ويمكن اختصار النّظام الأساسيّ بهذا التّرتيب الموجز:

- **الباب الأوّل: مبادئ عامّة.**
- **الباب الثّاني: المجلس الوطنيّ.**
- **الباب الثّالث: اللجنة التّنفيذيّة.**
- **الباب الرّابع: أحكام عامّة.**
- **الباب الخامس: أحكام انتقاليّة، حيث يؤكّد هذا الباب على وضع المجلس الوطنيّ القانونيّ، ودور البديل أو الثّابت، وصلاحياته.**

منظّمة التّحرير الفلسطينيّة هي أحدى أهمّ مكونات الكيانيّة الفلسطينيّة في المراحل السّابقة، ولا يمكن تناسيها، أو إلغاء دورها بعد أن شكّلت وحدة سلسلة فصائل الثورة الفلسطينيّة، الوجه الرّسميّ للشّعب الفلسطينيّ المتحدّث باسمه على مستوى العالم، والعالم العربي، والداخل الفلسطينيّ. وهنا يظهر بوضوح عناية حركة فتح بمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة وأجهزتها المختلفة، وهنا لابدّ من ذكر مساهمات منظّمة التّحرير في حياة الثورة الفلسطينيّة وتاريخها، وهذه المساهمات هي:

- شكّلت (م. ت. ف) أوّل مساهمة هامّة لها من خلال عقد أوّل اتّفاقيّة تعقدها حكومة عربيّة والّتي وقّعت من أجل تنظيم العلاقة الثّنائيّة بين المنظّمة والحكومة اللبنانيّة، وهي اتّفاقية القاهرة الموقّعه بتاريخ ١٩٦٩/١١/٢.

- التّأثير الّذي أحدثه انضمام الجبهة الشّعبيّة لتحرير فلسطين في الدّورة السّادسة

للمجلس الوطنيّ في ١-١٩٦٩/٩/٦ الّتي عقدت في القاهرة. ونتيجة لهذا الانضمام أعلنت المنظّمة رفضها لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

- أدّى الخلاف والصّدام بين م. ت. ف والحكومة الأردنيّة إلى عقد قمّة عربيّة استثنائيّة وبالطّبع وبدور حيويّ ونشيط من الرّئيس جمال عبدالنّاصر في الفترة ما بين ٢٦-١٩٧٠/٩/٢٧، حيث توصّلت القمّة إلى اتّفاقيتي عمّان والقاهرة اللتين هدفتا إلى تنظيم العلاقة بين م. ت. ف والحكومة الأردنيّة.

- تواصل الصّدام بين م. ت. ف وفصائلها والحكومة الأردنيّة في العام ١٩٧٠، وخروج قوّات الثّورة من الأردنّ في أيلول/١٩٧١.

- مساهمة المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ في طرح مشروع سياسيّ جديد على السّاحة الفلسطينيّة في دورته السّابعة ودورته الثّامنة، حيث دعا إلى دولة ديمقراطية علمانيّة، وتمّ إقرار ذلك رغم حداثة الموضوع.

- أدّى طرح الملك حسين لمشروع المملكة العربيّة المتّحدة إلى زيادة الخلاف بين م. ت. ف والحكومة الأردنيّة. فقد وجدت م. ت. ف أنّ هذا المشروع يتناقض مع أهداف الشّعب الفلسطينيّ، في حين رأى الأردنّ أنّ في المشروع إمكانيّة توحيد قوّة الفلسطينيين و الأردنيين الّتي ستؤدّي إلى إعادة كلّ الأرض الّتي احتلتها إسرائيل بعد عام ١٩٦٧. لكنّ المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ الّذي عقد في دورته رفض مشروع الملك حسين.

- من أهمّ الدّورات الّتي عقدت في الفترة الواقعة بين ١-١٩٧٤/٦/٩ بعد حرب عام ١٩٧٣ تلك الدّورة الّتي نتج عنها برنامج النّقاط العشر لخطّة عمل منظّمة التّحرير لاحقاً.

الأردنّ أرض الرّباط، وشعبه ذو الأصل والمنبت الواحد

لـم يخطـر ببالي وأنا أتنـاول موضـوع الأردنّ منفصلاً عن فلسـطين، إلّا بقدر مـا تتطلّبـه القوانـين والسّـيادة ونظـام الحكـم؛ لأنّ كلا الشّـعبين في الجوهـر هو شـعب واحـد، ولأنّ اصطـلاح (مـن منابـت وأصـول مختلفـة) ينطبـق على الّذيـن سـكنوا واسـتقروا وعاشـوا على أرض الأردنّ مـن الجنسـيّات والجـذور الأخـرى، وخاصّـة مـن الدّول والشّـعوب المجـاورة لأرض الأردنّ في العـراق وسـوريا وأرض الحجـاز ومـصر، وكذلـك مـن القادمـين مـن البعيـد الّذيـن فـرّوا مـن الاضطهـاد والظّلـم كمـا هي حـال الشّيشـان والشّركـس الّذيـن اسـتقرّوا على أرض هـذا البلد، حيـث الأمـان والتّرحيـب الفطـريّ الجميـل لأولئـك المسـلمين القادمـين من تلك الأرض المقاوِمَـة للاحتـلال القيـصريّ الـروسيّ. وتبـقى حـال الأردنّ هكـذا حيث يرحّـب ويسـتوعب القادمـين إليـه الهاربـين مـن قمـع الأنظمـة المحيطة.

أمّا بالنّسـبة للفلسـطينيين فقد اسـتقبل الأردنّ العدد الأكـبر من اللاجئين، وخاصّة اللاجئين من وسـط فلسـطين وجنوبهـا نتيجة للاحتـلال الصّهيونيّ، حيث لـم يشـهد اللآجئون الفلسـطينيّون أيّـة معاناة تذكـر بالنّسـبة للتّكيّف مـع الواقع الاجتمـاعيّ الجديـد. فقـد كانـت معظم عائـلات الأردنّ لهـا فروعهـا وجذورها على امتداد الأرض الفلسـطينيّة.

كانـت صلـة القـربى والعلاقـة الاجتماعيّـة القائمـة على وحـدة العشـائر

والقبائـل، وكذلـك الـتّزاوج، تشـكّل الهيكل العـام للدّولـة الأردنّية. ولهـذا لم يكن سـهلاً إجـراء عمليّـة الفصـل رغـم مصالح بعـض المنتفعـين في كلا الشّـعبين من هـذا الانفصـال. ولا شـكّ في أنّ عـدم اعـتراف الدّولـة الأردنّيـة بحكومـة عمـوم فلسـطين في جامعـة الدّول العربيّـة المؤسّسـة حديثـاً كان له أثـره على مسـار حركـة النّضـال الفلسـطينيّ والكيانيّـة الفلسـطينيّة، إلّا أنّ خطـوة مؤتمـر أريحـا الّتي دعا إليهـا الملـك عبـد الله بـن الحسـين الأوّل أعادت جمـع حـدود الضّفّـة الغربيّـة مع شرق الأردنّ لتكـوّن معـاً المملكـة الأردنيّـة الهاشـميّة.

إنّ هـذا الأمـر وبعـد حضـور معظـم وجهـاء عائـلات الضّفّـة الغربيّـة هذا المؤتمـر ربمـا يكـون قـد أضعـف أيّـة إمكانيّـة لنجـاح حكومـة عموم فلسـطين الّـتي أطلقهـا الحـاجّ أمـين الحسـيني، وبقيت غـزّة منفصلـة عـن الضّفّـة الغربيّة، وأصبحـت إدارة القطـاع مصريّـة كاملـة رغـم وجـود جـزء أسـاسيّ مـن المملكـة الأردنّيـة. ولا شـكّ أنّ الفلسـطينيّين قـد تسـاووا في الحقـوق والواجبـات مـع الأردنيـين في المجـالات والخدمـات وأجهـزة الدّولـة كافةً بلا اسـتثناء حـتّى أصبح الوضـع يتناقـض مـع الكيـان الصّهيـونيّ بعـد انطلاقـة الثّـورة الفلسـطينيّة.

ورغـم وجـود المخيّمـات الفلسـطينيّة شـمال الأردنّ ووسـطها وعلى امتـداد الأغـوار، إلّا أنّ الفلسـطينيّين في هذه المخيّمـات انصهروا في المجتمـع الأردنّي؛ عملاً في كلّ الوظائـف الحكوميّـة وفي التّجـارة والاقتصـاد والمصاهـرة والتّجنيـد. بـل إنّ الفلسـطينيّين قـد سـاهموا في الاقتصاد الأردنّي، وشـكلوا رافعة حياتيّـة في كلّ المناطق الّـتي تحيـط بالمخيّمـات... وهكـذا كان حالهـم أيضـاً في لبنـان وسـنأتي على ذلك.

إنّ المنطقـة الوحيـدة الّـتي لم تُـبْنَ فيها المخيّمـات الفلسـطينيّة في الأردنّ هي مناطـق الجنـوب، حيـث يذكـر أنّ أهـل الطّفيلـة طلبـوا مـن الملـك حسـين مخيّماً فلسـطينيّاً في الطّفيلة، كعامل لتحسـين اقتصادها وتحسـين مسـتوى معيشة أهلها.

إنّـني في هـذا المقام لن أتوقّف عند الظّروف السّياسـيّة والانتمـاء الوطنيّ في الأردنّ، لكـن لابـدّ من الإشـارة إلى ما يمكن تسـميته الانقلاب الحقيـقيّ في الأردنّ الّذي كان يهـدف إلى رفـع السّـيطرة البريطانيّـة عـن الجيـش العـربيّ الأردنّي مـن خلال طـرد «كلـوب باشـا» قائـد الجيش، وكذلـك إسـقاط حلف بغـداد، وبالتّـالي إطلاق العنـان لدخـول مختلـف الأحـزاب الّـتي انتشرت بشـكلّ سريـع، والّتي سـاهمت في طـرد كلـوب باشـا، ورفعـت شـعارات مختلفـة تطالـب بالوحـدة العربيّـة وبتحرير فلسـطين، وشـعارات أخـرى تلبّي احتياجـات كلّ حركـة أو حزب.

مـن المثير أنّـك كنت تـرى في المظاهـرة الواحـدة الاخوان المسـلمين، وحزب التّحريـر، والبعث السّـوريّ والعـراقيّ، والقوميين والشـيوعيين.

ورغـم مشـاعري نحـو حـزب التّحريـر آنـذاك إلّا أنّـني لـم أشـارك في أيّـة مظاهـرة في عمّـان، الّـتي بدأتُ حيـاتي العمليّـة فيها في البنـك العـربيّ، وخاصّة أنّ كلّ المظاهـرات كانـت تمرّ مـن نفـس الشّـارع الّذي كان موجوداً فيـه البنك، حيث كنـت أراقـب المظاهـرات مـن شـبابيك البنك.

كانـت المظاهـرات مثيرة لأنّـك كنـت تسـمع كلّ شيء، ولا تسـمع أيّ شيء حـتّى اؤلئـك المحمولين على الأكتـاف لم يعرفوا المعـاني الّتي يرددونهـا في هتافاتهم.

ومـع كلّ هـذا فقـد كانـت فلسـطين هي البوصلـة وصاحبـة الشّـعار الأوحد والاهـمّ لكلّ هذه المظاهـرات؛ كان بعضهم ينادي بشـعارات تحرير فلسـطين إيماناً، وكان بعضهـم الآخـر يرفـع عقيرته بالشّـعارات وسـيلةً لتعزيـز حضـوره. إنّني الان وبعـد هذه السّـنوات الطّويلـة أجزم أنّ ثلاثة أرباع المشـاركين في تلـك المظاهرات كانـوا من الفلسـطينيّين؛ لأنّ هذا الشـكلّ مـن المظاهرات كان جديداً على الشّـعب الأردنّي، وبالتّـالي كانـت النتائـج بعـد طـرد كلـوب باشـا تظهـر ضرورة وقـف هـذا التّمدّد الحـزبيّ بأيّة وسـيلة... !

ممّـا تقـدّم، نشـير إلى أنّ مقاومة الاحتـلال الفعليّة انطلقت مـن الأردنّ عبر السّـنوات الّـتي تلـت النّكبـة عام ١٩٤٨م... صحيـح أنّ قيـادة فتح تركّـز معظمها في قطـاع غـزّة، أو خرجت مـن القطـاع إلى دول الخليج بعـد الحصول على الشّـهادات العلميّـة مـن الجامعات المصريّة، خاصّـة جامعة القاهرة، إلّا أنّ الأعمال العسـكريّة والفدائيّة انطلقـت من الأردنّ.

وأيضـاً نـرى هنـا ضرورة التّذكير أنّ سـوريا سـهّلت الكثير مـن الاحتياجات لحركـة «فتـح»، لكنّها لم تسـمح لها بالقيـام بأيّة عمليّة عسـكريّة مـن حدودها ضدّ «إسرائيل».

مـن هذا الواقـع كانـت الأردنّ هي المحطة المركزيّـة للرّؤيا العسـكريّة لقيادة «فتـح»، ورأت القيادة أنّ الأردنّ يشـكّل القاعده الأساسـيّة لمحاربـة «إسرائيل»، وكان ذلـك لعدة أسـباب، منها:

- **توسّط الأردنّ بين ساحات المواجهة مع إسرائيل في سوريا ولبنان وفلسطين.**
- **العدد الكبير من الفلسطينيّن في الأردنّ، سواء أكان ذلك في المخيّمات أم خارجها.**
- **الامتـداد الطّويـل للحـدود بين فلسـطين والأردنّ، والّذي يزيد عن طـول أيّة حدود أخـرى مـع الدّول العربيّـة أو دول الطّـوق. لهذا نـرى أنّ كلاً من الإخـوة (أبو عمّار) و(أبـو جهـاد) و(أبـو يوسـف النّجّـار) قـد قامـوا بزيـارات متكـرّرة إلى الأردنّ في السّـنوات الّـتي سـبقت الإعلان عـن الانطلاقة:**

١. فـفي ١٩٦٢/١/٥م قـام محمّـد يوسـف النّجّـار بزيـارة إلى عمّـان قادمـاً مـن قطـر، والتـقى بعـدد مـن الإخـوة مؤسّـسي النّـواة الأولى لفتـح، وكان منهـم محمّـد غنيـم.

٢. وفي ١٩٦٢/٣/٢٥م قـام أبـو جهـاد بزيـارة ثانيـة إلى الأردنّ، وفي مطلـع هـذا العـام

-أي بعد زيارة خليل الوزير إلى الأردنّ- بدأ العمل التّنظيميّ في الأردنّ والضّفّة الغربيّة، حيث التقى هناك أعداداً كبيرة من الشّخصيّات الهامّة، كما تمّ الإعداد لنقاط المستودعات في معظم مدن الضّفّة الغربيّة وقراها، وشراء الأسلحة الفرديّة... بل تعدّى ذلك إلى إحضار أسلحة من سوريا عبر منطقة الحمّة إلى الضّفّة الغربيّة.

٣. في شهر ١٩٦٣/١١م قام أبو عمّار بزيارة إلى الأردنّ، وبدأ بتجميع العناصر والكوادر الّتي تمّ التّحدّث عنها في زيارة خليل الوزير وزيارة محمّد يوسف النّجّار، واستأجر بيتاً في جبل الحسين تحت اسم أبي محمّد، واجتمّع مع أول خلية في مخيّم إربد ضمّت كلاً من:

- **هاشم أبو سردانه.**
- **إبراهيم خريس.**
- **محمّد يوسف الحايك.**
- **عمر سويطي.**
- **فهمي الطّيطي.**
- **محمود أبو الهيجا.**
- **أبو أكرم صبحي.**
- **علي اللافي.**
- **محمود قاسم قصاصي.**
- **الشّيخ صبري الحايك.**
- **فهد زعموط.**
- **محمّد إبراهيم أبو خليل.**
- **أحمد موسى دلكي.**

شرح ياسر عرفات في هذا الاجتماع عن حركة فتح وظروف تأسيسها ومبادئها وثوابتها وأهدافها، وأشار إلى أنّ تحرير فلسطين يجب أنّ يعتمد أوّلا على أبنائها، وأنّ حركة «فتح» هي الرّائدة للنّضال الفلسطينيّ.

وجد عرفات تجاوباً كبيراً من الحضور الأمر الّذي انعكس معنوياً عليه... فقام بعقد اجتماع آخر في منزل عبد الخالق الحايك، حيث اقتصر هذا الاجتماع على الكادر العسكريّ.

حدّد أبو عمّار في هذا الاجتماع مسؤوليات بعض الكوادر ومنهم عمر السّويطي الّذي كلّف بأنّ يكون قائداً عسكريّاً للمجموعة الأولى لفتح، وطلب من الحضور تنظيم أكبر عدد من شباب المخيّم والقرى والبلدات في الأرض المحتّلة عام ١٩٤٨م وفي بلدات الضّفّة الغربيّة والشرقية وقراها ومخيّماتها. وطلب أبو عمّار من الكادر الموجود البحث عن مواقع بعيدة عن الأنظار في المناطق الجبليّة والمختفية بعيداً عن الحركة، وإعداد معسكرات لتدريب العناصر على السّلاح الفرديّ وزراعة الألغام، وإيجاد المخازن الّتي تحدثّنا عنها أثناء زيارة خليل الوزير للضّفّة الغربيّة.

لقد شارك في اجتماعات ياسر عرفات بعض الأسماء الّتي شاركت في حرب عام ١٩٤٨م، وكان عندهم انتماء قويّ جدّاً وروح معنويّة عالية، كما أنّ الفريق الجديد كان من الشّباب الّذي شارك في الاجتماع، حيث كان متحمساً وجاهزاً لأيّ عمل عسكريّ ضدّ العدوّ أمّا لجان حركة فتح في الأردنّ فتمثلّت في:

لجنة مخاتير المخيّمات وهم:

- **محمّد عبد العزيز الفاهوم.**

- **صالح العفيفيّ.**
- **صالح العرابي.**
- **الحاج خليل الضّالع.**

مجموعة نقل الأسلحة، وهم:

- **الشّيخ صبري الحايك.**
- **أبو يوسف الحايك.**
- **أبو العبد قصاص.**
- **علي اللافي.**
- **أبو أنطوان.**
- **أبو حميد مسعود.**
- **يوسف فيّاس.**
- **محمود أبو الهيجا.**
- **نصر يوسف.**
- **الشّيخ نعيم أبو شعر.**

لجنة الأسلحة:

- **أبو أسعد السّوريّ الّذي اشرنا إلى اعتقاله.**

- **محمود الهمشري.**
- **ناصر النّصراوي.**
- **أبو محمود العجوريّ.**

إضافة لما سبق، فقد تشكّلت لجان أخرى هي:

- **لجنة تنظيم كوادر فتح (القيادة الميدانيّة).**
- **لجنة تدريب الأسلحة والمتفجّرات.**

كما تشكّلت مجموعات قتالية، وهي:

- **أعضاء حركة فتح من عشيرة الدّلكي.**
- **أعضاء فتح فصيل جبري الحايك.**
- **أعضاء فتح فصيل أبو أكرم صبحي.**
- **مجموعة عبود إبراهيم.**
- **مجموعة مخيّم إربد.**
- **مجموعة طوباس.**
- **مجموعة فدائيي فتح في الأغوار الشّماليّة: تل الأربعين، والشّيخ حسين، والمنشيّة ووقاص.**

نقلت الذّخائر والأسلحة من الحمّة السّوريّة إلى مستودعها دار الحايك في إربد ومن ثمّ إلى قلقيلية، حيث كان هناك **مستودع** كان يشرف علية أبو علي إياد، **ومستودع ثانٍ** في جنين كان يشرف عليه إبراهيم عبود، و **مستودع**

ثالث في الخليل كان يشرف عليه أبو محمود العجوريّ، **ومستودع أخير** في أريحا، وكان يشرف عليه عبد الجولاني. وقد استمرّ تزويد هذه المستودعات بالذّخائر والأسلحة ما بين عام ١٩٦٣م-١٩٦٥م.

لكنّ الأمر لم يخلُ من عقبات... ففي تاريخ ١٩٦٥/١٢/٥م اعتقلت دوريّة أمن أردنيّة سيّارة أجرة كانت تنقل الأسلحة والذّخيرة من منطقة الحمّة السّوريّة إلى الضّفّة الغربيّة، و كان ذلك بسبب وشاية من أحد المواطنين من تلّ الأربعين. وعلى إثر ذلك اعتقل ركابها محمّد أبو حشمه، وفهد زعموط، والسّائق أبو أسعد السّوريّ. وحصلت السّلطات الأمنيّة على اعترافات حاول أصحابها توضيح أنّ هذه الأسلحة هي لمواجهة العدوّ الصّهيونيّ وليس لاستعمالها في داخل الأردنّ، لكنّ ذلك لم يمنع السّلطات الأمنيّة الأردنّية من اعتقال ثمانين كادراً في الضّفّة من كوادر حركة «فتح»، حيث استمرّ اعتقالهم مدّة عامين حتّى هزيمة عام ١٩٦٧م، فتوسط لهم الشّيخ فهد أحمد جابر، فأفرج عنهم، وبقي في السّجن عبود أبو يوسف الحايك، وفرحان الحاجّ صالح، وأبو محمود العجوري، وأبو القاسم الصّبي، و فهد زعموط.

إنّ المهمّ في الأمر أنّ الحكومة الأردنّية اشترطت على المفرج عنهم الالتحاق بقوات الجيش الأردنّي في الضّفّة الغربيّة تحت إمرة الجيش الأردنّي، فرحب جميعهم بذلك... ولكنّ فرحتهم لم تكتمل، فقد تمّ احتلال الضّفّة الغربيّة، وعادت قوات الجيش الأردنّي إلى الضّفّة الشّرقيّة. وكما حصل مع القادمين من السّعوديّة وقطر والكويت إلى المنطقة المحايده بين الكويت والسّعوديّة، ووصول الأخبار إلينا أنّ إسرائيل احتلت الضّفّة الغربيّة والجولان وسيناء، وأنّ لا فائدة من التحاقنا بالمعارك!!

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ ياسر عرفات استدعى عدداً من أعضاء

هـذه المجمـوعات إلى منطقـة الحمّـة السّـوريّة للتّدريـب على المتفجّرات والأسـلحة المختلفـة، وطلـب مـن النقيـب يوسـف عـرابي تدريبهـم. وبالفعـل عادت الكوادر مـن دورتهـا بمعرفـة جيّـدة في إعـداد المتفجّرات واسـتعمال الأسـلحة الرّشاشـة.

كان التنّسـيق قويّـاً متواصـلاً بـين ياسر عرفـات وخليـل الوزيـر في نهاية عام ١٩٦٤م، وكان لـكلّ منهمـا مهامّـه، واتفقـا على أنّ الأمـور قـد نضجـت للانطلاقـة؛ فالواقـع العـربيّ في حالـة جمود، والجامعـة العربيّـة -كالعادة- ليسـت إلّا منتدى يغني كلّ منـدوب فيهـا -على ليلاه-، وأصبحـت منظّمة التّحرير الفلسـطينيّة أداة خاضعة لأداء رغبـات دول الجامعـة العربيّة، وأحاطت بالعديد مـن الدّول العربيّة الانقلابات العسـكريّة في كلّ مـن العراق وسـوريا واليمـن والجزائر.

وللخـروج مـن هـذه الأجـواء اليائسـة تقـرّر تعزيـز الطّاقـم العسـكريّ على السّـاحة الأردنّيـة في الضّفّتـين بالكـوادر المدرّبـة والمخلصة، وتدريـب كلّ خليّة أو مجموعـة بحيـث لا يزيـد عددهـا عن ثلاثـة عنـاصر إلّا عند الـضرورة العسـكريّة والعملاتيّـة. وتقـرّر كذلـك تجميـع أكـبر قدر ممكـن من الأسـلحة، سـواء أكانت الألغـام والقنابـل أم الرّشّاشـات والمسدّسـات، وتخزينهـا في أماكـن سريّـة. وكمـا أشرنـا تدريـب العناصر في أماكن بعيـدة عن المدن على أطـراف القرى، وفي نفس الوقـت طباعة المنشـورات التّحريضيّـة، وتوزيعهـا في الأردنّ. وإذا لـم تتوفر المطابع فيمكـن كتابتهـا على الـورق، ويمكن وضـع أوراق الحبر على ثلاثة أو أربعة نسـخ.

أزعـج هـذا الأمر السّـلطات الأردنّية، فقد كانـت قوات الأمن تحـاصر المدارس، وكان يفـرض على التّلاميـذ كتابـة صيغة قريبة لصيغة المنشـورات كشـكّل من أشـكال البحـث عـن كاتب المناشـير من خـلال مقارنة الخطـوط. وقد بلغ الأمـر تحميل بعض الكلاب والقطط هذه المنشـورات فتقوم بإيصالها. كان هذا العمل يثير حماسـة الأطفال والشّـباب في القـرى والبـلدات، ويضاعف من غيظ الجهـات الأمنيّة.

أشرت سابقاً أنّ قيادة حركة فتح الأولى كانت من قطاع غزّة، لكن العمليّات العسكريّة الفدائيّة كانت من الكادر الموجود على السّاحة الأردنيّة ومنطلقة من الحدود الأردنيّة في معظمها. ولهذا وقبل العمليّة الشّهيرة (عمليّة عيلبون) حضر كلّ من ياسر عرفات وخليل الوزير ومحمّد يوسف النّجّار إلى الأردنّ، واجتمعوا مع الرّموز القياديّة للمجموعات الموجودة في الضّفّة الغربيّة، وكان منهم: عبد الله جبر، ومحمّد غنيم، وأحمد موسى الدّلكي، ورمضان البنا، ومحمّد أحمد ذياب، وخليل علي عودة الّذين أطلعهم ياسر عرفات على ما قرّرته حركة فتح في الكويت ١٩٦٤/١٢/١٨، وضرورة القيام بعدّة عمليّات عسكريّة موجعه للعدّو داخل الأرض المحتّلة. أيّد الحاضرون هذا التّوجّه وتلك القرارات، وأكّدوا على تنفيذ العمليّات المقرّرة في موعدها المحدّد حسب الخطط المعدّة.

كرّر خليل الوزير هذه اللقاءات، وتقرّر -كما ذكرنا في اجتماع الصليبخات الكويتيّة- أن تحمل البلاغات العسكريّة الأولى اسم قوّات العاصفة وليس اسم حركة «فتح»، وذلك للحفاظ على مكانة الحركة فيما لو فشلت هذه العمليّة.

نتيجة لاجتماعات الأردنّ والكويت تقرّر أنّ يقوم ياسر عرفات بمساعدة خليل الوزير بالإعداد النّهائيّ للعمليّات الّتي جرى الإعداد لها لتكوّن عنوان الانطلاقة لأنّ لكلّ منهما خبرة جيّدة في العمل العسكريّ، وأصبح من الضّروري تنبيه خلايا «فتح» وكوادرها في الضّفتيّن، ووضعهم في حالة الجهوزيّة الكاملة للردّ المناسب فيما لو تطوّرت الأمور بعد العمليّات الأولى، كما تمّ في الوقت نفسه تزويد المجموعات بالأسلحة اللازمة كالرّشّاشات والقنابل اليدويّة والمسدّسات الّتي تمّ شراؤها أو جمعها من بقايا الحرب العالميّة الثانيّة في الصّحراء المصريّة، حيث كان البدو يقومون بجمعها وبيعها ويتمّ تهريبها إلى الضّفّة الغربيّة.

وهكذا... كانت «فتح» في كلّ الأقطار في حالة الاستنفار والترقب، وكان

عناصرهـا يشـعرون أنّهـم يسـتقلّون عـن كلّ مـا يحيط بهـم، بل وأضـفى كلّ واحد منهـم على نفسـه هالة مقدّسـة... واسـتعداداً للفـداء كان الفـدائيّ في ذاك الوقت يحيـط روحـه وعقله وجسـده بمعـاني الفـداء والانتماء والعطـاء حتّى الشّـهادة.

كان الجميـع بانتظـار اليـوم الأخـير مـن عام ١٩٦٤م وإشراقة اليـوم الأوّل من عام ١٩٦٥م، وكان مـن قبيـل الصّـدف التّاريخيّـة العجيبـة أن صـادف اليـوم الأوّل المنتظـر/ يـوم الانطلاقـة يـومَ احتفال كوبـا بانتصـار ثورتها.

عيلبون

« البداية- الانطلاقة »

الصّوت الفتحاويّ الفدائّي

كثيرة هي العمليّات العسكريّة الّتي سبقت عمليّة عيلبون البطوليّة، فلم تتوقّف العمليّات العسكريّة ضّد العدوّ منذ النّكبة وحتّى ذاك التّاريخ الخالد ١٩٦٤/١٢/٣١ - ١٩٦٥/١/١م الّذي شكّل الطلقة المعلنة والبداية التّاريخيّة للانطلاقة الجديدة لكفاح الشّعب الفلسطينيّ بريادة وقيادة حركة التّحرير الوطنّي الفلسطينيّ/ فتح... وعيلبون هي حكاية وقصّة ومكان وزمان وبداية ثورة ... ولهذا أقدّم موجزاً واقعياً ومباشراً عن هذه القرية.

عيلبون قرية عربيّة فلسطينيّة تقع في منطقة الجليل غرب بحيرة طبريا، وتقع على الطّرف الشماليّ الشّرقيّ لسهل البطوف، وتعتبر جزءاً من قضاء طبريا. يحدها من الغرب قرية دير حنا، ومن الجنوب قرية البعينه، ومن الشّمال قرية المغار، وتقع قرية أمّ العمد الملاصقة لها جنوباً على الشّارع الرّئيسيّ من عيلبون الي مسكنّة، والمسمّى اليوم مفرق جولاني، ومن الشرق جبل الحامي.

كانت عيلبون، وحتّى العام ١٩٤٨م، تقع وسط عدد كبير من القرى التابعه لقضاء طبريا، فقام الاحتلال العنصريّ الصّهيونيّ بتدمير تلك القرى وطرد أهلها، ومن هذه القرى قرية المنصورة، ونمرين، ولوبيه، وكفرسبت، والشجرة، وحطين، ضربة الوعره السّودا، ووادي الحمام وغيرها.

ترتفع عيلبون عن سطح البحر(٢٠٠)متر، وتعدّ منطقة تاريخيّة تنتشر حولها عدّة مناطق أثريّة مثل خربة مماليا شمال شرق القرية، وخربة نتيف غربها، و عين ناطف، وخربة سعد جنوب شرق عيلبون، وخربة مسكنه جنوباً، وتقع بينهما خربة أمّ العمد.

كانت أمّ العمد مأهوله عبر التّاريخ، وقد سمّاها الرّومان ايلالبو «Ailalbo» وقد استقبلت عيلبون اليهود الّذين هربوا من القدس بعد خراب «الهيكل الثّاني» كما استوطنوا في تلك الفترة عدداً من القرى في الجليل. وقد وجدت هذه المعلومات واسم عيلبون في مخطوطة من أرشيف الكنيس اليهوديّ في القاهره حيث هرب الكهنة اليهود إليها.

وفي القرن السّابع عشر نشطت الحياه مجدّداً في عيلبون نظراً لقدوم عائلات من القرى المجاورة كعران، وديرحنّا، وسخنين والمغار.

إنّ الاسم الّذي أطلق على عمليّة انطلاقة فتح (بعملية عيلبون) دفعني لأن أبحث عن جذور هذا الاسم وتاريخ هذه القرية في مخطوطات عدّة. ولفت انتباهي أنّ سكان عيلبون كانوا من الطائفة المسيحيّة، ولم يقطنها المسلمون إلّا بعد النّكبة عام ١٩٤٨م فقد قدموا إليها من القرى المجاورة.

كان عدد سكان عيلبون عام ١٩٢٢م حوالي ٣٢٠ نسمة، وفي العام ١٩٣١م كان بها ٤٠٤ أشخاص، وفي العام ١٩٤٥م سكنها ٥٣٠ نسمة، وحسب احصائية عام ١٩٤٩م الّتي قام بها الاحتلال الصّهيونيّ كان بها ٦٧٥ نسمة، ويملك سكان عيلبون ١٤٧١٢ دونماً من الاراضي قاموا بتسجيلها رسميّاً عام ١٨٩٢م خلال الحكم التركي.

لقد تردّد اسم عيلبون على لسان كلّ فلسطينيّ، بل وفي ذاكرة كلّ عربيّ

عاصر الانطلاقـة، ولهـذا لا أجـد غضاضة أو تـردّداً في تقديم كلّ ما يخـصّ عيلبون: أرضهـا، وناسـها وعلومهـا، ومدارسـها، وهجرة أهلهـا واحتلالهـا... وهي ككثير من القـرى والبـلدات الفلسـطينيّة خضعت للاحتـلال والتّدمير والتّهجـير والقتل من العصابـات الصّهيونيّة.

بنيـت أوّل غرفـة للتّعليـم في عيلبـون بتمويل مـن الكهنـة الكاثوليك الألمان من كنيسـة الطابغـة، وهكذا تُسـمّى- عام ١٨٩٩م، ودرس فيها ٢٤ طالبـاً من الذّكور. وفي عام ١٩٠٥م بنيـت غرفـة لتعليـم البنـات. وإبـان الانتـداب البريطـانيّ بنيـت مدرسـة ابتدائيّـة رسـميّة في القرية عام ١٩٢٧ بعناية الأب بولس أشـقر وبمسـاعدة مـن سـكان القرية، كما بنيـت في القريـة عام ١٩٢٨م كنيسـة جديدة لطائفـة الرّوم الأرثدوكس.

وبعـد الاحتـلال والنّكبـة عام ١٩٤٨م هاجـر إلى عيلبـون عائلات مـن قرية حطـين القريبـة، وكانت هـذه أوّل العائلات المسـلمة، كما هُجِّـرَ إلى محيطها العديد مـن العائـلات البدويّـة، ولهذا كان أوّل مسـجد بني في عيبلـون عام ١٩٩٣م.

يتوسّـط قريـة عيلبون سـاحة خصّصت للأفـراح والحفـلات الليليّة، وكانت نقطـة لقـاء بـين رجـال القرية ونسـائها في صبـاح الأحاد قبـل توجههـم إلى الصّلاة في الكنيسة.

وبعـد النّكبـة أطلـق على السّـاحة «سـاحة الشّـهداء» تخليداً لذكرى شـهداء القريـة الّذين اغتالهـم الجيش الإسرائيليّ بدم بـارد فور احتلالها يـوم ١٩٤٨/١٠/٣٠م.

احتلال عيلبون

احتّل لواء جولاني قرية عيلبون في ١٠/٣٠من تشرين الأوّل عام١٩٤٨ بعد معركته مع «جيش الإنقاذ» الّذي انسحب من المنطقة شمالاً قبل يوم واحد من احتلال الجيش الإسرائيليّ لها. وكعادة القرى والبلدات الّتي استسلمت رفع سكان القرية الاعلام البيضاء في محاولة لتجنيب القرية إراقة دماء شبابها بعد أن انسحب منها ما يسمى بجيش الإنقاذ الّذي لم يدافع عنها.

عندما دخل جنود الاحتلال القرية استقبلهم خوري القرية، وتجمّع سكانها في الكنائس، وأعلن رجال الدّين استسلام القرية... وأثناء تجّول جنود الاحتلال في أزقة القرية وجدوا رأسين مقطوعين لجنديين إسرائيلين كانا قد قتلا، فجمع الجنود سكان القرية، وأخرجوا من وُجِدَ منهم في الكنائس الّتي كانت تعّد ملاذاً لهم، واطلقوا النّار باتّجاههم لارهابهم، فقتلوا رجلاً واحداً، وجمع بقية السّكان في ساحة البلدة، فاختار قائد الفرقة الصّهيونيّة اثني عشر شابا وطرد سكان القرية إلى لبنان، وفي نفس اليوم قام الجنود بإطلاق الرّصاص على الشّباب، وقتلوهم بدم بارد.

وصلت أنباء المجزرة إلى الحكومات الأوروبيّة والأمم المتّحده، فضغطت على الحكومة الإسرائيليّة من أجل اعادة أهل عيلبون إلى قريتهم بعد أسبوعين، وفي ٢/ تشرين الثّاني من عام ١٩٤٨م ارتكب الجنود الصّهاينة مجزرة أخرى في سهل البطوف من أراضي عيلبون، واقتادوا خمسة عشر شاباً من عشيرة المواسي الّتي كانت تقطن المنطقة وأعدموهم، وقد نجا شخص واحد

اسـمه سـعد محمّـد الدّين من المـوت، وهو الّذي كشـف المجـزرة، فقامـت القوّات الصّهيونيّـة بتهجـير الغالبيّـة مـن عشـيرة المـواسي الّذيـن يقطنون منطقـة الجليل وطبريـا وصفـد، والّذيـن كان عددهـم حوالي ٢٠٠٠ نسـمة إلى سـوريا، وسـكن من تبـقى منهـم في قريـة عيلبون.

لماذا عمليّة عيلبون؟

طالت مدّة الإعداد للعمل العسكريّ، وبدات حالة من القلق وسط الكادر المؤسّس/ الرّواد الّذين انقسموا في آرائهم؛ فقد كان ياسر عرفات وخليل الوزير مع الإسراع في البدء في العمل العسكريّ، في حين كان فريق الكادر الموجود في سوريا بطلب التّأجيل حتّى تأتي الظروف المؤاتية!!

لقد استطاعت الأنوية الأولى لحركة فتح، عبر سبع أو ثماني سنوات من تجهيز قواعد ارتكازية هامّه، وخلايا جاهزة للانطلاقة في الضّفّة الغربيّة والضّفّة الشرقيّة، حيث كان مركز هذه الخلايا في إربد والأغوار، وكان هناك بعض الخلايا قليلة العدد في منطقة الجليل... ومن خلال هذه الخلايا النّشطة تمّ تجميع كمّيات ليست كثيرة جدّاً من الأسلحة من سيناء ومن سوريا وبعض الدّول العربيّة الأخرى، ومن تراكم الأسلحة الفرديّة الّتي كانت متوفرة لدى العديد من الرّجال بعد النّكبة، فلقد حرص معظم الرّجال في المخيّمات الفلسطينيّة والضّفّة الغربيّة على الحصول على الأسلحة الفرديّة كشكل من أشكال تأمين حالة الدّفاع عن النّفس والعائلة، وكان بعضهم الآخر يتوقّع تطوّر الأوضاع، ويكون بالإمكان مواجهة الاحتلال.

كان الواقع العربيّ انذاك ضعيفاً، فالثورة المصريّة غير قادرة على حلّ مشكلاتها العسكريّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، وكذلك كانت الحالة النّفسيّة للثورة الجزائريّة الّتي وإن خرجت منتصرة في معركتها البطوليّة مع الاستعمار الفرنسيّ إلّا أنّ بناء الدولة الجزائريّة الحديثة بعد المعارك يتطلّب كلّ جهد

ومساعدة، كما أنّ التّناحر بين الدّول العربيّة من أجل المرتبة والمكانة وموقع التّأثير أضعفها، ومعها الجامعة العربيّة الّتي لم تستطع أن تقدّم شيئاً ملموساً للقضيّة الفلسطينيّة الا الكلمات، وكالعادة فهي في واقع الحال كانت ولا تزال هيكلاً أجوف لا فائده منه وعبر كلّ السّنوات لم تقدّم للقضيّة الفلسطينيّة أو القضايا العربيّة الأخرى أيّة فائده وكان هذا هو المطلوب من تأسيسها اذا علمنا أنّ بريطانيا هي اللاعب الأوّل في تأسيس الجامعة العربيّة.

ولهذا اجتمع كلّ من ياسر عرفات وخليل الوزير بعدد من الكادر المؤسّس في المنطقة المحايدة ما بين الكويت والسّعوديّة، وبالطّبع لم تكن هناك الإمكانات الّتي يمكن أن تراقب هذه الاجتماعات أو الأنشطة كما هي الحال، وهذا يذكّرني بأنّ تهريب الأسلحة إلى القواعد الارتكازيّة في كلّ من الأردنّ وفلسطين وسوريا ولبنان كان صعباً جدّاً كما هي الحال في هذه الأيام.

كان الهدف من اجتماع المنطقة المحايدة هو الاتّفاق على إطلاق العمل العسكريّ، واستكمالاً لهذا الاجتماع فقد التقى معظم الكادر القياديّ في بيت أحد الإخوة في الكويت في منطقة الصليبيخات بتاريخ ١٩٦٤/١٢/١٨م.

وهناك اتّخذ القرار بتنفيذ العمليّات العسكريّة، خاصّة بعد تشكيل الخلايا الارتكازيّة في الأردنّ، ووجود هذه المجموعات في إربد شمال وفي العقبة مروراً بالأغوار، وكذلك امتدّ وجود الخلايا الأولى على ساحة فلسطين في الضّفّة الغربيّة وتركّزت هذه الخلايا في جنين ونابلس والخليل وكذلك بعض الخلايا في منطقة الجليل.

وبعد هذا القرار تمّ توزيع المهمّات على كلّ مجموعة سواء نقل الألغام والمتفجّرات والأسلحة، أو مجموعات التّدريب على الأسلحة والمتفجّرات أو

المجموعات التّنفيذيّة... كانت البدايات قويّة جدّاً لأنّ المجموعات كانت قليلة العدد، ومهماتها محدّده والاستعداد المعنوي لديها كان عالياً، ولهذا سيطرت السّريّة والحرص الشّديد نظراً لأنّ الأنظمة العربيّة انذاك كانت لا تسمح بايّ شعار أو كلمة أو حتّى فكرة ثوريّة.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّه قد تم الاتفاق في اجتماع الصّليبيخات على أن تحمل البلاغات العسكريّة الأولى اسم (قوّات العاصفة) وليس اسم حركة «فتح»، وذلك للحفاظ على الحركة فيما لو فشلت هذه العمليّات أو توقفت لأيّ سبب.

ذكرتُ سابقاً أنّ التّسليح كان يعتمد على الأسلحة الّتي تركها الجيش المصريّ المنسحب من غزة وسيناء أثناء العدوان الثّلاثيّ عام ١٩٥٦م، وقد توفّر بأيدي العائلات البدويّة الّتي كانت تقطن سيناء، وتمّ شراء الأسلحة والألغام بأسعار زهيده وبعضها كان كهدايا، ووصلت هذه الأسلحة إلى الأغوار والعقبة وحتّى إربد، وأدخلت كمّيات منها إلى الخلايا الموجودة في الضّفّة الغربيّة. أمّا غزّة فقد كان نشاطها العسكريّ محدوداً وإن كان عدد أفرادها كبيراً؛ لأنّ النّظام المصريّ كان هو المراقب والمسيطر عند عودة النّظام المصريّ للقطاع بعد الانسحاب الإسرائيليّ وبعد فشل العدوان الثّلاثيّ. ولهذا كانت الحكومة المصريّة تراقب قطاع غزّة والحدود مع فلسطين المحتّلة، كما هي الحال بالنسبة لسوريا حتّى لا تجد إسرائيل ذريعة للحرب معها إذا ما انطلقت العمليّات العسكريّة من هذه الحدود. وبالتّالي فإنّ العمل العسكريّ ومنذ انطلاقة فتح لم يكن فعّالاً في غزّة... وأصبحت العمليّات العسكريّة محدودة جدّاً، وتركّز العمل العسكريّ في الأردنّ والضّفّة الغربيّة والجليل، وكذلك كان الأمر بالنّسبة لقوّة التّنظيم وعدد الخلايا والقواعد الإرتكازيّة.

لقد أصبح سلاح (الكارلو) ذاك الرّشّاش المميز الّذي كان يعدّ، إضافة

لسلاح الفدائيين وامتيازاً لمن يحمله جزءاً من الثّقة للقوّة العسكريّة الوليده رغم وجود العديد من البنادق الإنجليزيّة الّتي تطلق طلقة واحده.

لقد أعدت المعسكرات التّدريبيّة في الأودية والجبال البعيده عن المدن والتّجمّعات السّكانيّة سواء في الضّفّة الشّرقيّة أو الغربيّة، وكانت مشاعر المشاركين وعواطفهم تفوق الوصف، وكان التّصّور الأوّل والوحيد أنّ الاحتلال زائل لا محاله.

وترافق التّدريب العسكريّ مع النّشرات التّعبويّة الّتي سبقتها مجلة (فلسطيننا) الّتي كانت توزّع من خلالي في السّعوديّة، وكانت توزّع في الكويت وقطر وليبيا والجزائر وكذلك في الأردنّ.

وكانت هذه المنشورات تشعرنا أنّ لنا كياناً خاصاً، وكلّ من يقترب منا يشعر أنّه مميز في وطنيته وعطائه، وكانت حالة الاعتزاز والفخر تغمرنا... وكانت أرواحنا تتّجه نحو فلسطين والأقصى.

لقد سبق عمليّة عيلبون عددٌ من العمليّات المحدودة وغير المعلن عنها، وكما أشرت سابقاً فإنّ مركز هذه العمليّات الفدائيّة كان في الجليل رغم أنّ بعض عناصرها التحق بفتح فيما بعد، لكن آخر عمليّات فتح العسكريّة وقبل الانطلاقة كانت عمليّة قرب قرية السّموع قضاء الخليل عام ١٩٦٤م، والّتي لم يعلن عنها، وخلال ذلك حصلت عدّة اجتماعات حضرها ياسر عرفات وخليل الوزير ورمضان البنا وأحمد ذياب وخليل علي عودة، وعبد الله جبر ومحّمد غنيم وهاشم أبو سردانة وأحمد موسى الدّلكي، وأجمع الحضور على ما قدّمه ياسر عرفات وخليل الوزير بضرورة القيام بعمليّات عسكريّة موجعه ضدّ العدوّ، وتمّ اتّخاذ الخطوات التّاليه:

- **يتـولّى كلّ من يـاسر عرفات وخليل الوزيـر قيادة العمليّات العسـكريّة والإعداد للانطلاقة.**

- **الاتّصـال بجميع الخلايـا في كلتا الضّفّتين، ووضعهما في حالة الاسـتنفار القصوى لتنفيذ ايّـة مهمّات ضروريّة.**

- **نقـل الأسـلحة والمتفجّـرات مـن الأماكـن الخلفيّـة إلى مخابـئ ومواقـع داخـل فلسـطين، حيث مراكـز الانطلاقة لتنفيـذ العمليّات. وكما أشرنا فقـد تمّ شراء بعض الأسـلحة محليّـاً مـن السّـاحة الأردنّيـة، وتـمّ احضـار الذّخائـر والألغـام والأسـلحة الأخـرى مـن خـلال لجنة نقـل الأسـلحة للضّفّـة الغربيّـة**، والّتي شـارك فيهـا كلّ من:

- **أبو أسعد السّوريّ.**
- **محمود الهمشريّ.**
- **ناصر نصراويّ.**
- **أبو محمود العجوري.**

أمّـا المجمـوعات الّتي تـمّ إعدادهـا لتنفيذ العمليّـات العسـكريّة الّتي اعتمد عليهـا في انطلاقـة فتح فقد كانـت كالتالي:

- **أحمد موسى الدّلكي (قائد المجموعة).**
- **حسين إبراهيم الدلكي (نائب قائد المجموعة).**
- **وحش إبراهيم الدلكي(خبير متفجّرات).**
- **أبو ابراهيم (دليل الدّوريّة).**

ونلاحظ أنّ أعضاء المجموعة هم ابناء عمومة، الأمر الّذي ساعد على سّريّة ودقّة تفاني الفريق. وصلت هذه المجموعه إلى سوريا، واجتمعت مع يوسف عرابي والخبير العسكريّ الّذي قام بتدريب المجموعة على كافّة الأسلحة والألغام والمتفجّرات في منطقة الحمّة السّوريّة؛ وهي المنطقة الواقعه بين حدود فلسطين بمحاذاة بحيرة طبريا والحدود الأردنيّة والسّوريّة وهي المنطقة المشهورة بالينابيع السّاخنة.

الهدف:

كانت مهمّة المجموعة الأولى بقيادة أحمد موسى الدلكي، إحداث ضجّة إعلاميّة وسياسيّة على مستوى العالم العربيّ والعالم، وتعلن في وسط الاسرائيليين أنّ زمن الهدوء ولىّ، وذلك عن طريق تدمير مشروع تحويل مجرى نهر الأردنّ وذلك بضرب أحد فروعه المقام على بحيرة طبريا، والّذي كانت مهمّته ضخّ مياه البحيرة من خلال قناة مكشوفة من شمال غربي البحيرة وحتّى قرية عيلبون وسط الجليل، حيث تصبّ هذه القناه في بحيرة اصطناعيّة اسمها (الصلمون) والّتي تخذم المحطّة الكهربائيّة الّتي أقيمت عليها ومنها تمتّد الأنابيب الّتي تصل إلى محطة التّوزيع في اليركون، والّتي تدفع المياه إلى النّفق.

ربما يكون سهلاً سرد الاحداث والمواقع والمشاركين، ولكنّ الواقع أنّ هذه العمليّة تطلّبت إعداداً دقيقاً تقاطع مع الانفعال، والخوف، وجمع المعلومات، والحذر الشّديد، والاختفاء، والتّأكيد من جاهزيّة السّلاح والمتفجّرات، وكذلك دراسة خريطة المنطقة وجغرافيتها وتضاريسها... وأيضاً معرفة نوعيّة المولّدات وما يترافق ذلك مع قوتها وتمديداتها ووصلاتها، وغيرها من القضايا الفنيّة والهندسيّة والّتي تقوم بتشغيل المحطة كلها. هذا من ناحية.. أمّا من ناحية

أخـرى، فـكان هنـاك جهـداً مكثّفـاً تمثّـل في تجميـع المعلومـات الدّقيقة جـداً عن القـوّة العسـكريّة القريبـة أو الحارسـة للمنطقـة، ومراقبـة الدّوريّـات والمواقـع العسـكريّة الثّابتـة والمتحركـة، وطـرق سـيرها، وكذلـك مراقبـة معسـكر زيتم من جنـوب المحطـة والمعسـكر رقم ٤ من شـمالها... لقد تّـم تجميع المعلومـات ووضعت أمـام يـاسر عرفات وخليل الوزيـر وكذلك أعضـاء المجموعة المنّفـذة، وتم مراجعة كل بنـد ونقطـة وحركـة، وكذلـك تـمّ تأمـين الاحتياجـات اللازمـة وهي كميّة من المتفجّـرات وبندقيتـان مـن نـوع سـينوبال ورشاشـا كارلـو وحقيبـة قنابـل يدويّـة ومجموعـة مخـازن ذخيرة.

تحرّكـت المجموعـة بلباس مـدنيّ باتّجاه خربـة ناصر الدّين حيـث كان الدّليل أبو إبراهيم في انتظارهم وقد كان متوسـطاً قطيعه مـن الأغنام الّذي كان عنصرتمويه جيـد، وكذلـك يقوم بمهمة مسـح الأثـار من خلال حركة سـير الأغنام.

قادهـم الدّليـل إلى قريـة كفـر حطـين حيث تـمّ تخزيـن الاحتياجـات الّتي ذكـرت وكذلـك الألبسـة العسـكريّة الخاصّـة بالعمليّة.

كانـت خطـوات المجموعة قويّـة وواثقـة وفي نفس الوقت كانـت حذرة بحيث لا تسـمع... كان السّـير في الليـل يضاعـف قوّة الصّـوت، وكانت أضواء المسـتعمرات توصـل بعـض شـعاعها إلى الطّريق الهـدف دون أن تكشـف حركة الرّجـال الّذين امـتزج الحـذر لديهم بالخـوف والقلق مـع الشّـعور بالفخر والاعـتزاز بالنّفس.

وصلـت المجموعـة إلى منطقـة المجـدال القريبـة مـن شـاطئ بحـيرة طبريا، وهنـاك وجـدت موقعاً بين الأشـجار اسـتراحت فيه، وقـام أفرادها بتوزيـع المهمّات فيمـا بينهـم، وتـمّ تنظيـم مناوبة الحراسـة، أمّا الدّليـل فتركهـم على أن يلتقي بهم في طريـق العـودة عنـد قريـة الشّـجرة (وهي قرية نـاجي العلي).

ومـع سـاعات الفجر الأولى تحرّكـت المجموعة عـبر الوادي المـؤدي إلى(عين رافيـد)، ووصلـوا إلى موقـع العين هنـاك، وتموضعوا اسـتعداد للانتقـال إلى الموقع، كما أرسـلوا أحـد أعضاء المجموعة للاسـتطلاع ومراقبة حراسـة الهـدف، وكذلك بـاشروا بتحضـير المتفجّرات والأسـلاك والصّواعـق، للّتأكد من سـلامة المتفجّرات وصلاحيتهـا. انتظـر الفريـق عـودة المراقـب، وكانـت ليلـة قارصـة البرد والحراسـه هادئـة في أماكنهـا، والسّـكون يسـيطر على محيـط الهـدف وكذلـك الأصـوات الّتي كانـت تـأتي من البعيـد تعلـن عـن ولادة عام جديد.

تـوزّع الفريـق في محيـط الهدف، حسـب الخطّـة الّتي رسـمت سـابقاً... كانت أصـوات أقدامهـم تترافق مـع دقّات قلوبهـم وأصوات تنّفسـهم، فلقـد تضاعف في تلـك اللحظـات القلق ليـس على أنفسـهم، وإنّما على نجـاح العمليّة.

ومـع أوّل خيـوط الفجـر القادمـة مـن الـشّرق أتـمّ مهنـدس المجموعة زرع المتفجّـرات في مواقعهـا عنـد جـدار النّفـق وبـين التّوربينـات والمضخّـات، وحدّد موعـد الانفجـارات بعـد خمـسٍ وأربعين دقيقـة، وهي المـدّة الكافية ليبتعـد الفريق عـن الموقـع ويؤمّـن سـلامة العـودة، وكذلـك مراقبـة نتائـج التّفجـير. انسـحبت المجموعـة إلى المرتفعـات شـمال منطقـة الهـدف، ووصـل كلّ عنـصر مـن عنـاصر المجموعـة إلى نقطـة التّجمّـع الأولى... وبعد عـشر دقائق دوّى صـوت الانفجارات، وارتفعـت ألسـنة اللهـب الّتي أضـاءت محيط مكان الهـدف. ومن شـدة الاندهاش وربمـا الخـوف لم يطلـق حراس منطقـة الهدف صفـارات الإنـذار إلّا بعد عشرين دقيقـة على الانفجـارات، وكان ذلـك مـؤشّر على نجـاح العمليّة. تحرّكـت المجموعة عـبر الوديـان وخلـف جبـل البطـوف، و تفرقـوا متّجهـين في نفـس الوقـت نحـو قريـة الشّـجرة مسـتغلين قلّـة حركـة السّـيّارات على الطّريـق بحكـم بدايـة العام الجديـد والأغلبيّـة غارقـة في النّـوم، ووصلت المجموعـة قرية الشّـجرة، وكان الدّليل

بانتظارهـم، حيـث أخبرهـم أنّ دوريّـات الجيـش الإسرائيليّ انطلقت من معسـكر زتيـم ١٥، وحلّقـت المروحيّـات مـن معسـكر لفنائيل، وقـد دفعت هـذه المعلومات المجموعـة لـلإسراع في المغـادرة مـن أجـل الوصـول إلى قريـة زبوبـا شـمال مدينة جنين .

ومـع حلـول الظّـلام وعنـد الشريـط الفاصـل بـين الضّفّـة الغربيّـة وحدود عام ١٩٤٨م تـرك الّدليـل المجموعـة حامـلاً الأسـلحة والثيـاب لإخفائهـا، وتفرقت المجموعة للعودة بشـكل فـرديّ لأنّهم لاحظـوا أنّ حركة الدّوريـات الأردنيّة في حالة نشـطة وازدياد، واسـتطاع ثلاثـة من المجموعـة الوصول إلى مواقعهم باسـتثناء أحمد مـوسى الدلـكي الّذي عـرف فيمـا بعد أنه استشـهد عنـد نقطة الحدود مع فلسـطين المحتلـة عام ١٩٤٨م فـكان الشـهيد الأوّل «لفتح».

وبالتّزامـن مـع عمليّـة عيلبـون قامـت مجموعـة ثانيـة بنسـف خـزّان المياه ومحطـة الضّـخّ في ديـر نحـاس الّـتي تقـع بالقـرب مـن قريـة الدّوايمـة المحتلّـة عام ١٩٤٨م والّـتي تقـع غـرب مدينـة الخليـل، وتحاذيهـا قريـة بيـت جبريـن.

أمّـا المجموعـة الثّالثـة والّـتي كانـت بقيـادة جـلال كعـوش ويرافقـه عطـا أحمـد الدّحابـره مـن مخيم عـين الحلـوة فقـد قامـت بالتّحرّك نحـو منطقـة الجليل، وبعـد الاسـتطلاع الدّقيق قامت بنسـف الجسر الواقـع على طريق عـكا المنصورة في الجليـل الغربيّ شـمال فلسـطين.

وفي جنـوب فلسـطين قامـت المجموعـة الرّابعـة بنصب كمـين على طريق بئر السّـبع إيـلات، فقتلـت ثلاثـة جنـود من العـدّو، وقـد كان قائـد المجموعة سـميح سـليمان البلـوي مـن عشـيرة البلـوي منطقـة السّـبع ومحمّـد سـلامة نـاصر أبـو داهـوك من عشـيرة الجهالـين، وكلتـا العائلتين مشـهورة برجالها الأشـداء والأوفياء.

بعد تنفيذ هذه العمليّات وهذه المهمات بنجاح كانت نتائجها مذهلة للعدو، ونزلت كالصاعقة على الجمهور الإسرائيليّ الّذي عاش طويلاً في هدوء وخاصّة بعد القضاء على ظاهرة مصطفى حافظ الفدائيّة، فها هي العمليّات تتجدّد بأسلوب وطريقة وقدرة جديدة... ولم تقتصر على منطقة واحده بل امتدّت من شمال فلسطين إلى جنوبها.

على إثر ذلك اجتمع ياسر عرفات وخليل الوزير مع قادة المجموعات، واستمع لتفاصيل مهمتهم، وذهب إلى بيروت بعد ذلك مباشرة يرافقه خليل الوزير لإصدار البلاغ رقم (١)، بعد صياغته وتوزيعه على الصّحافة ووسائل الإعلام ووكالات الأنباء باسم العاصفة.

وما إن استلمت وسائل الإعلام البلاغ الأوّل حتّى تردّد في أرجاء العالم العربيّ وتلقّفته وسائل الإعلام الأجنبية.

أمّا في إسرائيل فقد أصاب القيادة الذّهول لما ورد في البلاغ رغم معرفتهم بالعمليّات إلا أنّ الإبلاغ عن قوات (العاصفة) وتبنيها للعمليات وضع الواقع الجديد في وجه الاحتلال بدون إنذار.

تكاثرت الأسئلة والتّساؤلات حول المنظمة الجديدة، ومن هم قادتها وعناصرها، وأين هي أماكن وجودهم، فقد امتدّت العمليّات من شمال فلسطين حتّى جنوبها، ومن أين دخلوا، ومن أين تسلّحوا، ومن يدعمهم... إلى غيرها من عشرات الأسئلة الّتي لم تجد صدى للإجابة عنها...

أمّا فلسطينيو مخيّمات الشّتات، وحيثما وجدوا، فقد ارتسمت على وجوهم لحظات ذهول الفرح، ومسحات القلق الجميل... فقد رقص الكبار والصّغار في المخيّمات، وهتف الناس للعاصفة، وتسابق الشّباب للبحث عن هذا المنظمه

الّتي استطاعت أن تحوّل ذلّ اللجوء والنّكبة إلى ثورة أصحبت فيما يلي من السّنوات أهمّ حركة تحرّر في العالم لأنها تصارع وتقارع أعتى وأقوى كيان عنصريّ استعماريّ استيطانيّ في العالم، مدعوم بالقّوة العظمى الأولى سواء أكانت الولايات المتّحدة أم أوروبا الاستعماريّة.

ورغم تعّرف الجميع على صيغة البلاغ الأوّل إلا أنّني أودّ تكراره، فهو يجدّد حيوية هذه الرّوح الّتي يكاد ينطفئ إشعاع الأمل فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

البلاغ العسكريّ رقم (١)

الصادر عن القيادة العامّة لقوّات العاصفة

اتكالاً منا على الله بحق شعبنا في الكفاح المسلّح لاسترداد وطنه المغتصب، وايماناً منّا بواجب الجهاد المقدس... وايماناً منّا بموقف العربّي الثّائر من المحيط إلى الخليج... وايماناً منّا بمؤازرة أحرار وشرفاء العالم.. فقد تحرّكت أجنحة من قوّاتنا الضّاربة في ليلة الجمعة ١٩٦٥/١٢/٣١- ١٩٦٥/١/١م، وقامت بتنفيذ العمليّات المطلوبة منها كاملة ضمن الأرض المحتلّة، وعادت جميعها إلى معسكراتها سالمة. وإنّنا لنحذر العدوّ من القيام بأيّة إجراءات ضدّ المدنيين الآمنيين العرب أينما كانوا لأنّ قواتنا سترّد على الاعتداء باعتداءات مماثلة، وستعتبر هذه الاجراءات من جرائم الحرب، كما وأنّنا نحذر جميع الدّول من التّدخّل لصالح العدّو بأيّ شكل لأنّ قواتنا سترّد على هذا العمل بتعريض مصالح هذه الدّول للدّمار أينما كانت.

عاشت وحدة شعبنا، وعاش نضاله لاستعادة كرامته ووطنه.

القيادة العامة لقوات العاصفة.

التاريخ ١/ كانون الثاني/١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغ عسكريّ رقم (٢)

تلبيـة لنـداء الواجـب المقـدّس تجـاه وطننـا السّـليب، وايمانـاً منّـا بحقّنـا المغتصـب، وبـأن السّـبيل لاسـترجاعه هو الثّـورة المسـلحة فقط تحرّكـت قواتنا في الارض المحتلّـة كمـا يـلي:

قامـت قـوّة ضاربة مـن المجموعـة الأولى من الجنـاح الثّالث بمهاجمـة العدوّ ومنشـآت تحويل نهر الأردنّ، واسـتطاعت هذه القوات أن تصيـب أهدافها المحدّدة لهـا في كلّ مـن نفق عيلبون وسـهل البطوف، وقد استشـهد في هـذه العمليّة مناضل واحـد انضـمّ إلى إخوانه في قائمـة البطولة والشّرف.

أصطدمـت المجموعـة الثّالثـة بمفـرزة مـن جنـود العـدوّ على طريـق بـئر السّـبع- أيـلات، وقـد قتـل ثلاثة من جنـود العـدوّ في هـذه العمليّـة، وعادت القوّة إلى قواعدهـا سـالمة.

تحرّكـت قـوّة مـن المجموعة الثّالثـة، ونسـفت خزان الميـاه ومحطّـة للضّخّ في بيـت نخـاس في المنطقة الجنوبيـة، وعادت القـوّة إلى قواعدها سـالمة.

تحرّكـت قـوّة مـن المجموعـة الثّانيـة (الجنـاح الأوّل) ونسـفت جسـراً على طريـق عكا- المنصـورة.

عاشت وحدة النّضال لشعبنا البطل
عاشت فلسطين حرّة عربيّة

لقد كان للعمليّات العسكريّة الّتي أطلقتها حركة فتح قبل انطلاقة ١٩٦٥/١/١ أثراً واضحاً لدى الدّول العربيّة وخاصّة مصر، ويمكن لهذا العمل الفدائيّ أنّ يفلت من بين أيدي الدّول العربيّة لهذا كان إنشاء منظّمة التّحرير الفلسطينيّة الّتي وضعت القواعد والبنود للسيطرة عليها وتكوينها... ورغم أنّ مصر شكّلت أول كتيبة فدائية بقيادة مصطفى حافظ إلّا أنّها كانت تسيطر عليها وأنهتها بعد عدوان ١٩٥٦ رغم إنجازاتها الكبيرة!!

إنّ عمليّات «فتح» الفدائيّة قبل عام ١٩٦٤و١٩٦٥ كانت تعتبر أجراساً للإعلان عن أنّ هناك عدّة عمليات عسكريّة ستنطلق ضدّ العدوّ الصّهيونيّ من الطّرف الأردنّي والسّوريّ واللبنانيّ ومن قطاع غزّة، وكان هذا يشكل رسائل واضحة للدول العربيّة بأنّ عمليّة النّضال الفلسطينيّ لتّحرير الوطن قد انطلقت... وأعلنت فتح في العام ١٩٦٥ أنّها نفّذت وتحت اسم قوّات العاصفة ١٤٦ عمليّة عسكريّة، و ٥٥٠ عمليّة عام ١٩٦٦، و ١٤٦ عمليّة عام ١٩٦٧، و ٦٦٧ عمليّة في العام ١٩٦٨.

هنا، يظهر بوضوح أنّ حركة «فتح» هي الرّائد والقائد لنضال الشّعب الفلسطينيّ الّتي سبقت كلّ الأحزاب والتّنظيمات، وهي صاحبة الحضور العسكريّ و السّياسيّ والشّعبيّ... وبالتّالي هي أقوى وأولى و أكثر فاعليّة وحضوراً من منظّمة التّحرير الفلسطينيّة الّتي كانت شبه تشكيل غير فعّال، فكان من الضّروري إجراء تغيير على قيادة وبنية وسياسة وهيكل م. ت. ف بعد فشل سياسة التّجاوز الّتي اتبعها أحمد الشّقيريّ الّذي حاول أنّ يتدارك الأمر، فأعلن في ١٩٦٦/١٢/٢٦ عن عزمه على تشكيل ما يسمّى «مجلس الثّورة لمنظّمة التّحرير» الّذي سيأخذ على عاتقه إعداد الشّعب لخوض معركة التّحرير، وأدان بيان الشّقيريّ عمليّات ملاحقة الفدائيين ومطاردتهم والاشتباك معهم بالسّلاح.

إعلام حركة فتح

« في السّنوات الأوّلى للانطلاقة وحتّى نهاية عام ١٩٦٩ »

أصدرت حركة فتح عدداً من الصّحف والمجلّات والنّشرات الدّوريّة اليوميّة والأسبوعيّة والشهريّة، واعتمدت عليها في ايصال أنّشطتها وأهدافها وفكرها وعلاقاتها وبلاغاتها العسكريّة ومراسلاتها العربيّة الدّوليّة للعالم، ومنها:

فلسطيننا (نداء الحياة): وقد صدرت على شكل مجلة في بيروت، واستمرّت في الصدور من عام ١٩٥٩-١٩٦٤.

صرخة فلسطين: وهي نشرة أصدرها مكتب فلسطين الّذي كان يديره خليل الوزير (أبو جهاد) في الجزائر منذ كانون الثّاني/ يناير/ ١٩٦٤.

- **أخبار فلسطيننا: نشرة يوميّة كانت تصدر عن مكتب فلسطين في الجزائر ١٩٦٤.**
- **حتّى لا ننسى: نشرة صدرت عن مكتب فلسطين في الجزائر أيضاً عام ١٩٦٤.**
- **صوت العاصفة: مجلة شهريّة أصدرتها فتح في ١٩٦٥/٥/١٧ في دمشق.**
- **الثّورة المسلّحة: نشرة شهريّة صدرت في تشرين الأوّل/ أكتوبر/ ١٩٦٦ في دمشق.**
- **الثّورة الفلسطينيّة: مجلة شهريّة صدرت في ١٩٦٧/١١/٢ في عمّان.**

- **حصاد العاصفة: نشرة أسبوعيّة صدرت عام ١٩٦٨ في عمّان.**
- **أصداء الثّورة الفلسطينيّة: نشرة أسبوعيّة كانت تصدر عن قوّات العاصفة منذ عام ١٩٦٩ في دمشق.**
- **AL-FATH: نشره باللغة الإنجليزيّة صدرت عن الإعلام المركزيّ في بيروت وعمّان منذ عام ١٩٦٩.**
- **نشرة الاستماع والرّصد الإعلاميّ: وقد بدأت في الصّدور عام ١٩٦٩/١/١.**

منذ تأسيس حركة فتح وبدايات الأنوية الأوّلى اهتمّت «فتح» وقيادتها بدور الإعلام في ايصال أفكارها وأهدافها ونشاطاتها وعمليّاتها كما أشرنا. وقبل النّشرات الّتي ذكرنا... كان هناك بعض من قيادة فتح أمثال أبي جهاد، وكمال عدوان، وماجد أبي شرار، وخالد الحسن، وغيرهم يكتبون في الصّحف العربيّة، وكذلك فإنّ كثيراً من الموادّ المنشورة في مجلة «فلسطيننا» كانت تنقل عنها بعض الصّحف العربيّة فمثلاً:

أصدرت جريدة الهدف الكويتيّة ملحقاً خاصّاً عن فلسطين في ١٩٦١/٥/١٥ حمل أسم «فلسطيننا»، وكان يكتبه عدد من روّاد فتح.

في جريدة «فلسطين» المقدسيّة تمّ تخصيص صفحة تحمل عنوان «عائدون» في كلّ يوم ثلاثاء، وبالطّبع كانت الصّفحة تحتوي على الموادّ المحرّرة في مجلة «فلسطيننا».

كان الروّاد والطّلائع الفتحاويون في الوقت ذاته يكتبون في العديد من المجلّات والصّحف العربيّة سواء في لبنان أو سوريا أو مصر أو الجزائر.

« فلسطيننا نداء الحياة »
مشعل إعلام فتح الأوّل

ترافق تأسيس «فتح» وزيادة عدد خلاياها وأنويتها وعناصرها وأنّصارها والمنتظرين للإعلان عنها مع انطلاقة مجلة «فلسطيننا نداء الحياة»، الّتي وجدت للتعّريف عن حركة «فتح» والتمهيد لانطلاقتها، والحديث عن فكرها وأهدافها ووسائل تنفيذ أهدافها في أيار /مايو عام ١٩٥٩.

لقد أثار موضوع المجلة أحمد السّعديّ، وهو فلسطينيّ من طولكرم... كان يدرس في الجامعة الأمريكيّة في بيروت الّتي انتسب إليها عدد كبير من الفلسطينيّين ذوي القدرات الماديّة والعلميّة الّذين شكّلوا حالة خاصة في الجامعة الأمريكيّة، والّذين ساهموا في دعم الجامعة الأمريكيّة، وتقديراً لهم سمّيت عدّة قاعات للتّدريس بأسمائهم. وفي هذا الوقت تعرّف أحمد السّعديّ على شاب من مدينة طرابلس حيث التقى هو وإياه سياسيّاً وفكريّاً بحكم أنّ توفيق خوري الّذي نعني كان نائباً لرئيس جمعيّة عباد الرّحمن، وهي جمعيّة إسلاميّة تأسّست منذ عام ١٩٥٠.

كانت هذه الجمعيّة تصدر مجلة اسمها «نداء الحياة»، وكانت تمتلك الامتياز لإصدارها كمجلة لبنانيّة وجمعيّة لبنانيّة. كانت المجلة في وضع ماديّ ضعيف، وكذلك لم يتوفر لها الانتشار الكبير بحكم قربها من الإخوان المسلمين في بلد تسيطر عليه الطّائفيّة في كلّ مناحي الحياة.

توطّدت علاقة أحمد السّعديّ بتوفيق خوري، واقترح على توفيق أنّ تصدر

المجلة لصالح حركة «فتح»؛ لأنّ الحكومة اللبنانيّة لا تسمح بصدور مجلة أو صحيفة فلسطينيّة أو أنّ يكون صاحبها فلسطينيّا... وهكذا كان إصدار المجلة الجديدة الّتي تحمل عنوان «فلسطيننا نداء الحياة» التفافا جيّداً على القانون اللبنانيّ الّذي لم يكن يوما في صالح الفلسطينيّين.

لقد كانت علاقة خليل الوزير مع أحمد السّعديّ طبيعيّة بحكم التّعاطف أو الانتماء السّابق لحركة الاخوان المسلمين، لقد كان لهذا الإنجّاز الّذي تبناه خليل الوزير وساهم فيه الصّدى الكبير لدى قيادة فتح وعناصرها كافّة.

بدأت المجلة (الانطلاقة) تصدر في تشرين الأوّل/ أكتوبر ١٩٥٩، في ٣١ صفحة من القطع الكبير، وبقي اسم توفيق خوري عليها كصاحب الامتياز، وكان صندوق بريده المدوّن على الصّفحة الثّالثة من المجلة (١٦٨٤)، وعلى نفس الصفحة كانت كلمة التّحرير، وحكمة العدد.

لقد احتلّت كلمة «فلسطيننا» المكان الأكبر بالشّكل الّذي تحيط به النّار، وكانت «نداء الحياة» مكتوبة بحرف صغير.

صدر من مجلة «فلسطيننا نداء الحياة» أربعون عددا على مدى خمس سنوات من العام (١٩٥٩-١٩٦٤). وكان يدوّن في كلّ عدد موضوعٌ يحمل عنوان رأينا، وقد كتبه عددمن الأخوة المؤسّسين، وخاصّة ياسر عرفات، وخليل الوزير، وصلاح خلف، وعبد الفتاح عيسى الحمود، ومحمّد يوسف النجار، وبالطّبع كان هناك مقالات دوّن ذكر أسماء أصحابها، ولكن كان التّوقيع تحت اسم «فتح»... وللتّمويه كانت البداية تكتب (ف. ت.ح)، ثمّ أصبحت تكتب «فتح» مباشرة.

في العدد الأوّل من المجلة وفي مقال أو عمود رأينا، وجّهت فتح نداءها إلى

أبنـاء فلسـطين... أبنـاء النّكبة ومخيّمـات اللجـوء بالدّعوة إلى الاعتمـاد على النّفس في تحريـر وطنهـم، وجـاء في المقـال: «أنّ نحن أبنـاء النّكبة لا ينقصنا الـوعي الصّادق ولا الثّـورة الوطنيّـة... وهـذا ما يدفعنا للاسـتعداد لخـوض معركة التّحرير المقدّسـة في وقـت نعنيـه لا في وقـت يفرض علينـا أو ننتظره».

لقـد اسـتلمت العـدد الأوّل، وشـعرت حينهـا كأنـني أمتلـك كلّ الأسـلحة بسـبب الشّـعور الوطـنيّ الغامر الّذي سـيطر على كيـاني؛ فقد كنت أجمـع التّبرّعات بموجـب وصـولات قبـض إلى الإخـوة في الثّورة الجزائريّـة والآن ها أنـذا أعدّ قوائم المشـتركين والكوادر وعـدد من التّجّـار السّـعوديين والفلسـطينيّين، وأوزّع عليهم الأعـداد بعـد أنّ قـرّرت قيـادة التّنظيم تسـليمي جـزءاً من هـذه المهمّة.

كانـت الأعداد تـوزّع بسرعـة بالغة، أمّـا محتوياتهـا فقد كانت مركـز حديثنا في السّـهرات العائليّـة.. أو اللقـاءات الفرديّـة.. وكثـيراً ما كان يسـألني الأخوة هناك عـن وصـول العدد الجديـد قبل إلقـاء التّحيّـة عليهم!!

أخـذت المجلـة صوتهـا ومكانهـا وحضورها في مناطـق الأقاليم كافّـة، وبدأت هيئـة التّحرير تشـعر بأنّ هنـاك مضايقـات قادمة ورقابة مسـتمرة.

وخوفـاً من إيقـاف إصدار المجلـة فقد اعتمـدت إدارة المجلـة توزيع الملازم على عـدد مـن المطابـع، ثـمّ يتـمّ تجميعها مـن جديـد وتوزيعهـا، حيث كانـت تصل إلى المشـتركين حسـب عنـوان بيوتهم أو تسـلّم باليـد... لقد كنت أشـعر مع مهمّتي الصغـيرة هـذه أنّـني لا أوزّع مجلة سياسـيّة بل أوزّع أسـلحة مـن كلّ الأنّواع.

كان مـن وسـائل الإعـلام الّتي لعبـت دوراً مهمّـاً في حياة «فتـح» الإذاعة الّتي كانـت تسـمى إذاعـة صـوت العاصفـة الّـتي قدمتها مصر لنـا هديّـة، والّـتي انطلق بثهـا من أسـتوديو سـابق للإذاعـة المصريّة يقـع في الطّابـق الثّالث من المبـنى رقم ٤

في شـارع الشّريفـين بالقاهـرة... ففي تمام السّـاعة السّـابعة والنّصـف صباحاً وعلى موجـة متوسـطه طولهـا (٣٤٤) مـتراً، كان ينطلـق صـوت العاصفة صوت فلسـطين مـن القاهـرة. لقد كان انطـلاق الإذاعة يرمـز إلى دعم اعتراف ومشـاركة من مصر مع حركـة فتح.

لقـد تضمّنـت برامـج الإذاعـة المقابـلات مـع الفدائيـين ومـع عائـلات الشـهداء ودروس مبـادئ الثّـورة، وإذاعـة البـلاغات العسـكريّة، وبـثّ نـداءات سرّيّـة رمزيّـة لتنفيـذ مهـامّ محـدّدة. لقـد كان الفلسـطينيّون، ككثير من الأشـقاء العـرب، يسـتمعون بشـغف إلى النّـداءات السّريّة الّتي كانـت تصـاغ برمزيّة مثيرة، وكانـت تسـبب إربـاكاً للعـدّو الّذي حاول بـكلّ الوسـائل ومن خـلال الضّغط على المعتقلـين أنّ يجـد مفاتيـح كلّ الشّـيفرات أو الرّمـوز السّريّـة أو معـاني الكلمات. لم تتوقـف الإذاعـة، بل ازدادت نشـاطاً واسـتمرت بوتـيرة أعلى مع تصاعـد العمليّات العسكريّة.

أمّـا الأغاني والأناشـيد الوطنيّـة فقد كانت تـتردّد على أفواه المقاتلـين والنّاس وحـتّى أطفـال المخيّمـات... كانـوا يردّدونها في كلّ حيّ.. كانت كأكسـير حيـاة يغذي روح الثّـورة في الأطفال والشّـباب والرّجـال، ومنها:

نشـيد العاصفـة، ونشـيد وصية الشـهيد، ونشـيد عـرس النّصر، ونشـيد (أنا ابـن فتح)!!

لقـد لعب إعلام «فتـح» دوراً عظيمـاً في التّحفيز الجماهـيريّ، وإغاظة العدوّ، وتصيـير الأغاني العربيّـة العاطفيّـة إلى أناشـيد ثوريّـة، والّتي يمكـن لك أنّ تسـمع تردّدهـا في كلّ مـكان يوجد فيه فلسـطينيّ.

لقـد أولت فتـح عناية خاصّة بالجهاز الإعلاميّ، ومنـذ عام ١٩٦٧ وحتّى أواخر

١٩٧٠ أصـدرت فتـح ٢٦ إصداراً بلغات أجنبيـة، منها ١٧ إصـدارا باللغة الإنجليزيّة، وسـبعة إصـدارات بالفرنسـيّة وإصـدارات باللغـة الألمانيّـة... وتوّجـت حركـة فتح إعلامهـا بالإعـلان الصّـادر في ١٩٦٨/٤/١٥ الّذي يعـدّ يـاسر عرفـات ناطقاً رسـميّا باسـمها وممثّـلاً لها، وهـذا ما دفع بوسـائل الإعـلام والمراسـلين الأجانـب والجهات الدبلوماسـية وغيرهـا الاتّصـال بيـاسر عرفات مبـاشرة للاسـتطلاع والمعرفة وجمع الأخبـار... وكان هـذا التّحديـد مفيداً بشـكل خاصّ.

معركة الكرامة... النّصر الكبير

تصاعدت العمليّات العسكريّة ضدّ العدوّ بعد الهزيمة الكبرى عام ١٩٦٧، وبعد الاجتمّاع الّذي عقدته القيادة في دمشق، اتّخذت قراراً بالردّ على هزيمة الجيوش العربيّة بالمزيد من العمليّات الفدائية حتى لا يهدأ العدوّ ويستكين بعد هذه الهزيمة، ولهذا وفي العام ١٩٦٧ قامت فتح بأكثر من ثمانين عمليّة عسكرية داخل الأرض المحتلّة عام ١٩٦٧ والأراضي المحتلّة عام ١٩٤٨. وقام العدوّ بحملة اعتقالات واسعة شملت كلّ الأرض الفلسطينيّة، وسبق أن أشرت إلى ذلك فقد تمّ اعتقال أكثر من (١٢٥٠) كادراً وعنصراً من فتح في فترة وجيزة ممّا أضعف الحركة، وخلخل قواعدها الارتكازيّة في الضّفّة الغربيّة وقطاع غزّة.

لكن هذا الواقع لم يضعف حركة فتح بل زادها إصرارا حيث تضاعفت العمليّات الّتي يقوم بها فدائيوها الّذين يعبرون نهر الأردنّ إلى أهدافهم المحدّدة في الأرض المحتلّة. وهذا الواقع أربك العدوّ الصّهيونيّ، فبدأت قوّاته بضرب الجيش الأردنيّ عند مناطق الحدود بل وأصبحت تضرب مواقع السّكان الأردنيين كوسيلة ضغط ضدّ الحكومة الأردنيّة لدفعها للصّدام مع المقاومة الفلسطينيّة. وخلال هذه الفترة سقط أكثر من ٢٠ جنديّاً ومدنيّاً أردنيّاً وجرح أكثر من ٥٨ آخرين، وردّاً على ذلك قامت فتح بتنفيذ (٣٢) عمليّة عسكريّة ضد أهداف إسرائيليّة.

وتواترت الأنباء عن استعدادات الجيش الإسرائيليّ للردّ على هذه العمليّات بتوجيه ضربه قويّة للأردنّ وجيشها و لقواعد الفدائيين.

وبنـاء على ذلـك قامـت فتح بإنشـاء مواقـع دفاعيّة وسـواتر ترابية وإسـمنتيّة وزرع ألغـام على كلّ الطـرق المحتمّـل تقـدم العـدوّ منهـا، وتوزيـع العنـاصر على مسـاحات واسـعة بأعـداد قليلـة لا يزيد عـدد المجموعـة منهم عـن ٣-٤ عناصر، وتسـليحها بقاذفـات **B2** وقنابـل يدويّـة ومدافـع هـاون ٦٠ ملـم، ٨٢ ملـم داخـل المواقـع المعـدّة في مخيّـم الكرامة. كمـا قامت فتح بنـشر نقاط مراقبـة متواصلة على طـول النّهر مـن الجهـة الشّرقيّة.

الأسباب المعلنة للعدوّان

بتاريخ ١٩٦٨/٣/١٨ انفجر لغم أرضيّ بحافلة تحمل عدداً من الصّهاينة على الطّريق بين بئر السّبع وإيلات. فاستغل رئيس وزراء العدوّ العمليّة من خلال افتعال ضجّة إعلاميّة، وأعلن في نفس التوّقيت الّذي انفجر فيه اللغم «أنّ الأردنّ مسؤول عن الخرق المستمّر لوقف إطلاق النّار –الّذي تبع حرب الأيام الستة ١٩٦٧- والنّتائج المترتّبة على ذلك، وسنقوم بحماية أمننا، كما أنّ الأردنّ لا يضع حدّاً للأعمال الّتي يقوم بها المخربون والّتي تنطلق من أراضيه».

وفي نفس اليوم قتل جنديان إسرائيليان في اشتباك مع مجموعة من الفدائيين، وحذرت إسرائيل الأمم المتّحدة بأنّها تحتفظ بحقّ الردّ ومذكرة أنّ ٣٦ هجوماً وقع ضدّ إسرائيل منذ ١٩٦٨/٢/١٥.

وهنا أدركت الحكومة الأردنيّة أنّ هذا الهجوم الإعلامي الإسرائيليّ ليس خلفه إلّا إعداد لعدوان على الأردنّ، بتقديم رسالة إلى رئيس مجلس الأمن تشير إلى أنّ «إسرائيل تعدّ العدّة لشنّ هجوم كبير على الأردنّ، ويمكن أن يؤدّي ذلك إلى تجدّد القتال في الشّرق الأوسط»، وكذلك داعيا لاتّخاذ خطوات لتجنب هذا الهجوم.

من ناحية أخرى نفّذ الفدائيون عمليّة (حولون) الّتي كانت تهدف لقتل وزير الحرب موشي دايان بتاريخ ٢٠ آذار ١٩٦٨؛ أي قبل يوم واحد من معركة الكرامة الّتي قتل فيها أربعة جنود إسرائيليين وكسرت يد موشي دايان. وكالعادة لم يعترف العدوّ بالعمليّة بل نسب جرح موشي دايان إلى سقوطه عن سور

قديم، وأعطت هذه العمليّة مبرّراً جديداً للعدوّان الإسرائيليّ والتّسريع به، مع العلم أنّ أخبار استعدادات العدوّ لعدوانٍ كبير وواسع بدأت تصل تباعاً للقيادة الفلسطينيّة مع مطلع آذار، فقام مسؤول في الاستخبارات العسكريّة الأردنيّة غازي عربيّات بإجراء لقاء مع القيادة الفلسطينيّة.

في ١٠ آذار ١٩٦٨ في أحد المواقع داخل مخيّم الكرامة، أبلغ غازي عربيّات القيادة ممثّلة بشخص ياسر عرفات وصلاح خلف بأنّ الأردنّ تسلّم معلومات من الـ CIA (سي. أي. أيه) تفيد بأنّ إسرائيل ستشنّ هجوماً واسع النّطاق على قواعد الفدائيين المقامة على طول نهر الأردنّ، وطلب منهم الذّهاب إلى عمّان و الالتقاء برئيس الأركان العامّة للجيش الأردنيّ اللواء عامر خمّاش.

التقى ياسر عرفات وصلاح خلف مباشرة بعامر خمّاش يوم الاثنين ١٨ آذار ١٩٦٨ حيث أوضح لهما، وبشكلّ معلوماتي ودقيق، أنّ الهجوم الإسرائيليّ سيتمّ خلال الثّلاثة الأيام المقبلة، وأبلغهم أنّه من الحكمة أن يتلافى الفدائيون أيّة مواجهة مع العدوّ والانسحاب من كلّ تلك المناطق باتّجاه العمق الأردنيّ، وسيكون خطأ جسيماً ترتكبه قيادة «فتح» إذا ما قرّرت مواجهة العدوّ لتنافي التوازن بين القوّتين والإمكانات الهائلة لجيش العدوّ.

لاشكّ في أنّ حرب العصابات تتناقض مع مواجهة جيش نظامي؛ لأنّها تعتمّد على أسلوب الكرّ والفرّ، واضرب واهرب، وتموضع وانسحب.

ولهذا كانت نصيحة عامر خمّاش واقعيّة وصحيحة جدّاً في ظلّ الظّروف الّتي تمّر بها الثّورة الفلسطينيّة وحركة فتح بشكلّ خاصّ؛ فهزيمة الجيوش العربيّة دون قتال أمام الجيش الإسرائيليّ، وحالة الانهيار الّتي مرّت بها قيادة هذه الجيوش لا يمكن استكمالها بهرب الفدائيين أيضا من المواجهة، ولو تمّ

ذلـك فلن يقـوم للفلسـطينيين والفدائيين وحركة فتـح قائمة، وكذلك فـإنّ الجيوش العربيّـة سـتبقى في حالـة الذّلّ والاستسـلام الّـتي عاشـتها مع هزيمـة حزيران.

وهنـا، وبـكلّ التّقديـر للـواء عامر خمّـاش، أجاب يـاسر عرفـات «إنّنا نعلم صـدق نواياكـم ودّقـة معلوماتكـم؛ لكنّنـا في فتح لن نسـتطيع الانسـحاب دون مواجهـه، ولن نخلي السّـاحة مـرّة اخرى امام الإسرائيليّين، وسـنكون قـدوة للعرب ولجيـوش العـرب. إنّنـا قـادرون على مواجهـة الجيش الإسرائيـليّ ويمكننـا أن نهزم هـذا البعبع أو الأسـطورة».

حـاول عامـر خمّـاش دفـع الوفـد لمقابلة الملك حسـين لكـن تـمّ الاعتذار لأنّـه لـم يتبـق وقت للاسـتعداد والمواجهـة، وتحصـين القواعد الفدائيـة على طول النهر.

بعـد ذلـك اجتمّـع كلّ من يـاسر عرفات، وصـلاح خلف، وفـاروق القدومي، ومحمـدوح صيـدم بقيـادة المجمـوعات والمواقـع، وأطلعوهـم على فحـوى اللقـاء مـع اللـواء عامـر خمّـاش، فأجمع القـادة على عدم تـرك المواقـع دون مواجهـة، وطلبوا أن تخـرج القيـادة من مواقـع المواجهـة الأولى... وهكـذا تمّ توزيـع القـادة الأربعة على عـدّة كهـوف مشرفة على مخيّـم الكرامة وعلى الشّريـط الممتدّ على طول نهـر الأردنّ.

طلبت الجبهة الشّـعبيّة في الوقت نفسه من كلّ كوادرها وعناصرها الانسحاب مـن داخل مخيّـم الكرامـة إلى المرتفعات كما طلـب اللواء عامر خمّـاش، لكن فتح وقـوّات التّحريـر الشّـعبيّة الّتي هي جزء مـن جيش التّحريـر الفلسـطينيّ رأت أنّه مـن الـضّروري خلـق ملحمة بطوليّـة، ومواجهـة العـدوّ والتّصدي بكلّ الوسـائل لإنهـاء الغطرسـة الإسرائيليّـة ووقف الهزائـم العربيّة، ولـم يتبق في مواجهـة العدوّ إلّا ٤٢٢ مقاتـلا مـن حركة فتـح، و٨٠ مقاتلا مـن قوّات التّحرير الشّـعبيّة.

بـدأت مشـاعر المقاتلـين تحتدم بمشـاعر الشّـهادة والخلود ومشـاعر الفخر؛ لأنّهـم سـيقاتلون عدوّهـم بـكلّ قوتـه وجهـاً لوجـه لـيردّوا على الهزيمـة الكـبرى للجيـوش العربيّـة مجتمّعـه، والّتي سـمّوها «النّكسـة»!!

لقـد أصبـح واضحـا أمـام مقاتـلي فتـح أنّ قـرار المواجهـة سـيؤدي إلى ردّع العنجهّيـة الصّهيونيّـة وغـرور الجيـش الإسرائيـليّ... ورغـم هـروب أحمـد جبريـل وأحمـد زعـرور إلّا أنّ ذلـك أعطـى شـعورا بالقـوّة لدى قـادة المجمـوعات، وابـرز جوهـر التّلاحـم بين الجيـش الأردنيّ والفدائيين الفلسـطينيّين، فكانـت المجموعات وقادتهـا على اسـتعداد لإظهـار معـدن وقـدرات الشّـعب الفلسـطينيّ وأهدافـه.

في هـذا الوقـت كان التّنسـيق بـين أبـو المعتصم وأبـو صبري من جهة وسـعد صايـل واللـواء مشـهور حديثة من جهـة أخرى يجـري في كلّ سـاعة وأوّلا بأوّل وفي حالـة ترقّـب وانتظار لما سـيأتي بـه الغد.

إنّـني عندمـا أعيـد الذّاكـرة إلى تلـك الأيـام الخـالدة أجـد مـن الواجـب أن أذكـر كلّ مـن صنـع لحظـة أو دقيقـة أو سـاعة خـالدة في ذلك اليـوم المجيـد، ولهذا فإنّـني أذكـر بـكلّ اعـتزاز قادتها:

- **قاعـدة قيـادة أبوعمـار وهي في بيـت تيمّ، ومنها ينطلق شـمالاً وجنوبـاً لمراقبة القواعد والاسـتعدادات الأخرى.**
- **قاعدة إبراهيم النّابلسيّ.**
- **قاعدة ربحي - قاعدة مدرسة البنات.**
- **قاعدة رؤوف -وهي قاعدة مدرسة الذكور ومكونه من ٢٥ فدائياً.**

- **قاعدة عبد المعطي السّبعاوي.**
- **قاعدة عيسى الغريب.**
- **قاعدة إسماعيل رجب.**
- **قاعدة صلاح التّعمريّ -وهي قاعدة ومعسكر الأشبال.**
- **قاعدة أبو شريف -وهي قاعدة (١٩٣) وهكذا كانت تسمى.**
- **قاعدة مأمون.**
- **قاعدة الحاجّ يوسف.**
- **قاعدة عبد المطلب النّبك.**
- **قاعدة أبو صبري- وهي في حي زرنوقه، وعناصرها ثلاثون فدائياً.**
- **قاعدة الاستطلاع.**
- **قاعدة الكوادر- كانت منتشرة على الشّارع الرّئيس وتضمّ ٦٠ عنصراً .**
- **قاعدة التّدريب.**
- **قاعدة الشّهيد الفسفوريّ.**
- **قاعدة جيش التّحرير الفلسطينيّ (قوّات التّحرير الشّعبيّة)، وكانت منتشرة على المرتفعات، وكان مضافاً إليها عشرة متطوّعين من الكويت، وكان هناك فصيل في غور الصّافي.**

لقد تمّ توزيع قواعد الفدائيين حسب توقّعات القيادة في اجتمّاعها

الأخير سواء قادة القواعدّ أو كلّ من الأخوة: أبو عمّار وأبو إياد وأبو صبري وأبو اللطف الّذين تقرّر إخراجهم من منطقة الصّدام الأولى إلى المغائر المشرفة على مخيّم الكرامة، فقد كانت التّوقّعات تشير إلى أنّ آليات العدوّ ستتّجه مباشرة إلى مخيّم الكرامة وبعضها سيأتي من الشّمال، وبعضها من الجنوب الّذي سيتعامل معها قوّات الجيش الأردنيّ في الشّونة الجنوبيّة.

كما كان متوقّعاً أن تقوم المروحيّات بإنزال مجموعات كوماندوز في التّلال المحيطة من الشّرق لمخيّم الكرامة لتقطع الطّريق على الهروب من المخيّم.

المعركة

في السـاعة الخامسـة وخمـسٍ وعشرين دقيقـة تحرّكـت القـوّات الإسرائيليّة المهاجمـة كمـا كان متوقعـاً، وكانت مكونـه من اللـواء المـدرع (٦٠)، واللواء المشـاة (٨٠)، ولـواء المظليين (٣٥)، وخمسـة كتائـب مدفعيّة بالإضافة إلى قوّاته العسـكريّة الّـتي كانـت مرابطة بشـكّل دائم على الضّفّـة الغربيّة لنهـر الأردنّ في مواجهة القوّات الأردنيّـة، وقـد تحرّكت كلّهـا صبـاح ١٩٦٨/٣/٢١ على أربعة محاور مـن أجل اجتياح الأغـوار الأردنيّـة للقضـاء على الفدائيـين الفلسـطينيّين أوّلاً والزّحـف نحـو جبال السّـلط وناعـور حـتّى جبال مادبـا في العمـق الأردنيّ، لتتـمّ مسـاومة الأردنّ عليها بعـد احتلالها.

ونظـراً للعجرفة والغـرور والعنجهيّـة الصّهيونيّة دعا موشي ديـان وزير الحرب آنـذاك أكـثر من عشرين صحفيـاً لمرافقته، ولشرب الشّـاي في مرتفعات السّـلط.

أطلـق العـدوّ على هـذه العمليّـة اسـم «كونـت»، وكانـت بقيـادة قائـد الجبهة الغربيّـة في الجيـش الإسرائيـليّ الجـنرال «عـوزي تركيـس» ونائبـه العميـد «تال».

تحرّكـت هـذه القـوّات الضخمـة في العـدد والعـدّة، وكانت ترافقهـا عشرون طائـرة مروحيّـة تقـلّ قـوّات الكومانـدوز الّـتي أنزلت خلـف الخطوط كمـا اشرنا للقضـاء على أقـلّ مـن خمسـمائة فـدائي فلسـطيني، وكانـت خطّة سـيرها تجري على **أربعة محـاور**، هي:

- **محـور العارضـة: وقد تحرّكـت القوّات قاطبـة إلى جسر الأمير محمّـد المعروف**

بجسر (داميه)، ثمّ إلى مثلث المصريّ، ومن ثمّ إلى طريق العارضة باتّجاه السّلط مروراً بدير علا.

- **محور وادي شعيب: ويأتي مباشرة من جسر الملك حسين (اللنبي) باتّجاه الشّونة الجنوبيّة مروراً بوادي شعيب مع العلم أنّ قواعد الفدائيين كانت تمتدّ على طول طريق وادي شعيب.**

- **محور سويمة: ويأتي من جسر الأمير عبدالله إلى غور الرامة، ويتوجّه إلى ناعور من خلال الطّريق الممتدّ بين القدس وعمّان.**

- **محور غور الصافي الّذي يمتدّ من غور الصّافي إلى الكرك، حيث كانت موجودة سريّة من قوّات التّحرير الشّعبيّة هناك.**

كانت الأوامر العسكريّة الإسرائيليّة واضحة، وقد تمّ الإعلان عنها بعد عدّة سنوات من خلال ما يسمّى (ملحق أوامر عسكريّة بتنفيذ عمليّة رقم -٣- ضدّ منظّمة «فتح» في الكرامة-سري للغاية-... وكان هدفها إلى القضاء على قواعد حركة «فتح»، ومن ثمّ تصفيتها، وتدمير أكبر عدد ممكن من المنازل في مخيّم الكرامة من أجل تحريض السّكان على «فتح».

كان الهجوم الإسرائيليّ من المحاور كافّة، والّتي تقع شمال البحر الميّت. استعمل العدوّ مختلف الأسلحة بقوّة ناريّة هائلة، فقد استعمل المدفعيّة بعيدة المدى والدّبابات والطيران العسكري، وكان يرمي لإحداث صدمة لدى الفدائيين والجيش الأردنيّ من خلال كثافة النيران... لكنّ استعداد الجيش العربيّ الأردنيّ وفدائي فتح وتوزيعهم، وزرعهم الألغام، والجهوزية المعنويّة، وحيازة سلاح الـ(ر-ب-ج) المضاد للدّبابات والّذي كان بحوزة الفدائيين أفشل إحداث الصّدمة الّتي خطّط لها العدوّ، بل وإنّ جنود الجيش العربيّ الأردنيّ وضباطه كانوا على

استعداد غير مسبوق للثّأر من هزيمة ١٩٦٧، وبالتالي كان أحد الأهداف بعد صدّ هذا العدوّان على الأراضي الأردنيّة هو أن يعرف العدوّ أنّ الجيش الأردنيّ وبتحالفه مع الفدائيين قادرٌ على إنزال الهزيمة بالجيش الّذي «لا يقهر»!

كان مسرح العمليّات العسكريّة في حالة غليان من زخم النّيران الّتي صبّها العدوّ، وكان حملة الـ(ر-ب-ج) بالمرصاد لدّبابات العدوّ الّتي بدأت بالتّقدّم تحت نيران كثيفة، وبدأت مدفعيّة الجيش العربيّ الأردنيّ بالردّ على القصف بقصف مماثل وتركزّ القصف المدفعيّ الأردنيّ على أرتال الدّبابات المتقدّمة، ولأوّل مرّه في حرب المنطقة تستطيع مدفعيّة ان تصيب الأهداف المتحّركة، فكانت الدّبابات تحترق من قصف المدفعيّة الأردنيّة، ومن حملة الـ(ر-ب-ج) الّتي بيد الفدائيين، ومع كلّ إنجاز كانت الأصوات ترتفع بـ(الله أكبر).

احتدّت المعركة وكانت صدمة للقيادة الإسرائيليّة من هذا الردّ العنيف والمبدع من الجيش الأردنيّ ومن هذه الثّلة المؤمنة من فدائيي فتح. كان الوضع يشبه حالة الالتحام المباشر مع القوّات الأردنيّة الموجودة على المحاور وكذلك مع الفدائيين الفلسطينيّين، وأُسقط في يد العدوّ، وخسر المفاجأة، وواجه مقاومة أبطال فتح وجنود الجيش الأردنيّ، فدفع بطائراته المقاتلة ومروحياته تصّب حممها على مواقع المدفعيّة الأردنيّة الّتي كانت تضرب ثم تختفي، فتحوم الطّائرات والمروحيّات حول أماكن المدفعيّة.

اقتربت آليات ودّبابات العدوّ بعد أربع ساعات من القتال من مخيّم الكرامة، وحاصرته، وبدأ القتال من شارع إلى شارع، ووصل القتال إلى داخل المخيّم بالسّلاح الأبيض، وقام بعض أبطال فتح برمي أنفسهم تحت الدّبابات حاملين الألغام الّتي تفجّرت فيها، وقام العدوّ بعدّة انزالات لإتمّام محاصرة المخيّم وقطع طريق الإمداد حتّى أنّ إحدى مجموعات العدوّ أنزلت بالقرب

مـن المغـارة الّـتي كان الأخ أبـو إياد يختـفي فيهـا، وكان جنـود العدوّ أمامـه يراهم ولا يرونه.

قاتـل فدائيـو «فتـح» بالأحزمـة النّاسـفة والألغـام والقنابـل اليدويّـة وبالرّشّاشـات والبندقيّـة ذات الطّلقـة الواحـدة، وقاتـل أبطـال الجيـش الأردنيّ البواسـل بـروح استشـهاديّة لم يسـبق لجيـش عـربيّ أن عرفها، وقـد كان فضل مميّز وخـاصّ وعظيـم للقائـد العسـكريّ اللـواء مشـهور حديثـة الّذي خلدته فلسـطين وخـلده الأردنّ، القائـد الملهـم الّذي لم ينتظر الأوامـر العليا لصدّ الهجـوم، بل طبّق العلـم العسـكريّ بحذافـيره، وهي: إذا هاجم العـدوّ أرض الوطن فـلا تنتظر الأوامر بـل بـاشر بالتصّـدي، مـع العلـم أن القيـادة العسـكريّة الأردنيّـة والملـك الرّاحل الحسـين كانوا يتابعون سـير المعـارك أوّلاً بـأوّل. ولهذا عندما طلـب العدوّ منتصف النّهـار وقـف إطـلاق النّـار رفـض الملـك حسـين الطلـب، فاسـتمّرت المدفعيّـة بقصـف القـوّات الغازية، وتدخلـت السّـفارة البريطانيّة والأمريكيّـة اللتان كانتا تتابعـان الأحـداث دقيقـة بدقيقـة، وأمر الملك حسـين أن لا يبقى جنـديّ إسرائيليّ واحـد شرق النّهر حـتّى يوقف القتـال، وبالفعل... وفي السّـاعة الرّابعـة خفّت حدّة القصـف وأصـوات الأسـلحة، وظهـر أنّ الإسرائيليّـين قـد بـدأوا بتجميـع جثـث موتاهـم مـن محيـط الكرامة.

بـدأ إنسـحاب قـوّات العدّو الذّليل في السّـاعة الخامسّـة والنّصف من مسـاء يـوم الخميس الموافـق ١٩٦٨/٣/٢١، وكانـت معركة الكرامـة الانتصار المـدوّي الأوّل ضـدّ الجيـش الإسرائيليّ الّذي هـزم الجيـوش العربيّة...!

كانـت أذاننـا، أنا وأصدقـائي، لا تفارق المذيـاع، وننتقل من محطّـة إلى أخرى لعـلّ هنـاك خبرا جديدا حـول المعركة، وكانـت إذاعة الــ (B.B.C) البريطانيّة هي العنـوان الأوّل ومركـز تزويدنا بالمعلومات.

ورغم عدائيّة بريطانيا لنا فقد كان هناك محاولات في ذلك الوقت لتقديم ٥٠٪ من الحقائق عن المعركة، وهذه نسبه عالية من الصّدق بالنسّبة للإعلام البريطانيّ.

ومع نهاية المعركة كانت أرواحنا ترفرف حول مخيّم الكرامة، وتبادلنا التّهاني والحلويات، وكان في قلب كلّ واحد منا نصر ووطن وبندقيّة وفدائيّ وجدار صامد في مخيّم الكرامة الّذي هدم العدوّ معظم مبانيه.

أما حال أهلي في أبوديس، فقد كانت أمي -رحمها الله- وأخواتي ومعهن كلّ نساء أبوديس وأطفالها وشبابها يعتلون أسطح المنازل، يتابعون سير المعركة بالعين المجرّدة، وحاول أبي الّذي كان فرحاً أن ينزل أمي وأخواتي عن سطح المنزل فلم يستطع، فلقد كانت السّعادة تغمر أهل أبوديس وهم يرون المروحيّات تنقل القتلى والجرحى من أرض المعركة إلى مستشفى هداسا، وكانت الزّغاريد تختنق في حناجر النّساء وتعوّض الفرح الصّاخب في نفوسهن، وكانت معركة الكرامة نكبة ومصيبة وهزيمة وذلاً للصّهاينة، حيث فشل العدوّ في تحقيق أهداف عدوّانه.

أمّا عمّان فقد خرجت عن (بكرة أبيها) لوداع شهداء الكرامة من المسجد الحسينيّ وشارع الملك طلال. وكان الآلاف يودّعون الشّهداء إلى مقبرة بجانب مخيّم الوحدات، وكان كلّ الأردنّ في وداع الشّهداء بشعبه وقيادته... وكانت كلّ المخيّمات الفلسطينيّة تردّد بصوت واحد ثوره ثوره حتّى النّصر.

لا أدري هل معركة الكرامة كانت البداية أم النهاية... هل كان مسموحاً لنا الانتصار؟! هل ولدت قوّة جديدة تختلف عن كلّ قوى الأنظمة، وتشكّل خطراً على تقسيمه العالم الّتي رسمت في يالطا... أين نحن الآن وقد انطلقت قوة

جديـدة ؟؟ عـشرات الأسـئلة كانـت تدور في دمـاغي... لكـنّ فرح النّـصر لم يترك للعقـل عقلانيّـة الرّؤيـا والتّحليـل فلم يكـن ضروريّـاً التّفكير في مـاذا بعد !!

فشـل العـدوّ، وبـرزت قوّة جديـدة ترتكـز على هـذا التّلاحـم العظيم بين الجنـدي الأردنيّ والفـدائي الفلسـطينيّ... وظهـر للعالـم ضعـف العـدوّ الّذي كان يخفيـه خلـف هذه القـوّة الهائلـة مـن الآلات العسـكريّة مـن طائـرات ودّبابات ومدافع.

اليـوم هـو يـوم الانطلاقـة الجديـدة لحركـة فتـح الّـتي قاتلـت، واستشـهد رجالهـا بـأروع صـور الاستشـهاد... ولا أبالـغ إذا قلـت: «إنّ الّذين قاتلوا هـم الّذين استشـهدوا».

أمّـا محصلـة معركة الكرامـة فأنقلها عـن مصدرهـا والّتي نقلتها عـن مقالة للكاتـب الإسرائيـلي افيتـار بـن تسـيدف في كتـاب معركـة الكرامة الخـالدة -أمين الحنيطـي- جهنـم في عيـون الإسرائيليين.

نتائج المعركة

فكانت بناء على ما ورد كما يلي:

- **حركة فتح وقوّات التّحرير الشّعبيّة**: ٧٤ شهيداً لفتح، ٢٧ شهيداً لقوّات التّحرير الشّعبيّة وهناك ١٠٠ جريح من المدنيين والفدائيين، كما تمّ أسر حوالي ١٣٠ مدنياً وفدائياً بعد تجميع العدو لسكان مخيّم الكرامة، ودمر في نفس الوقت ٢٠٠ بيت تدميرا كاملاً.

- **الجيش العربيّ الأردنيّ**: سقط له ٨٧ شهيداً بينهم ٦ ضباط، و١٠٨ جرحى فيهم ١٢ ضابطاً، ودمّر لهم ١٣ دبابة و٣٩ آلية. ويلاحظ هنا أنه وللمرّة الأوّلى يتسابق الضّباط مع جنودهم في صدّ العدوّ.

- **جيش العدوّ الإسرائيليّ**: ٢٥٠ قتيل، أكثر من ٤٥٠ جريحاً، وتدمير ٨٨ ألية و٢٧ دبابة، و ٢٤ سيارة مسلّحة وتدمير ١٨ ناقلة جند و ١٩ سيارة شحن وإصابة ٧ طائرات.

ولا بد هنا من الإشارة أنّه، وللمرّة الأوّلى، تعرض الدّبابات المأسورة في عاصمة عربيّة.

صنعت ملحمة الكرامة بامتزاج الدم الأردنيّ والفلسطينيّ وأصبحت المقاومة رقماً جديداً على طاولة الصّراع في الشّرق الأوسط... وشكّلت في نفس الوقت نقطة تحوّل في شكّل الصّراع مع العدوّ، وفرضت الاحترام والتّقدير العظيمين لأبطال وشهداء الجيش العربيّ الأردنيّ وصنعت هالة من القدسية

فـوق رؤوس الفدائيـين، الأمـر الّذي أدى إلى هبّـة لا مثيـل لهـا في التحـاق آلاف الشّـباب الفلسـطينيّ إلى حركـة فتـح بل كان هنـاك المئـات الّذين تركـوا جامعاتهم والتحقـوا بالثورة.

لقـد أفشـل التّخطيط والاسـتعداد والتّنسـيق بين الجيـش والفدائيين أحلام مـوشي ديـان الّذي اعـتزل وفي قلبه غصة بـدل الفرحة ١٩٦٧، هي غصـة الكرامة.

أمّـا **تعليقـات** قـادة العـدوّ فقـد كانت تعتـصر بالألـم والذهول، وقـد جاء في بعضها :

- قـال حاييـم بارليف صاحـب الخط المعـروف على قنـاة السـويس (هآرتس ١٩٦٨/٣/٣١): «لقـد فقـدت إسرائيـل في هجومها الأخـير على الأردنّ آليات عسـكريّة تعـادل ثّلاثـة أضعاف مـا فقدته في حـرب حزيران».

- أمّـا المقـدم اهارون بيـلد قائد مجموعـة القتـال الإسرائيليّة فقد قـال: «لقد شـاهدت قصفـاً عنيفـاً في حيـاتي لكنـني لـم أر شـيئاً كهـذا من قبـل، لقد أصيبـت معظـم دّبابـاتي باسـتثناء اثنتين في هـذه العمليّة».

- وقـال يـوري أفنـيري في صحيفـة (هـاولام هازيـه): «المفهـوم التّكتيـكي للعمليّـة كان خاطئـاً من الأسـاس، وأنّ النتائج انتهت إلى نّصر سـيكولوجيّ للعـدوّ الّذي كبدنـا خسـائر كبيرة».

- أمـا ردود الفعـل العربيّـة فقـد جـاءت متوجـة بتهنئـة الرّئيس جمـال عبد النـاصر لأبطـال الكرامـة، ووجـه الملـك فيصـل بـن عبـد العزيز دعـوة إلى كلّ مـن خليـل الوزيـر، وصـلاح خلف (أبـو إياد) لزيـارة الريـاض وتعهـد بتقديم دعـم مالي كبـير لحركـة فتح.

وشكّل انتصار الكرامة انتصار للشّعوب العربيّة وقيادتها، فكانت مصر رائدة في تعزيز التحالف مع حركة فتح، فقدّمت الدوّرات العسكريّة في كافّة المجالات الأمنية والبحريّة، وافتتحت في القاهرة إذاعة صوت فلسطين. وكانت مصر سبّاقة في استيعاب هذا الإنجاز العظيم الّذي أفرزته معركة الكرامة، فطورت وعززت علاقتها مع فتح، وكانت أولى الخطوات ردف القوّات الفلسطينيّة ب ١٣٠ ضابطاً وجندياً من قوّات عين جالوت التّابعة لجيش التّحرير الفلسطينيّ، وعزّز ذلك وضع قوّات فتح في جنوب الأردنّ وذلك في منتصف شهر ١٩٦٨/٤.

وفي نفس الوقت أمر الرّئيس جمال عبد الناصر بإرسال شحنة أسلحة لفتح لتعويض الأسلحة الّتي فقدت في المعركة.

وكما أشرت فتحت أبواب الطّلبات العسكريّة الخاصّة بإطلاق الصّواريخ والضّفادع البشريّة، والصّاعقة والأمن لدورات مكثفة، وكان التّنسيق الأمنيّ يجري على قدم وساق بين فتح وجهاز خاصّ من الاستخبارات المصريّة من أجل جمع المعلومات واستطلاع قوّات العدوّ ومراكز تجمعاته، وساهم هذا التّعاون في إنجاز عدد من العمليّات الكبرى والمؤثرة، والّتي قامت بها عناصر من «فتح» وعناصر من الاستخبارات المصريّة، ومنها ضرب مصنع البوتاس الواقع على البحر الميت والّذي يعتبر من أهمّ المشاريع الإسرائيليّة في مجال الكيمياء والّذي كان يستغل مياه البحر الميت الّتي يتوفر فيها خمسة عشر ملحاً كيميائياً، وكذلك ضرب قاعدة مسادة الجوية، وتحصينات مفاعل ديمونا في النّقب.

من ناحية أخرى، ونظراً لهذا الكمّ الهائل من المتطوّعين القادمين من دول عدّة، فقد تمّ إعادة تشكيل القطاعات العسكريّة لحركة فتح، وظهرت أجهزة جديدة تتناسب وهذه الزيادة في العتاد والعدّة، وامتدّت من شمال الأردنّ

حـتّى جنوبـه، وظهرت العيـادات الصحيّـة وأجهزة وخلايـا الرّصد والأمـن وقطاع النّاقـلات والمواصلات والأدوات اللوجسـتيّة.

كمـا كان هنـاك جهـاز مـن أهـمّ الأجهـزة، وهـو جهـاز العنايـة بالشّـهداء والجـرحى وعائلاتهـم، وقـد تمّ ايـلاء هذا الجهـاز عناية قصـوى تفـوق أجهزة بعض الدّول في هـذا المجـال.

ولا شـكّ في أنّ الدعـم المـاليّ الّذي بلغتـه الحركـة بعـد معركـة الكرامة من المملكـة العربيّـة السّـعودية والكويـت وقطر وبعـض دول الخليج وكذلـك من ليبيا سـاهم في تعزيـز وظيفـة هذا الجهـاز الهّـام جدّاً.

ماليّة حركة « فتح »

مـن أجـل الانطـلاق بحركة ثوريّة مسـلّحة مسـتقلّة فإنّه لابدّ مـن أن يعتمد مؤسّسـوها على تمويـل لا تشـوبه شـائبة، ولا تخضـع حركتهـم لأيّ تأثـير خـارجيّ ناجـم عـن الأموال الّتي تحصل عليها سـواء على شـكل تـبرّعات، أو تمويـل، أو موادّ عسـكريّة وأجهـزة وآليّـات، أو مـوادّ تموينيّـة، أو أيّـة احتياجـات أخـرى، ويجـب أن تكـون بـلا أيّـة شروط... ولهـذا حـدّدت حركـة «فتـح» في (بيـان حركتنـا) في الصّفحـة ٢٨ أهدافهـا بالقـول: «إنّ فتـح تؤمـن بـضرورة الحياة، وهي سـتقبل العون غـير المـشروط مـن المصـادر النّظيفة».

وبنـاء على ذلـك فقـد قامـت فتـح بتكوين دائـرة ماليّـة تشرف على الشّـؤون الماليّـة للحركـة في كلّ منطقـة، وتتبـع هـذه الدّائـرة لجنـة التّعبئـة الثّوريّـة آنـذاك، وكانـت تقـوم بتأمين احتياجـات الحركـة وإدارة المـوارد وتحديد نفقـات كلّ منطقة.

كانـت البدايـات صعبة سـواء من حيث توفّـر الأمـوال أو أدارتهـا أو جمعها، ولهـذا اعتمـدت الحركـة أسـلوب جمـع الاشـتراكات مـن الأعضـاء في كلّ منطقـة، وكذلـك أيّـة تـبرّعات أو مسـاعدات. كانـت كلّ منطقـة تقـوم بإرسـال الأمـوال إلى الدّائـرة الماليّـة المركزيّـة، وإلى كلّ إقليم أو منطقة تنفق الاحتياجـات الّتي حدّدت لها مركزيّـاً على شـكل ميزانيـة. أمّا بالنسـبة للدّائـرة المركزيّـة فلا تقوم بأيّـة مصروفات دون إقرارهـا مـن اللجنـة المركزيّة العليـا، سـواء أكانت دوريّـة أم طارئة.

كانـت أمـوال الحركـة توضـع في حسـابات البنـوك تحـت اسـم أعضـاء مـن اللجنـة المركزيّـة العليـا، ولا يمكـن صرف أو سـحب أيّـة أمـوال إلّا بتوقيع اثنين

منهـم... وفي معظـم الأحيـان كان اسـم يـاسر عرفـات دائمـاً ومعـه اسـم آخـر هـو المفـوّض الماليّ.

اعتمدت حركة فتح على **مصادر محدّدة** -كما أشرنا- ومن هذه المصادر:

- **اشـتراكات أعضـاء حركـة «فتـح» الّتي تقـرّر أن لا تقـلّ عن ٢٪ مـن الدّخل الشّـهريّ، ومـا يقدمـه الأعضاء زيـادة على الراتـب... ولهذا كانت نسـبة عالية من الأعضـاء الّذيـن تتوفّر لديهـم الإمكانات الماديّـة يقدمون مبالغ كبـيرة حتّى تصل في بعـض الأحيان إلى ٥٠٪ مـن الرّاتب.**

- **التّـبرّعات والمعونـات الماديّـة والماليّـة مـن الأعضـاء والأصدقـاء والمقربـين الّـتي كانـت تدفـع في سرّيّـة تامـة قبـل الانطلاقـة.**

- **أيّـة مشـاريع اقتصاديّـة تقـوم بها الدّائـرة الماليّـة المركزيّـة، أو الإدارة الماليّة للمناطـق بعـد إقـرار من اللجنـة المركزيّـة العليا.**

- **الأمـوال الّـتي كان يتـمّ الحصـول عليها مـن المواطنـين الوطنيـين والمعونات العامّـة، وذلـك بعـد الانطلاقـة ومعرفة الشّـعب الفلسـطينيّ بها.**

- **المسـاعدة غـير المشروطـة مـن كلّ الدّول العربيّـة والبـلدان الصّديقـة مـن خـلال الوفـود الّـتي كانـت تقـوم بالزّيـارات لتلـك البلدان.**

وكلّ مـا ذكـر في هيكل البنـاء الثّـوريّ، والنّظـام الدّاخليّ اللذين كانا يشـكلان دسـتوراً وبوصلة وطريقـاً للحركة.

وكمـا أشرنا، فإنّ التّـبرّعات والاشـتراكات قبل الإعلان عـن الانطلاقة كانت تتـمّ بسرّيّـة تامّة من أعضـاء الحركة أو مناصريهـا المقربين، وقد اسـتمرّ هذا الوضع مـا بين أعوام ١٩٥٩ وهو عام التّأسـيس وحـتّى عام ١٩٦٤.

لقـد كان تحصيـل الأمـوال هامّاً جدّاً مـن أجل الانطلاقـة عام ١٩٦٥، وتمويل أعضـاء الدّوريّـات الأوائل، ورصـد مبالغ ماليّة لعائـلات الشّـهداء وأبنائهم، حيث كانـت هـذه أولوية قصـوى مـن دون الدّخـول في مردودهـا المعنـويّ على المناضل أو الفـدائيّ أو عائلتـه أو أبنائه.

لقـد قمـت في هـذه الأثنـاء في منطقـة الدّمّـام بـالذّات بجمـع اشـتراكات مجلـة فلسـطيننا، وكذلـك جمـع التّـبرّعات الّـتي تقـدّم بهـا التّجّـار الفلسـطينيّون والسّـعوديّون بسـخاء، وكذلـك اشـتراكات الأعضـاء. ورغـم السرّيّـة بجمـع الأموال إلّا أنّ هنـاك حماسـاً شـديداً بـين أبناء الجاليّـة الفلسـطينيّة وكادر الحركـة الأوّل في المملكـة العربيّـة السّـعوديّة.

إنّـني مـا زلـت أسـتعيد ذكـرى تقديـم عبد الحميد شـومان بواسـطتي شـيكاً بمبلـغ ال (١٥٠) الـف دولار عام ١٩٦٩، والّـتي حملتها لياسر عرفـات، بحضور خليل الوزيـر ومحمّـد يوسـف النّجّـار في مكتـب فتـح في جبل الحسـين، وأورد هـذا المثل مجـدّداً لأنّ هنـاك من الأثرياء الفلسـطينيّين كانت لهم مسـاهمات كبـيرة وإبداعية وجبّـارة وملهمة في عـون للحركة.

إنّ مـن أثمـن الأموال الّتي تمّ اسـتلامها مبلـغ ١٣٠ الف دينار الّـتي تمّ جمعها مـن تبرّعات المواطنـين الليبيين أثنـاء زيارة فـاروق القدوميّ وصلاح خلـف لليبيا، حيـث وجّـه المبلـغ بكاملـه إلى أسر الشّـهداء. كان هـذا الرّقم يشـكّل رافعه كبيرة جـدّا لميزانيـة الحركة... وبعـد معركـة الكرامة قدّمـت ليبيا مليون جنية إسـترليني ولا بـد هنـا مـن ذكر بعـض الأسـماء الكبيرة الّـتي كانـت على رأس هـذه التّبرّعات وجمعها وتقديمهـا، ومنهم:

- **عبد المحسن القطّان.**

- **عبدالحميد شومان.**

- **محمّد علي بدير.**

وبالخير يذكر كذلك أحمد زكي اليمانيّ الّذي تبرّع بـِ ٢٢ ألف ريال سعوديّ في مطلع عام ١٩٦٥، وكذلك تبرّعت الهيئة العربيّة العليا بمبالغ هامّة عزّزت من انطلاقة الحركة.

في ١٩٦٧/١٢/١٩ تأسّست جمعيّة رعاية أسر مجاهدي وشّهداء فلسطين في دمشق، وقامت الجمعيّة حتّى ذاك التّاريخ برعاية سبعمائة أسرة شهيد من شهداء (العاصفة). وهذا الأمر دفع بالتّوجّه لتشكيل لجان لجمع التّبرّعات وخاصة من دول الخليج، فبالإضافة للتّبرّعات الفرديّة تمّ إقرار ضريبة التّحرير على العاملين الفلسطينيّين في المملكة العربيّة السّعوديّة وقطر، بنسبة ما بين ٥-٧٪ من الرّاتب والدّخل. وبعد معركة الكرامة تدفقّت التّبرّعات من الدّول العربيّة كون ميزانية حركة فتح ساهمت في تحسين الاحتياجات لهذا العدد الكبير من الفلسطينيّين والعرب الّذين التحقوا بالعمل الفدائيّ.

لم يعد سرّاً أنّ الكويت قدمّت دعماً ماديّاً كبيراً جدّاً بما في ذلك شراء أسلحة ومعدات اتّصال ومناظير، وكذلك الجزائر الّتي سبق ذكرها، فقد أرسلت أوّل شحنة أسلحة استلمتها فتح إبّان حكم هواري بومدين، ومرّة أخرى أرسلت الجزائر طائرة محمّلة بالأسلحة... أمّا سوريا فقد فتحت معسكرات ومواقع تدريب لكوادر وعناصر فتح في الهامّة، وكانت قاعدة مصياف هي الأكبر بعد الهامّة.

أمّا المملكة العربيّة السّعوديّة فقد قدمّت أسلحة هامّه لحركة فتح في الأعوام ١٩٦٥ و ١٩٦٦ عبر تركيا، واستمرّ دعم المملكة العربيّة السّعوديّة مالياً

بـدون توقف، وشـكلت لجنة شـعبية لنـصرة مجاهدي فلسـطين، كان يرأسـها الأمير سـلمان بـن عبـد العزيـز. وبالطّبع فـإنّ العـراق قدمّت عـدداً من سـيارات النقّل العسكريّ.

ولا شـكّ أنّ معركـة الكرامـة فتحـت أوّل أبـواب الدّعـم والتّـبرّعات بقـوة، فلقـد توهّـج الحلـم العـربيّ مـن أجـل الانتصار.

وهنـا كان مـن الـضّروري بنـاء جهـاز ذي خـبرة ومعرفـة بالشّـؤون الماليّـة وإدارتهـا وضبطهـا... وقـد تـم ذلـك في العـام ١٩٦٨ بقـرار مـن قيـادة الحركـة بـأنّ أتـرك عمـلي في البنـك العـربيّ في السّـعوديّة، وأتفـرّغ للحركـة في الجهاز المـاليّ، مع مجموعـة مـن كـوادر الحركـة في السـعودية.

الأردنّ والعمل الفدائيّ

ليس من السّهل على المسؤول السّياسيّ تناول الموضوعات بصراحة وصدق ووضوح كامل؛ لأنّ كثيراً من الصّدق والوضوح له عواقبه السّلبيّة أكثر من الصّمت وعدم التّحدّث بها. إنّني أرى أنّ من أدقّ الموضوعات وأكثرها حساسيّة تناول الموضوع الفلسطينيّ الأردنيّ بجذوره وتاريخه والمراحل الّتي مرّ بها، وخاصّة أنّ معظم العشائر الشّعبيّة وقبائلها تنتمّي إلى جذور واحدة، فتجد أنّ العشيرة الفلانيّة ينقسم حضورها في فلسطين وفي الأردنّ بأعداد متقاربة.

لقد انقسمت هذه العائلات لأسباب متعدّدة سواء اقتصادية أو اجتمّاعية مرتبطة بقضايا الثّأر والزّواج والتّجارة والحروب السّابقة منذ أيّام العثمّانيين والانتداب الإنجليزيّ ومن ثمّ الاحتلال الصّهيونيّ. ورغم كلّ ما سبق فقد خضعت قيادات هذه العشائر للسّلطات كلّ في موقعه وبالمكان الّذي استقرّت فيه عشيرته.

لهذا كان الأردنّ وبعد نكبة عام ١٩٤٨ المكان الأمثل والأقرب للفلسطينيين. فبعد ضمّ الضّفّة الغربيّة للضّفّة الشّرقيّة من الأردنّ، وبعد مؤتمرّ أريحا عام ١٩٥٠ وتكوين المملكة الأردنيّة الهاشميّة أصبح الّتقارب والتّفاعل والانتماء متقارباً جدّاً، بل إنّه أصبح واحداً، حتّى إنّ الواقع الطّبقيّ كان يصنف ليس وفق التّصنيف الماركسيّ الّذي قال: إنّ الطّبقات في المجتمّع الإنسانيّ تتمّثّل في طبقة البرجوازيين، وطبقة العمّال، وطبقة الفلّاحين... كان تصنيف النّاس في الأردنّ يجري تحت مسمّيات البدو والفلّاحين وأهل المدن واللاجئين، وهذا تصنيف مجازيّ مرتبط بالقدرة الاقتصاديّة الأقوى.

لقد حمل الفلسطينيّون مدّخراتهم إلى مناطق اللّجوء في الضّفّة الغربيّة والشّرقيّة، وساهموا في بناء الاقتصاد الأردنيّ في المجالات كافّةً، وكانوا أصحاب حرف، ومعرفة تجاريّة جيّدة، ودرايّة تامّة بأصول الزّراعة... الخ، في حين كان معظم سكان الضّفّة الشّرقيّة يعتمّدون في حياتهم على رعي الماشية، وبعض الزّراعات الموسميّة، والوظيفة الحكوميّة، فقام الواقع الجديد بتحسين مستوى المعيشة، وعمل على تكامل عناصر بناء الدّولة الّتي هي المملكة الأردنيّة الهاشميّة على أرض الضّفّة الغربيّة والشّرقيّة.

ونتيجة للعدد السّكانيّ الأكبر الّذي أضيف إليه اللاجئون الفلسطينيّون فقد بقيت روح الذّكرى، وروح الجهاد، وروح المعارك الّتي خاضها الفلسطينيّون عبر مراحل الاحتلال العثمّانية والإنجليزيّة والصّهيونيّة... بقيت حافزاً للفلسطينيين ولذاكرتهم بالعودة، والاستعداد للقتال من أجل الوطن السّليب.

ولهذا لم تخبُ نار المقاومة للعدّو في الوسط الفلسطينيّ سواء في مخيّمات اللجوء، أو في مواقع الكثافة السّكانيّة الفلسطينيّة، اذ تشكّلت المجموعات الفدائيّة الأولى الّتي اشرفت عليها الهيئة العربيّة العليا الّتي بلغ تعدادها أكثر من خمسمائة فدائيّ، وكان مركز عمليّاتها الجليل المحتلّ، والّتي كانت مكوّنة من فلسطيني الضّفّة الغربيّة وخاصّة المخيّمات، ومن قطاع غزّة، وبعض الأفراد من لاجئي لبنان وسوريا. ولهذا تمّ التّركيز على السّاحة الأردنيّة في المراحل اللاحقة للعمل الفدائيّ، وخاصّة انّ روح الثّورة بدات تتبلور بعد الثّورة المصريّة ١٩٥٢ وبعد العدوّان الثّلاثي وتكوين أنوية حركة «فتح» الّتي كانت في الخمسينات شعلة المقاومة المسلّحة للشّعب الفلسطينيّ.

لهذا، وبعد أن بدأت تظهر شرارات المقاومة، وخاصّة بعد تكوين كتيبة

الفدائيّين بقيادة مصطفى حافظ، وما تبع ذلك من أعمال فدائيّة سارعت الدّول العربيّة لتكوين منظّمة التّحرير الفلسطينيّة.

لقد لعب جمال عبد النّاصر دورا هامّا في إقناع عددٍ من الدّول العربيّة للاعتراف بالكيان الفلسطينيّ الجديد، والّذي رفض سابقا عندما حاول الحاج أمين الحسينيّ تكوين حكومة عموم فلسطين بعد النّكبة مباشرة في غزّة أوّلاً.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى حضور الملك حسين المؤتمر الأوّل (المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة) عام ١٩٦٤ الّذي عقد في القدس، حيث ترأّس أحمد الشّقيريّ رئاسة منظّمة التّحرير الفلسطينيّة آنذاك، وقد حضر هذا المؤتمر ثلاثة أعضاء من حركة فتح.

وبناء على ذلك فقد كان الموقف الأردنيّ منسجما تمامّا مع مواقف الدّول العربيّة الّتي شاركت في القمّة العربيّة الّتي عقدت في القاهرة بتاريخ١٩٦٤/١/١٣ تاريخ ولادة منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، فقد كانت معظم الدّول، باستثناء سوريا، معارضة لأيّة أنشطة فدائيّة أو عمليّات عسكريّة ضدّ العدوّ الصّهيونيّ، واحتّجت على ذلك بحجج كان من أبرزها:

١. اعتراف هذه الدّول بمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة كشكل من أشكال الكيانيّة الفلسطينيّة، والّتي حملت على عاتقها مسؤولية تنظيم أيّة فعاليّات فدائيّة عسكريّة، أو مواقف سياسيّة أخرى للشّعب الفلسطينيّ.

٢. إنّ الدّول العربيّة غير قادرة أو جاهزة أو على استعداد لمواجهة إسرائيل، ولذلك فإنّ على منظّمة التّحرير ضبط أيّ عمل عسكريّ ضدّ العدوّ، حتّى لا يتحوّل ذلك إلى ذريعة للعدّو ليقوم بالاعتداء على

الدّول العربيّة... وكما أشرنا سابقاً إنّ عبد النّاصر قال بعد العدوان الثّلاثي عام ١٩٥٦: «إنّه ليس لديّ أيّة خطّة لتحرير فلسطين!»

وهكذا فقد كان موقف الأردنّ من العمل الفدائيّ حاسما ومنسجما مع القرارات العربيّة، وموقف الدّول العربيّة باستثناء سوريا الّتي سلّحت ودرّبت وعزّزت قدرات حركة فتح في تلك الفترة.

وجاءت هزيمة عام ١٩٦٧ وما سمي بِـ«حرب الأيّام السّتّة»، والّتي أوجدت فرصة تاريخيّة للعمل الفدائيّ، ولحركة فتح أوّلاً؛ لانّ التّنظيمات الأخرى المنبثقة عن حركة القوميين العرب لم تكن قد مارست بعد أيّة عمليّات عسكريّة رغم تشكيلها.

انطلقت العمليّات العسكريّة بكلّ أشكالها من زراعة الألغام والمتفجّرات إلى الاشتباكات بالأسلحة الرّشّاشة المختلفة الأنواع وحتّى إشعال الحرائق ونسف الأسوار والطّرق داخل الوطن المحتلّ عام ١٩٤٨ و١٩٦٧، وفي نفس الوقت تطوّع العشرات من كوادر فتح وعناصرها لتجميع الأسلحة الّتي تركتها الجيوش العربيّة المهزومة في سيناء والجولان والضّفّة الغربيّة، وتوزيعها على المخازن الّتي كانت مّعدّة سلفا، وخاصّة الأسلحة الخفيفة، أمّا المدفعيّة الثّقيلة وغيرها فكان يتمّ سحبها إلى الدّاخل السّوريّ أو تدميرها حتّى لا تقع في يد العدوّ. لقد أربك هذا الأمر العدوّ إرباكاً شديداً؛ فالقوّة المتحرّكة كانت فاعلة بإمكاناتها البسيطة أكثر من كلّ الجيوش العربيّة، وكانت أجهزة العدوّ العسكريّة تضع خطّطا للرّدّ بالعنف والقسوة الشّديدة على مواقع هذه الجيوش، وعلى السّكان المحاذين والقريبين من الحدود وخاصّة على الحدود الأردنيّة.

فقد قام العدوّ بقصف معسكرات الجيش الأردنيّ في كلّ المواقع الموجودة

في غـور الأردنّ، أو في الجبـال المشرفـة عليـه في السّـلط وديـر عـلا وواد شـعيب وغيرهـا مـن المناطق العسـكريّة، وكانـت غارات الطائـرات والمدفعيّة تلـقي بحممها على المـزارع والمسـاكن في غـور الأردنّ؛ لـكي تدفـع سـكان هذه المناطـق إلى هجر مسـاكنهم ومزارعهـم ومغادرتهـا؛ وذلـك مـن أجـل اتّخاذ مواقـف معاديّـة للعمل الفـدائيّ الفلسـطينيّ. لكـنّ هذا الهـدف قوبل بعكس مـا كان يرمي العـدوّ إليه... فرغـم التّشـكيك في أهـداف المقاومـة وحركتهـا وبطولاتهـا، ومحاولـة الانتقـاص منهـا، واتهامهـا باليمينيّـة والرّجعيّـة، والارتباطـات غـير المرئيّـة، إلّا أنّ الجيـش العـربيّ الأردنيّ والشّـعب الأردنيّ والفلسـطينيّ احتضن المقاومـة، وكان يقدّم لها كلّ أشـكال الدّعـم، وبـرز **الموقـف الأردنيّ** واضحاً مـن خلال:

١. الدّعـم الصّامـت -ويمكـن القـول غـير المعلـن معنوياً- مـن أجل عدم تحمّـل تبعـات العمليّات العسـكريّة في المحافـل الدّوليّة.

٢. الدّعـم العسـكريّ الأردنيّ لحركـة «فتـح» دون الاعـلان عـن ذلـك مـن خلا ل :

- **تغطيـة المجمـوعات الفدائيّـة العابـرة لنهـر الأردنّ باتّجـاه الأرض المحتلّـة.**
- **المساعدّة في تامين المواد التمّوينيّة وبعض الذّخائر.**
- **التّعميـم الصّامت على قواعـد الجيش الأردنيّ بشـفافيّة العمل الفدائيّ، وبالتّـالي الإيمان بـه ودعمه.**

فتـح كلّ أبـواب التّسـهيلات الماديّـة والمعنويّـة والعسـكريّة والحركـة لـكلّ فصائـل المقاومـة الفلسـطينيّة على كامـل الأرض الأردنيّـة، وذلك من خـلال قناعة

الشّعب الأردنيّ وقيادته وحكومته بالعمل الفدائيّ الفلسطينيّ من أجل استرجاع أرضه وتحريرها.

من هذا الواقع انطلقت «فتح» في مرحلة جديدة من العنفوان في تنفيذ العمليّات العسكريّة المؤلمة للعدوّ، والّتي تركت أثرا هامّاً في الجماهير العربيّة الّتي أخذت تدعم المقاومة بكلّ أشكال الدّعم، حيث حمل العامّ ١٩٦٧ عددا من العمليّات الخالدة، ومنها: عمليّة طوباس بتاريخ ١٩٦٧/١٠/٤ الّتي كان فيها الاستشهاديّ مازن ابو غزالة فدائيا بكلّ ما في الكلمة من معنى عندما فجّر نفسه بحزامه النّاسف وسط جنود العدوّ، ومعركة القدس الخالدة بتاريخ ١٩٦٧/١٢/٣، وعمليّة بيت فوريك الشّهيرة الّتي استمرّت سبع ساعات متواصلة بتاريخ ١٩٦٧/١٢/٧، والّتي استعمل فيها العدوّ المروحيّات والقوّات المظلّيّة، حيث نتج عنها سقوط العديد من جنود العدوّ بين قتيل وجريح. واستشهد عدد من أبطال فتح.

إنّني هنا أجد لزاماً عليّ ان أذكر تلك المعارك الّتي شملت مساحة أرض الوطن كلّه؛ فهناك عمليّات الخضيرة، والنّاصرة، وتل ابيب، وبئر السّبع. وقد شملت هذه العمليّات مركز تجميع السّيّارات، والقطارات، وسكك الحديد، ومحطّات الكهرباء، ومصانع التّعليب المختلفة... كما أنّه لا بدّ من ذكر معركة واد القفّ وطوباس الثّانية ومعركة العبّر، ومعركة بني نعيم/ قضاء الخليل، حيث نتج عن هذه المعارك الّتي استمرّت وقتا طويلا سقوط عددٍ كبير من القتلى والجرحى في صفوف العدوّ، وتدمير عدد من الآليات بما في ذلك سقوط مروحيتين.

ونتيجة لهذه المعارك الصّادمة للعدوّ، فقد قام بِشنّ حملة اعتقالات شملت كلّ الأرض الفلسطينيّة المحتلّة سواء في الضّفّة الغربيّة أو في قطاع غزّة، وكثفت المروحّيات من غاراتها الجوّيّة على الأردنّ، وجيشه ومزارع أهله، وسقط

أكـثر مـن عشرين شـهيدا وأكـثر مـن ٦٠ جريحـا، وكلّ ذلك مـن أجـل الضّغط على المقاومـة والحكومـة الأردنيّـة ومواطني الأغـوار وفلاحيه.

لكـنّ النّتيجـة كانت عكسـيّة لما هدف إليـه العـدوّ، فرغم المعانـاة النّاجمة عـن العـدوان والقصـف الإسرائيـليّ للمـزارع ولقواعـد الجيـش الأردنيّ إلّا أنّ الفلاحـين زادوا مـن تلاحمهـم مـع الفدائيّـين، وكانوا يقومـون بحمايتهـم وإطعامهم وإرشـادهم إلى أفضـل الطّـرق، وهي ما كان يسـمى بِــ (المخّاضـات) الواقعة على نهر الأردنّ، وكذلـك الحـال بالنّسـبة للجيـش الأردنيّ، فقد كان يغطّي حـالات الدّخول إلى الأرض المحتلّـة أو اثنـاء عـودة الفدائيّـين مـن عمليّاتهـم هناك.

القواعد العسكريّة لحركة فتح في الأردنّ

أقيمت ثلاثة قطاعات عسكريّة في الأردنّ عام ١٩٦٨ على الحدود مع فلسطين المحتلّة، وهي:

١. **القطاع الجنوبيّ بقيادة موسى عرفات**: وفي هذا القطاع وجدت ٦-٨ قواعد، وكانت القاعدة الواحدة تضمّ من ٣٠ عنصراً وحتّى ١٠٠ عنصر أو أكثر.

٢. **القطاع الأوسط**: وكان هذا القطاع بقيادة الرّائد خالد ومركزه مدينة السلط. وضمّ أيضاً ٦-٨ قواعد، وألحق به لاحقاً قطاع جرش الّذي ضمّ منطقة الأحراش ودبين. وبلغ تعداد عناصر هذا القطاع حوالي ١٥٠٠ عنصر.

٣. **القطاع الشّمالي**: وكان بقيادة الرّائد رعد ومعاذ عابد. ومن قواعده: الطّبعة، وأم قيس، وكفراسا، وتلّ الأربعين، ووادي العرب، كما ألحق بهذا القطاع قواعد عجلون بقيادة محمود أبو الهيجا، وهذه القواعد هي: «درب سعيد، وكفرنجه، وكريمة، ووادي اليابس، والمشارع»، وبلغ عدد عناصره حوالي ٢٠٠٠ عنصر.

الجبهة الأردنيّة المميّزة

بكلّ أبعاد الخصوصيّة، ظهر واضحا أنّ الأردنّ الّذي يتكوّن نسيج سكانه الاجتمّاعيّ من علاقات اجتماعيّة مميّزة انصهرت بين الشّعبين الأردنيّ والفلسطينيّ، ممّا أعطى خصوصيّة فريدة بالنّسبة للشّعبين وللقضيّة الفلسطينيّة، كما أنّ طول الحدود بين الأردنّ وفلسطين المحتلّة ساعد على أن تكون الأردنّ القاعدة الأولى والأهمّ في مواجهة العدوّ، لكنّ الأنظمة العربيّة سواء في سوريا أو مصر أو العراق لم تراع هذه الخصوصيّة للواقع الأردنيّ، فنقلت تنظيماتها الفلسطينيّة إلى السّاحة الأردنيّة، ولم يراعَ الواقع الحسّاس والدّقيق للسّلطة الأردنيّة، وعلاقات الأردنّ الدّوليّة، بل ولم تُراع إمكانات الأردنّ العسكريّة والاقتصاديّة والتّداخل الاجتماعيّ والواقع الدّيموغرافيّ للشّعب الأردنيّ، فرمت هذه الدّول بكلّ ما يحمّلها المسؤوليّة المعنويّة والماديّة الدّوليّة على الأردنّ من خلال التّدخّل القوميّ في شؤون الأردنّ الدّاخليّة... ممّا جعل الأمّر يوحي بأنّ هناك خلافا وصراعاً آتياً، فليس سهلاً أن تحمل السّاحة الأردنيّة قوتين عسكريّتين هي قوّة الفدائيّين من الفصائل المختلفة وقوّة الجيش الأردنيّ.

إنّ الأردنّ ترك وحده وليس لديه القدرة على مواجهة العدوّ الإسرائيليّ عسكريّاً وسياسيّاً نتيجة العمليّات الفدائيّة المنطلقة من الحدود الأردنيّة، والّتي حملت ردود فعل للعدّو قاسية على قواعد الجيش الأردنيّ وعلى الشّعب الأردنيّ الموجود على امتداد الاغوار، أضف إلى ذلك علاقات الأردنّ التّاريخيّة مع المحور الغربيّ وعلى رأسه أوروبا والولايات المتّحدة الّتي تعدّ حليفة قويّة للكيان الصّهيونيّ،

وكلّ ذلك تأثّر بالواقع الجديد على السّاحة الأردنيّة من خلال وجود العمل الفدائيّ والفصائل المختلفة.

إنّني أقف هنا أمام ما قاله الملك حسين في خطابه الشّهير أمام المؤتمر الوطنيّ الأردنيّ بتاريخ ١٩٧١/١٠/١٢ بقوله: «منذ متى نستطيع أن نفصل المصير الأردنيّ عن واقع القضيّة الفلسطينيّة ومصيرها؟!»

ألزم الأردنّ نفسه بالقضيّة الفلسطينيّة، لكنّ إمكانات الأردنّ لم تكن بالقدرة الكافية على مواجهة العدوّ الصّهيونيّ، ولهذا قال الملك حسين في كتاب تكلّيف حكومة الرّئيس بهجت التّلهوني في ١٩٦٧/١٠/٧: «إنّ أعباء القضيّة الفلسطينيّة من الحاجة بحيث تقتضي جهداً عربيّا موحدّا وإجماعاً من الدّول».

لا شكّ إنّ جوهر هذه الكلّمات يعكس الحضور الفلسطينيّ في السّياسة الأردنيّة بقوّة، وقد كان ضبّاط وجنود الجيش الأردنيّ ينظرون إلى العمل الفدائيّ نظرة تقدير، يولّد لديهم شعور بالمساندة والدّعم بكلّ الأشكال.

لكن، ورغم هذا الواقع المثالّي للمقاومة الفلسطينيّة، إلّا أنّ زيادة العمليّات العسكريّة ضدّ العدوّان الّتي امتدّت من شمال الأردنّ حتّى جنوبه، ومنفذّة في عمق الوطن المحتلّ ضاعفت حجم العمليّات العسكريّة الانتقاميّة على الأردنّ، ممّا دفع الملك حسين قبل شهر من عمليّة الكرامة -وأعتقد أنّ الملك واجه ضغطا من بريطانيا والولايات المتّحدة حليفتا إسرائيل الموثوقين- إلى القول في رسالة موجّهة إلى القوّات المسلّحة الأردنيّة بتاريخ ١٩٦٨/٢/١٦:

«إنّني أتحمّل مسؤولية قيادة بلدي وشعبي، واعرف حقيقة هذه المسؤولية ومعناها، لن اقبل ان يقدّم احد لأعداء بلدي وأمتي ذريعة يتذرعون فيها إلى جانب ذريعتهم الواهية الباطلة ليدفعوه إلى المزيد ممّا أوقعوه فيه من وهم

وتضليل. إنّ كلّ عمل مخلص هادف ينبغي ان ينطلق من أرضنا هذه، ومن خلالنا، وفي إطار ما نرسم ونخطّط. إنّ أيّة فئة تتجاهل هذا الموقف منا بعد اليوم، أو تتخذ لنفسها نهجا، وتتعالى على بابنا هي ليست منا، ولسنا منها... وهي ليست من القضيّة في شيء، قليل ولا كثير، ونحن ضدها بكلّ قوّة وتصميم».

وبعد هذه الرّسالة بيومين تحرّكت قوّات من الأمن الأردنيّ بالمدرّعات إلى غور الأردنّ، وطوّقت مخيم الكرامة، وكذلك طوّقت معظم قواعد الفدائيّين الموجودة في الكرامة، ودير علا، ووادي اليابس، والمشارع، ووقاص، والشّونة الشّماليّة، والنّاقورة.

أمّا في الكرامة، فبعد تطويق المخيّم طلبت قوّات الأمن من الفدائيّين تسليم أنفسهم وأسلحتهم، فرفض الفدائيّون ذلك، واتخذوا مواقع قتاليّة في مواجهة قوّات الأمن، أضف إلى ذلك خرج كلّ أهالي المخيّم وشكّلوا حاجزاً بشرياً بين قوّات الأمن وبين الفدائيّين... الأمر الّذي أجبر قوّات الأمن على الانسحاب من محيط المخيّم بعد تلّقيها (أوامر عليا).

وكانت تلك العمليّة الأمنيّة تجربة أولى في هذا المجال. أمّا القواعد العسكريّة الأخرى، فقد استسلم بعض المقاتلين فيها، وسلّموا أسلحتهم، وبعضهم اختفى وانتقل إلى مناطق أخرى، أمّا الّذين استسلموا فحملوهم إلى سجن اربد.

كان لا بدّ من ذكر هذه الواقعة، لأنّها كانت مؤشراً إلى الطّريق المؤدّي إلى أيلول الأسود الّذي أحلّ الصّدام. كانت معركة الكرامة، وهذا الوهج البشريّ الّذي لحق بها من حماس وعنفوان، حتّى وصل الأمر إلى عدم قدرة «فتح» على استيعاب الأعداد الهائلة الّتي طالبت الالتحاق بصفوفها وصفوف الفصائل

الأخرى، وهذا الواقع ادّى إلى خلق حالة جديدة في الأردنّ، فاستيعاب خمسة عشر ألف مقاتل جديد ليس بالأمر السّهل على حركة في طور النّموّ والتّكوين.

ولذلك... وبعد معركة الكرامة، حاولت معظم الدّول العربيّة وخاصّة دول الطوق الدّفع باتّجاه تحقيق نصر معنويّ لدى شعوبها، وكذلك الإفادة، باقصى حدّ، من انتصار الكرامة. أمّا الأردنّ فطالب بالدّعم وعدم تركه وحده في مواجهة العدوّ الصّهيونيّ.

في الوقت نفسه، ومع الانتصار، بدات بعض المنظّمات الّتي كانت تعيش على الشّعارات بارتكاب مخالفات طائشة من أجل إبعاد المقاومة عن جمهورها، ومن هذه المخالفات:

- في ١٩٦٨/٥/٢٨ قامت المجموعة -(٥٨) التّابعة لقاعدّة المشارع- وهي من قواعد طلائع حرب التّحرير الشّعبيّة (الصّاعقة) التّابعة للنظام السّوريّ آنذاك بمهاجمة قيادة شرطة عمّان، بحجّة أنّ الشّرطة اعتقلت احد افرادها، ولم يكن الخبر الوارد عن اعتقال احد صحيحا، واسفر هذا الهجوم عن اصابة اثنين من المدنيين، وموت ثالث.

- في صباح ١٩٦٨/٧/٢٣ وأثناء قيام رحلة لشركة الطّيران الإسرائيليّة/ العال برحلة من مطار اللد إلى روما، وهي من طراز (بوينغ٧٠٧) قامت الجبهة الشّعبيّة لتحرير فلسطين باختطاف الطّائرة وإنزالها في مطار الجزائر، وسمحت الجزائر للرّكاب الّذين لا يحملون الجنسيّة الإسرائيليّة بمغادرة الطّائرة إلى حيث يريدون، وإبقاء طاقم الطّائرة والرّكاب حاملي الجنسيّة الإسرائيليّة رهائن حتّى تقوم السّلطات الإسرائيليّة بالإفراج عن ١٠٠٠ فدائيّ فلسطينيّ. وقد استغلت إسرائيل هذه الحادثة بافتعال ضجّة إعلاميّة هائلة ضدّ الفدائيين

الفلسطينيّين، لكنّ الجبهة الشّعبيّة اعلنت في بيان لها أنّ الهدف من هذا الاختطاف هو الإفراج عن الأسرى، وتحريك الضّمير العالميّ الصّامت على الجرائم الإسرائيليّة بحقّ الفلسطينيّين والعرب، واعلنت إسرائيل انّ يوسف رجب وليلى خالد هما الإرهابيان اللذان خطفا الطّائرة.

- في ١٩٦٨/٩/١٣ وجّه الملك حسين رسالة سياسيّة وحوله رئيس الوزراء الأردنيّ آنذاك، أكدّ الملك فيها الالتزام بالتّسوية السّياسيّة وفق القرار ٢٤٢، ومنتقدا المعارضين للتّسوية، ووجّه الملك انتقادا شديد اللهجة ضدّ الفدائيّين بقوله: «إنّ أوضاعهم وتصرّفاتهم تتيح للعدوّ أن يشيد بهم، ويستغلّها لتوجيه الضربات، والاستمرار في أسلوبه العدوانيّ».

- وفي ١٩٦٨/١٠/١٤، اجتمعت الفصائل الفلسطينيّة بناء على دعوة من م. ت. ف، واعتبرت أنّ هناك محاولات لتصفية القضيّة الفلسطينيّة، وأكدّت رفضها مجدّدا للقرار الصّادر عن مجلس الأمن ٢٤٢.

ومع نهايّة العامّ ١٩٦٨ بدأت تظهر في عمّان ومعظم المدن الأردنيّة الأسلحة المختلفة، والسّيّارات الفدائيّة بدون أيّة أرقام مسجّلة، واعتبرت القيادة الأردنيّة وسلطات الأمن والجيش انّ هذه المظاهر تشكّل تحدّياً للنظام والقانون الأردنيّ، وظهر استياء حقيقي في صفوف ضبّاط الجيش وجنوده خاصّة وإنّ بعض المسلكيات كانت سلبيّة ومفتعلة، حيث لا يدري أحد كيف وصلت هذه المسلكيات لجسم العمل الفدائيّ، وما المقصود من هذه الاستفزازات. وأصبح مطلوباً من قيادة منظّمة التّحرير الفلسطينيّة منع دخول العسكريّين إلى المملكة من دون تصاريح صادرة عن وزارة الدّاخليّة، وأذونات عسكريّة خاصّة، كما طالبت بإغلاق مكاتب الفدائيّين في المدن، وكذلك حظر حركة السّيّارات العسكريّة، والتّجوّل في المناطق المدنيّة.

وبالطّبع فقد قوبلت هذه الطّلبات من الحكومة الأردنيّة بالرّفض القاطع من فصائل المقاومة، وتمرّدت عليها ممّا زاد في حدّة التّوتّر بين الجانبين... ورافق ذلك حملة من التّحريض الدّاخليّ لكلّا الطّرفين، وفي المحصّلة بدأت الصّدامات العسكريّة في ١٩٦٨/١١/١٤ بين القوّات الأمنيّة الأردنيّة والفدائيّين في عمّان على أثر قيام الأمن الأردنيّ بإلقاء القبض على طاهر ذبلان وهو سوريّ الجنسيّة ويعتقد إنّه من أصل فلسطينيّ وصل إلى مرتبة عقيد في الجيش السّوريّ، وقد اعتقل هو وفئة من عناصره، وكان الاتّهامّ الموجّه إليه إطلاق النّار على موكب الملك حسين، وقيام عناصره بأعمال مخلّة للأمن في عمّان واربد. وسجن الجميع في سجن الجفر المعروف، وأطلق سراح عناصره بعد العام ١٩٧٣.

وهنا لا بدّ من التّوقّف ومراجعة الأحداث بدقّة حتّى تكون الحقيقة هي عنوان تلك المرحلة. ورغم حساسيّة الموضوع إلّا أنّه من الضّروريّ سرد الوقائع كما هي؛ وليحكم التّاريخ والقارئ بصدق وقناعة على أحداث تلك المرحلة وعلى عناصرها وصانعيها بدون تحيّز عاطفيّ، وبدون انتمّاء إعلاميّ، أو أصول ومنابت غير دقيقة.

وهنا يمكنني القول أنّ كلا الطّرفين، سواء الحكومة الأردنيّة أو حركة المقاومة، كان كلّ منهما على حقّ وعلى باطل أيّضاً؛ فتداخل الأحداث والمواقف وتسارعها لم تعطِ المراقب برهة للتّأمّل، بل تسارعت الأحداث وكأنه كان مخطّطاً لها منذ زمن طويل...!

نفوذ المقاومة نقيض لنفوذ السّلطة الأردنية الرسمية

تصاعدت تفاعلات الغضب عند كلا الطّرفين: السّلطة الأردنيّة والمقاومة الفلسطينيّة بفصائلها اليساريّة والمرتبطة بالأنظمة العربيّة، وتردّدت شعارات غير مألوفة سنأتي على ذكرها. لكنّ نهايّة العامّ ١٩٦٨ كانت سنة مقاومة حقيقة، فقد ارتفع معدّل العمليّات العسكريّة المنطلقة من الأردنّ إلى ٢٠٣ عمليّة في الشّهر الواحد في الفترة الواقعة في نهايّة عام ١٩٦٨ والعامّ ١٩٦٩، وبلغت في العامّ ١٩٧٠ معدّل ٢٣١ عمليّة في الشّهر، باستثناء العمليّات المنطلقة من الأرض المحتلّة ومن سوريا ومن لبنان.

وكلّ ذلك لم يستفزّ الجيش الأردنيّ بل كانت العمليّات النّاجحة تثلج صدر الضبّاط والجنود في الجيش؛ لأنّهم كانوا يشعرون أنّ لهم دوراً -ولو خفيّاً- في هذه العمليّات نتيجة لتقديم الدّعم المادّيّ والمعنويّ بل والمعلومات وأيضا تسهيل دخول الفدائيّين بين الضّفّتين وخروجهم منها، لكنّ ما استفزّ الجيش الأردنيّ والسّلطة تلك التّجاوزات الّتي كانت تمّس مبدأ السّيادة الأردنيّة من خلال عدم التحاق الشّباب بالخدمة العسكريّة والالتحاق -ولو اسمياً- بالفصائل الفدائيّة:

- فقدان الشّرطة والمحاكم لسلطتها؛ لأنّ الفصائل صنعت لها محاكم خاصّة موازية لشرطة ومحاكم السّلطة الأردنيّة.

- أصبح للفصائل الفلسطينيّة شرطة عسكريّة، وجّهازاً أمنيّاً، ومحاكم (ثوريّة) ومكاتب ووسائل إعلام.

- أصبحت بعض الفصائل الفلسطينيّة تتعامل مع المخيّمات وكأنّها (مناطق محرّرة)، فتعتقل وتحاكم وتعاقب وتسجن، وتتدخل في شؤون الزّواج والإيجارات وقضايّا العمّال متجاوزة قوانين الدّولة الأردنيّة.

- لقد كان هناك وفي بعض الأحيان مبالغة في التّعبير السّياسيّ في بلد تحكمه العشائر والدّين الإسلاميّ من خلال إطلاق شعارات يساريّة، لم يفهمها الكثيرون آنذاك مثل «كلّ السّلطة للشّعب» أو «كلّ السّلطة للمقاومة»، بل بلغ الأمر تحدّياً غير مسبوق في توزيع صور فلادمير اليتش لينين في المساجد وليس في الشّوارع فقط. وبالطّبع لم يتوفّر الفهم لأولئك من قضايا الصّراع الطّبقيّ وتفاصيله، الّتي لا تستطيع عقولهم استيعابها لتداخل قوانينها وأفكارها وجديتها، بينها وبين ما يتطلّبه التّحرّر الوطنيّ وقتال التّحرير الّذي كان بعيد المنال في وسط هذه الغوغائيّة.

إنّني أسمح لنفسي أن تتوقّف هنا عند دعوة الجبهة الشّعبيّة آنذاك بتحويل عمّان إلى هانوي العربيّة!! وكأنّ الأمور بتلك البساطة، ولست هنا بصدد تحليل الواقع السّياسيّ والاقتصاديّ والعسكريّ للدّول العربيّة جمعاء أو كلٍّ على حدة... لكنّ الجبهة الشّعبيّة استمرّت في اختطاف الطّائرات، وقامت بتفجير خطّ التّابلين الّذي ينقل البترول السّعوديّ إلى السّاحل اللبنانيّ.

من المثير أنّ السّلطات الأردنيّة لم تكن تُعيرُ الفصائل الفلسطينيّة الأخرى غير «فتح» أهميّة أو جدّيّة كبيرة، ورغم الشّعارات القادمة من سوريا والعراق، إلّا أنّ السّلطة الأردنيّة كانت ترى في فتح/ أمّ الفصائل الخطر الحقيقي رغم أنّ شعار «فتح» منذ تأسيسها كان يقول بعدم التّدخّل في الشّؤون الدّاخليّة للدّول العربيّة. ويعود هذا الحذر لأنّ حركة فتح كانت تمتلك تنظيماً قويّاً ذا جماهيريّة واسعة وعالية، وإمكانات عسكريّة كبيرة حصلت عليها ممّا

تركته الجيوش العربيّة من الأسلحة في الجولان وسيناء، إضافة إلى المساعدات العسكريّة الّتي حصلت عليها فتح من مصر والصّين بعد معركة الكرامة، ومن تهريب أسلحة أخرى من الدّول العربيّة لم تكشف عن تعاونها مع حركة «فتح» عسكريّا.

من ناحية أخرى فإنّ حركة فتح قد توسّع حضورها في أجهزة الدّولة الأردنيّة، وكانت تعتمّد في ذلك على تأييد الكادر الرّسميّ في الأجهزة الرّسميّة للدّولة والتّعاطف مع فتح وكذلك الحضور القوي لحركة فتح، في صفوف الجيش الأردنيّ وليس في وسط الضبّاط والجنود ذوي الأصول الفلسطينيّة بل والشّرق أردنيّة، الأمر الّذي دفع السّلطة الأردنيّة لاتّخاذ كلّ أشكال الحيطة والحذر وفرز الرّتب.

وفي ١٩٧٠/٢/١٠ أصدرت الحكومة الأردنيّة قراراً تضمّن أحد عشر بنداً، وهي:

- منع إطلاق النّار داخل المدن.
- منع التّجوّل بالسّلاح.
- منع تخزين المتفجّرات والذّخائر.
- منع جميع المظاهرات والتّجمّعات والاجتمّاعات والنّدوات.
- منع جميع النّشرات والصّحف والمجلات والمطبوعات الصّادرة خلافاً للأصول المرعيّة.
- وجوب حمل الهويّات وابرازها أمام رجال الأمن حين طلبها.
- ضرورة تسجيل جميع السّيّارات والآليّات، وإجراءات أخرى.

وعلى إثـر ذلـك أصـدرت إحدى عـشرة منظّمـة فدائيّـة بياناً يرفـض قرارات الحكومـة الأردنيّـة، ويـرى في بيان الحكومة خطراً على مصير الشّـعب الفلسـطينيّ، وتـلا ذلك اجتمّـاعات متواصلـة للفصائـل والنّقابـات والمنظّمـات النّسـائيّة تندّد بالقـرارات الحكوميّة.

وتوتـرت الأجـواء، وأدّت إلى صدامّات مسـلّحة بين الجيـش الأردنيّ وفصائل المقاومـة أدّت إلى مقتـل ١٣ فدائيـاً و٦ جنـود مـن الجيـش الأردنيّ، وقـد دفـع ذلك إلى وصـول وزيـر الدّاخليّـة العـراقيّ آنذاك صالح مهـدي عمّاش للتّوسّـط في إيقاف إطـلاق النّار.

كذلـك جرى لقـاء هامّ بـين الملك حسـين وياسر عرفـات في الفـترة الواقعة بـين ٢١-١٩٧٠/٢/٢٢ ادّى إلى نـزع فتيـل التّوتّـر، وصـدر بيان مشـترك يعلن تسـوية الخـلاف وحـل المشـكلات المؤديـة لذلـك، وخاصّـة انّ الشّـخصيّة المثيرة للجـدل محمّد رسـول الكيـلانيّ/ مدير المخابـرات الأردنيّة قد قدّم اسـتقالته. لكنّ الأجواء بقيـت مشـحونة بـين الطّرفـين، نظـراً لفقدان عنـصر الثّقـة، وأيّضا الاسـتفزازات الّـتي مارسـها الطّرفان.

وفي ١٩٧٠/٦/٧ أصـدرت قيادة الكفاح المسـلّح بياناً أعلنت فيه أنّ اشـتباكات داميـة قـد حصلـت في مخيـم الزّرقـاء بـين الفدائيّـين وقوّات مـن الجيـش الأردنيّ، حيـث نتـج عنهـا قتل وجـرح ٧٢ شـخصا. وعلى إثر ذلك أصـدرت اللجنـة المركزيّة للمليشـيا الشّـعبيّة بيانـاً قالت فيـه أنّها قـررّت ما يلي:

- أن تحتجـز أفـراد القـوّات الأردنيّة الخاصّة الّـتي أطلقت النّـار على الفدائيّين، ولا تطلقهـم حـتّى يطلـق سراح كلّ الفدائيّين المعتقلين.
- أن تجعـل المطالبـة برؤوس التآمـر والخيانة في الأردنّ وإبعادهـم مثل الشّريف

زيـد، وعلى بـن يـاني، وزيـد بن شـاكر، وسـعد الدّيـن قاسـم، وزهير الحسـين، ومـضر بـدران مطلبـا شـعبيّا لا يجـوز التّنـازل عنـه؛ صيانـة لأمـن الثّـورة ولأرواح المواطنـين.

- أن نحتجـز السّـكرتير الأوّل في السّـفارة الأمّريكيّـة بصفتـه ممثلاً للسيّاسـة الأمريكيّـة المتآمـرة على هـذه المنطقة.

- أن نناضـل نضـالاً لا هـوادة فيـه دفاعاً عـن الثّورة، وفي سـبيل هزيمـة القوى المتآمرّة.

ووجّـه مجلـس الثّـورة العراقيّـة نـداء إلى الجيـش الأردنيّ وقـوّات الفدائيّين يطلـب فيـه وقـف القتـال، لكـنّ ذلك لـم يوقف القتـال بل امتـدّ إلى عمّـان بعد إعـلان الحكومـة الأردنيّـة عن تعـرّض موكـب الملك حسـين إلى إطلاق نـار قرب صويلـح بتاريـخ ٨/ حزيـران، واسـتمرّت الاشـتباكات حـتّى ١٢ حزيـران. وبلغـت حصيلـة هـذه الاشـتباكات مـا بـين ٨٠٠- ١٠٠٠ مصـاب وقتيل.

في ١٩٧٠/٦/١٠ وفي وسـط الاشـتباك عقـد اجتمـاع بـين الملـك حسـين وياسر عرفـات، اتّفـق فيه على عـشرة نقاط لتهدئـة الوضع، ومـن أهم هذه النّقـاط: وقف إطـلاق النّـار الفـوريّ، واتّخـاذ التّدابير الّـتي تعيد الأمن والاسـتقرار.

وفي صبـاح يـوم الجمعـة ١٩٧٠/٦/١٢ توقّفـت الاشـتباكات، وأزيلـت المتاريس مـن الشّـوارع، وألـقى الملـك حسـين خطابـاً دعا فيـه: «إلى أن يرتـقي الجميـع إلى مسـتوى المسـؤولية والتّحـلّي بـأعلى درجـات ضبـط النّفس».

وفي اليـوم التّـالي أعلـن الملـك في رسـالته إلى القـوّات المسـلّحة الأردنيّة عن إعفـاء نـاصر بـن جميل القائـد العامّ للقوّات المسـلّحة، وزيد بن شـاكر قائـد اللواء المـدرّع الملكيّ مـن منصبيهما.

تـردّدت طويـلاً وأنـا أسـأل نفـسي إذا كان ضروريـاً الاسـتمرّار في تقديـم الوقائـع على الأرض والتّواريـخ الهامّـة للأحـداث، سـواء اللقـاءات أم الاشـتباكات، حيـث أصبحـت خارطـة الأحداث تتضـح أكثر فأكثر مـع كلّ مراجعـة في كتاب أو مـن بطـن ذاكـرتي. وظهـر لي التّاريخ للأحـداث يتطلّب جـرأة غير عاديّـة، وخاصّة إنّ هنـاك ضرورة لتقديـم الأحـداث كما كانت ووقعـت، وهنا لا تسـتطيع أن ترضي أيّ طـرف مـن الطّرفـين المتقاربـين. وقـد اعتمّـدت في ذلـك على عدد مـن الكتب الّـتي صـدرت، وخاصّـة خطابـات الملك حسـين، وكتاب مهمـتي كملـك، والوثائق الفلسـطينيّة العربيّة لأعـوام ٦٨، ٦٩، ٧٠،٧١، وكذلك عدت إلى كتـاب يزيد الصايّغ (الكفـاح المسـلّح والبحـث عـن الدّولـة) رغـم تطرّفه وتحـيّزه، كمـا اعتمّدت على الكتّاب السّـنويّ للقضيّة الفلسـطينيّة الصّادر عن مؤسسـة الدراسـات الفلسطينيّة للأعـوام ٦٩، ٧٠، ١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٤، ١٩٧٥، وكذلـك على كتـاب بهجـت ابـو غربيّة (مذكّـرات مـن النّكبـة والانتفاضـة)، ١٩٤٩- ٢٠٠٠ الصّـادر عـن المؤسّسـة العربيّـة للدّراسـات والنّـشر ٢٠٠٤بيروت.

وكذلـك كتاب صلاح خلف (فلسـطيني بـلا هويّـة)، والّذي كان عبارة عن لقـاءات مـع الكاتب الفرنسيّ أريـك رولو/ تونـس ١٩٩١- المطبعة الرّسـميّة، وغيرهم مـن الكتّـاب والمؤلّفـات والمراجـع. إنّـني أذكـر هـذه التّفاصيـل في هـذا الموضـوع بـالذّات لحساسـيته، وضرورة التّدقيـق في المعلومة، فأنّا معنيّ بـكلّ كياني ومعرفتي ووجودي بفلسـطين وبالقضيّة الفلسـطينيّة -وبفتح الأمّ والـرّوح- وكذلك بالأردنّ الكيان والشّـعب والأرض المباركـة أرض الرّباط.

وهنـا أسـتجمع قوتي لـسرد الأحـداث من أجل الوقـوف على حقيقـة ما جرى بموضوعيّـة مطلقـة؛ حـتى الآن فـان آثار تلـك الأحداث لا زالـت تؤثّـر في الرّوح، وتسـتنزف جماليّـة هـذه العلاقـة بـين الشّـعبين، الّـتي لا تشـبه علاقـة أيّة شـعوب

أخـرى فيمـا بينهـا، إنّها علاقة تتجسّـد في كلّ واد وسـهل وجبل وقطرة مطر تسـقط هنـا أو هنـاك في الضّفّـة الغربيّـة أو الشّرقيّـة. واذا كان الفلسـطينيّون هـم وقـود التّحريـر، فـإنّ أرض الأردنّ هي أرض الربـاط الّـتي نحلم وننتظر يوما -إن شـاء الله يكـون قريبـاً- أن تنطلـق منهـا جحافـل تحرير الأقصى وفلسـطين.

لـم أتوقّـف عنـد الأحـداث كثـيراً لكنّهـا كانـت الرّمـاد الّذي أشـعل أيلول الأسـود مـع أول هبات ريـح التّناقـض الّذي لا تلتقي فيـه الأطـراف... وأيلول ليس ككلّ الأشـهر، فهـو جميـل في لونـه بعد طـول معانـاة. وحتّى نصـل إلى أيلـول فإنّه لا بـدّ مـن المـرور في تلـك الطّرق الّـتي حملت لونها الأسـود عبر الأشـهر الّتي سـبقت أيلـول... ولهذا أسـاس ردّ الأحـداث بتواريخها وكما هي معتمّـدة، كما أشرت ودقّقت في المراجـع الّـتي ذكرتها حـتّى لا أقع في خطـا الذّات.

مقدّمات ما قبل أيلول

استمرّ الهدوء في المناطق كافةً، وساهم الكفاح المسلّح الفلسطينيّ في ضبط التّجاوزات حتّى ١٩٧٠/٢/١٠ عندما أصدر وزير داخليّة الحكومة الأردنيّة «محمّد رسول الكيلانيّ» قرارا دون إعلام الطّرف الفلسطينيّ وخاصّة الكفاح المسلّح، يدعو فيه إلى تطبيق إجراءات قال فيها: «إنّها تكفل قيام مجتمع مدني موحد ومنظم». وشعرت الفصائل الفلسطينيّة أنّ هذا القرار يستهدفها ويقيّدها، ولهذا أعلنت رفضها للقرار جملة وتفصيلا.

وعلى إثر ذلك انعقد اجتماع هامّ بحضور الملك حسين في منزل رئيس الوزراء بهجت التّلهوني، وعدد من المسؤولين الأمنيين الأردنيين، وممثلين عن القيادة الموحّدة للمنظّمات الفدائيّة لبحث المواقف المستجدّة. وتجدّد الاجتمّاع يوم ١٩٧٠/٢/١٢، وصدر عنه الاتّفاق على عدم صدور أيّة قرارات أو أعمال تستفزّ كلا الطّرفين، وتجميد كلّ الإجراءات والتدابير وأسباب التّوتّر.

في يوم ١٩٧٠/٢/١٤ عقد الملك حسين مؤتمراً صحفيّا أعلن فيه أنّ قرار وزير الدّاخليّة كان خطأ، ويعود لعدم إحاطة الوزير بالموضوع. وبتاريخ ١٩٧٠/٢/٢٤ -أي بعد عشرة أيام من المؤتمر الصّحفّي- أقال الملك حسين وزير الدّاخليّة محمّد رسول الكيلانيّ.

وردّاً على ذلك أعلنت القيادة الموحّدة لحركة المقاومة الفلسطينيّة في بيان أصدرته بتاريخ ١٩٧٠/٢/١٧ أنّها واجهت أزمة قرار وزير الدّاخليّة، وأشار البيان

إلى ضرورة تعزيـز العلاقـة مـع الجماهـير في الأردنّ وتصحيحهـا وتمتينهـا، وجاء في البيان النّقـاط التّالية:

أوّلاً: إنّ المنظّمـات الفدائيّـة مطالبـة أمـام جماهـير شـعبنا والأمـة العربيّـة أن تصحّـح العلاقـات الدّاخليّـة فيما بينهـا لبناء جبهة وطنيّـة موحّدة صلبـة ومرتبطة ببرنامج سـياسيّ وعسـكريّ محدّد، يقـود خطاهـا على درب التّحرير الطّويـل النّفس والغالي في التّضحيات.

ثانيـاً: إنّ المنظّمـات الفدائيّـة مطالبـة بتوفـير وبناء علاقـات صحيحة، والوقـوف أمام أيّة أخطـاء في هـذا التّعـاون مـع الجماهـير، للقضـاء على أيّة سـلبيات تنشـا من خلال النّضـال والكفـاح، وعـدم الـتّردّد مـرّة واحـدة في تصفيـة أي خطـأ يرتكبـه أي مقاتـل أو مناضـل في صفـوف المقاومة.

ثالثـاً: تعزيـز العلاقـات بـين أبنـاء الشّـعب من جنـود وضبّـاط في الجيـش الأردنيّ والأمن العـامّ، ليكـون الجميـع صفّـاً واحـداً في مواجهـة العـدوّ الصّهيونيّ، وتكـون جميع البنـادق موجّهـة إلى صـدر العـدوّ، وقطـع الطّريـق على أيّ دوائـر معاديـة تحـاول تمزيـق وحـدة الفدائيّـين والجيـش في معركة المصـير الواحـد، لذا فالقيـادة الموحّدة توجّـه لجميـع فصائـل المقاومـة وتناشـد جنـود وضبّـاط الجيـش في بنـاء علاقـات أخويّـة صادقة.

رابعـاً: ضرورة الانضبـاط الثّـوريّ الـواعي لجميـع فصائـل المقاومـة، والوعي العـامّ بضرورة المسـاواة بـين جميع المواطنـين، والوقوف صفّـاً واحداً أمام أي تـصرّف فرديّ خاطيء يخـرق قواعد السّـلوك الثّوريّ.

خامسـاً: التّقيّـد التّـامّ مـن طـرف جميـع الفصائـل لتعليمـات القيـادة الموحّدة السّياسـيّة والعسـكريّة والانضباطيّـة.

سادساً: إبلاغ القيادة الموحّدة عن أي مخالفات لتقف أمامها وتضع حداً لها على الفور، فإنّ رجولة الثّوريّين أن يقفوا أمام الخطأ مهما كان، ويعالجوه بشجاعه.

سابعاً: أيّ إزعاج للمواطنين في بيوتهم وأماكن العمل والإنتاج وفي الدّوائر الرّسميّة تنفي العلاقة الحقيقيّة بين الشّعب والمقاومة المسلّحة، فالشّعب هو السّياج لحماية العمل الفدائيّ.

على إثر ذلك استمرّ الهدوء في المناطق كافّة، وعزّز ذلك تشكيل الحكومة الأردنيّة الجديدة برئاسة بهجت التّلهونيّ. لكنّ الإرباك السّياسيّ الّذي شمل دول الطوق والأردنّ بشكل خاص هو خطاب جمال عبد النّاصر في عيد العمّال ١٩٧٠/٥/١، والّذي وجّه فيه رسالة إلى الرّئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون طالبه فيه بالضّغط على إسرائيل مقابل استعداد العرب للسّلام مع إسرائيل شريطة تنفيذ القرار ٢٤٢ الصّادر عن مجلس الأمن.

ومترافقاً مع هذه الخطوط بعث الملك حسين برقية تأييد لجمال عبد النّاصر في ١٩٧٠/٥/٢، وكذلك فعلت الجامعة العربيّة بتاريخ ١٩٧٠/٥/٣ أيّدت فيه نداء جمال عبد النّاصر، ولم يظهر ردّ الفعل الفلسطينيّ حتّى بعد انعقاد المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ في القاهرة ١٩٧٠/٦/١، وجاء الرّفض الفلسطينيّ مجدّدا للقرار ٢٤٢، وإنّ الحلّ هو العمل العسكريّ ضدّ إسرائيل، ومن أجل ذلك تمّ تشكيل «قيادة عسكريّة موحّدة».

وكما أشرنا، تصاعدت هذه الخلافات وتجدّد الاشتباك بين الجيش وفصائل المقاومة، وكلّ ما ورد جعل النّار تختفي تحت الرّماد، فلا وساطة الدّول العربيّة ولا قيادات الفصائل، ولا قيادة الجيش والأمن العامّ كانت قادرة على إخماد النّار الّتي اندلعت، فالقرار كان سرّياً أو علنيّاً يهدف إلى إنهاء الوضع المتناقض في الأردنّ.

ولا شكّ أنّ إسرائيل لعبت دوراً أساسياً في تأجيج التّحريض العنصريّ، وكذلك المتابعة الحثيثة للأحداث من قبل الولايات المتّحدة وبريطانيا في الأردنّ.

ما يوقفني هنا هو كثرة اللجان الّتي تمّ تشكيلها بين الطّرف الأردنيّ والفلسطينيّ لحلّ الخلافات أو التّهدئة أو وقف إطلاق النّار... وبالطّبع ما إن تهدأ نار الفتنة حتّى تصحو من جديد.

وبعد موافقة مصر والأردنّ والجامعة العربيّة على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ جاءت الموافقة المصريّة من خلال رسالة محمود رياض وزير الخارجيّة المصريّة (الجمهورية العربيّة المتّحدة) الموجّهة إلى وزير خارجيّة الولايات المتّحدة وليام روجرز، والّتي تنصّ على قبول مصر مقترحاته الموجّهة للأردنّ ولمصر، وكذلك أعلن عبد المنعم الرّفاعيّ رئيس الوزراء الأردنيّ موافقته على اقتراحات وليام روجرز. تتطلّب مبادرة روجرز موافقة الأردنّ ومصر وإسرائيل على العودة إلى وقف إطلاق النّار لفترة محدّدة (٣ أشهر)، ثمّ يعود سفير السويد لدى الإتحاد السوفيتي ومندوب الأمم المتحدة للشرق الأوسط غونار يارينغ إلى استئناف عمله وفق قرار مجلس الأمن على أساس ان توافق الدّول الثّلاث على:

- تنفيذ قرار مجلس الأمن الدّوليّ (٢٤٢) لسنة ١٩٦٧ بكلّ أجزائه للتّوصّل إلى اتّفاق حول سلام عادل ودائم مستنداً إلى الإقرار من جميع الأطراف بالسّيادة وسلامة الأراضي واستقلال لكلّ دولة.

- الانسحاب الإسرائيليّ من الأراضي المحتلّة خلال حرب ١٩٦٧ وذلك طبقا لقرار مجلس الأمن ٢٤٢.

كان ذلك صدمة قويّة لفصائل المقاومة الفلسطينيّة كافّة، وأعلنت اللجنة المركزيّة لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة (اللجنة التّنفيذيّة فيما بعد)، رفضها الكامل

لمشروع روجرز في ١٩٧٠/٧/٢٨، ودعت إلى القيام بإضراب عام في ١٩٧٠/٧/٣٠، فلقد كانت المنظّمة ترى أنّ الإقرار جعل القضيّة الفلسطينيّة قضيّة لاجئين، وثبّت احتلال إسرائيل لـِ ٧٨٪ من أراضي فلسطين التّاريخيّة.

لكنّ المصيبة الكبرى الّتي واجهتها م. ت. ف هي بيان وزارة الخارجية الأمريكيّة في ١٩٧٠/٨/٨ حول تحقيق وقف إطلاق النّار مع إسرائيل، واعتبار أنّه قد بدأ فعلياً، وأنّ الطّريق أصبح مفتوحاً أمام غونايارينغ للمباشرة في جهوده لتنفيذ القرار ٢٤٢.

هذا الواقع وضع العمل الفلسطينيّ المقاوم تحت دائرة الضّوء، ممّا فرض على اللجنة التنفيذية لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة إصدار بيان فوري قالت فيه: «إنّ القضيّة الفلسطينيّة دخلت بعد الموافقة على المقترحات الأمريكيّة مرحلة التّصفية العمليّة»، فالإجراءات اليوميّة، جارية من أجل تنفيذ قرار مجلس الأمن (٢٤٢) الصّادر في ١٩٦٧/١١/٢٢م، فقد تمّ وقف إطلاق النّار على الجبهة المصريّة، وجدّدت السّلطة الأردنيّة التزامها بوقف إطلاق النّار... إنّ هذه الإجراءات هي اتّجاه واضح لحملة ضدّ العمل الفدائيّ، وتنفيذ شرط تأسيس حدود آمنة لإسرائيل، بعد أن صرّح وزير الخارجيّة الأردنيّ في ١٩٧٠/٨/٨ بأنّ حكومته ستعترف بدولة إسرائيل التزاماً بقرار مجلس الأمن الدّوليّ رقم ٢٤٢ والمقترحات الأمريكيّة بالاعتراف بالوجود الإقليميّ والاستقلال السّياسيّ لدولة إسرائيل.

إنّ اعتراف الأردنّ بمبادرة روجرز وقبولها، والاستعداد للالتزام بها يعني وبالضرورة الالتزام أمام الأمم المتّحدة والدّول العظمى والمجتمع الدّوليّ أوّلاً وأخيراً أمام الولايات المتّحدة الأمريكيّة بوقف إطلاق النّار... وهذا يعني أنّ الأردنّ لن تسمح بأيّ خرق من حدودها لإطلاق النّار باتّجاه إسرائيل، أو القيام بأيّة عمليّات ضدّها من خلال عبور حدوده.

رافـق هذا الواقع الكثير مـن التّحليلات والأفكار والمقـولات، ومنها أنّ الأردنّ كان يأمـل مـن المقاومة الفلسـطينيّة تقديـر موقفه، حيـث أعلن الملك حسـين: «إنّ القبـول الأردنيّ بمبـادرة روجـرز ووقـف إطـلاق النّار هو قبـول مؤقّت لحـين معرفة نوايا إسرائيل للانسـحاب مـن الأراضي العربيّـة المحتلّة».

أدّى قـرارا مـصر والأردنّ إلى إنهـاء مـا كان يسـمى قيـادة الجبهـة الشّرقيّـة، وبـرز الخـلاف بـين العراق وسـوريا ومـصر والأردنّ، ورافـق ذلك الاتّهامـات وحرب الإعـلام، وإطـلاق الشّـعارات الّتي كانت العـراق وسـوريا تتقنها في مواجهـة كتائب الإعـلام المصريّـة الّتي لـم يقبل أحد بهـا لعدم مراعاتهـا أيّة قوانين في علـم الإعلام.

أمّـا القيـادة الفلسـطينيّة فوقعـت بـين موقفـين كلّ منهمـا أمـرّ وأصعـب من الآخـر، وهمـا: القبـول بوقف إطـلاق النّار وهـذا نهاية مـبرر وجودها، ووضع نفسـها في فوهـة المدفـع كمـا يقـال في صراع بـين الدّولتـين الأهـمّ بالنّسـبة للفلسـطينيين، وكذلـك اتّخـاذ موقف الدّفاع عن نفسـها ووجودهـا، وهنا يمكن رؤية هـذه المواقف مـن خلال خطـاب ياسر عرفـات في أحد معسـكرات التّدريب لحركـة «فتح»، حيث قـال: «إنّنـا نقول لـكلّ العالم أنّـه لن يمرّ مـشروع من مشـاريع التّسـوية أو التّصفية، وأيّـة مؤامـرة كانـت على هذا الشّـعب لن تمـرّ إلّا على أجسـادنا».

وفي مثـل هـذه الأجـواء السّياسـيّة الغاضبة والمتوتـرة حصلت عدّة اشـتباكات في مناطـق مختلفـة بـين أجهـزة الأمن الأردنيّـة والجيـش الأردنيّ وبين بعـض فصائل المقاومـة، واسـتطاع الكفـاح المسـلّح الفلسـطينيّ وأجهزة الأمـن الأردنيّـة تطويقها حـتّى موعد انعقاد المجلس الوطنيّ الفلسـطينيّ في دورته الطّارئـة بتاريخ ١٩٧٠/٨/٢٧ في عمـان. وقـد حضر في هـذه الدورة عـدد كبير مـن المندوبـين والمنظّمـات الدّوليّة، وكذلـك وفود رسـميّة مـن دول عدة. وفي هـذه الدّورة، وفي نهاية جلسـتها، كانت كلمة يـاسر عرفـات الّذي قـال: «نحن في منعطـف خطير ودقيـق، وعلينا جميعـا أن نواجهه

بـكلّ شـجاعة وبـكلّ ذكاء، وبـكلّ حنكّـة، وصحيـح ما قـاله ممثل حركـة الفهود السّـود... (قطـرة دم، وقطرة عـرق، وقطرة حـبر)، ولكنّنا اليوم بحاجـة إلى قطرات من الدمّ وقطـرات مـن العـرق، وقطرة واحدة مـن الحبر».

كان مـن نتائـج هذه الدّورة أنّ المجلس دعا في قراراته إلى تشـكّيل قيادة شـعبيّة عربيّـة تتمثّـل بتحـرّك الشّـعب العـربيّ وتقـوده في نضـاله. وطالـب المجلـس الدّول العربيّـة المعنيّـة إطـلاق حريّـة جيـش التّحريـر الفلسـطينيّ ووضعـه بالفعـل تحت تـصرّف قيادة منظّمـة التّحرير الفلسـطينيّة، كما دعا الدّول الرّافضـة لمشروع روجرز بـأن تترجم هـذا الموقف، وتقـوم بدعـم المقاومة الفلسـطينيّة.

في نفس الوقت، واسـتباقا لأيّـة ردود فعل ولتهدئة الوضـع المتفجّر وجّه الملك حسـين خطاباً إلى الشّـعب بتاريـخ ١٩٧٠/٨/٢٩ قال فيه: «إنّ التّحرّك السّـياسيّ الّذي اتّجـه إليـه الأردنّ والجمهوريّـة العربيّة المتّحـدة أحدث ردّ فعل غـير إيجابيّ في بعض الأقطـار العربيّة الشّـقيقة وفي منظمات المقاومة الفلسـطينيّة. ورأت هذه الأوسـاط أنّ سـلوك طريـق سـلميّ لا يتّفـق مـع طريق النّضـال المسـلّح، وقد أوضحنـا بما لا يـدع مجـالا للشّـكّ أننّـا واقعـاً طليعـة هـذا النّضـال المسـلّح ومضمونة وصـداه... شـاء من شـاء وأبى مـن أبى، ثـمّ إنّنا في جهودنـا المتعـدّدة في الميادين إنمّـا نعمل على اسـترداد الأرض المحتلّـة وتحرير شـعبنا فيها، وإنقاذ المدينة المقدّسـة مـن أن يغيبها العـدوان. وقـد درجنـا في هـذه المملكـة على سياسـة عربيّـة موحّدة بحكـم وضعنا ومركزنـا بـين الشّـقيقات العربيّـات، وأن نجعـل مـن ترابنا الوطـنيّ موقعا لـكلّ قوّة عربيّـة تحـبّ أن تقف معنـا هنا في جبهـة النّضال».

أيّلول الأسود على الطّريق

قامت الجبهة الشّعبيّة لتحرير فلسطين بتوزيع منشورات -وقد كانت كثيرة في تلك الأيّام-، وأراد بعض عناصرها وضع هذه المنشورات على واجهة البريد الأردنيّ في عمّان، وعندما حاول حراس البريد منعهم انسحب أعضاء هذه المجموعة إلى الجهة المقابلة من البريد، وأخذوا يطلقون النّار بكثافة غير مسبوقة، واستعملوا كذلك الصّواريخ لمدّة ثلاث ساعات متواصلة، الأمر الّذي بثّ الرّعب في المدينة. وعند ذلك قامت العناصر الموجودة داخل البريد من الأمن الأردنيّ وعناصر الكفاح المسلّح بالرّدّ على مصادر النّيران.

لم يكتف عناصر الجبهة الشعبية بما قاموا به، بل بدأوا بواسطة مكبّرات الصّوت المطالبة للعناصر الموجودة داخل مبنى البريد بالاستسلام و إلقاء السّلاح، وإلّا فإنّهم سيدمّرون المبنى، وزادوا من إطلاق النّار والصّواريخ... وهنا ازداد عدد رجال الكفاح المسلّح بأمر من القيادة الفلسطينيّة، وكذلك ازداد عدد أفراد وضبّاط الأمّن العامّ الأردنيّ والجيش الأردنيّ، وسقط عدد من القتلى من المهاجمين ومن قوّات الكفاح المسلّح والجيش والأمّن الأردنيّ.

وفي ١٩٧٠/٨/٢٩ عقدت اللجنة المركزيّة اجتماعاً عقب هذه الأحداث، تناولت فيه أسباب الحوادث الّتي أدّت إلى قتل عدد من المواطنين، وجنود من الجيش الأردنيّ، وجنود من جيش التّحرير الفلسطينيّ والفدائيّين، وأكدت على إنّها مصممة على صيانة أمن الثّورة والعمل الفدائيّ، وأنّها لن تتراخى في إنزال أشدّ العقاب بكلّ إنسان يعبث بأمن المواطن باسم العمل الفدائيّ.

وزاد الطّين بِلّة يوم ١٩٧٠/٩/١ صدور بيان رسميّ أردنيّ جاء فيه: «بينما كان موكب الملك حسين متوجّهاً إلى مطار ماركا أطلق مسلّحون النّار على الموكب الملكيّ قرب مقطع سكّة الحديد على طريق عين غزال»، وأدّى هذا الحادث إلى عودة الاشتباكات بين الجيش والفدائيّين الّذين نفوا أيّة علاقة لهم بالأحداث، وبالطّبع فقد تضاعف الغضب عند الطّرفين بصورة متسارعة، واستمرّت الاشتباكات في مناطق مختلفة.

وفي ظلّ هذا الغضب من المواقف السّياسيّة ومن الأحداث الفرديّة المنظّمة، المقصودة وغير المقصودة، بداية شهر أيّلول ١٩٧٠ كانت مواقف الفصائل الفلسطينيّة تستشعر الخطر من التّسويات السّلميّة؛ لأنّ رأسها على المحكّ، أو هكذا كانت ترى بعض الفصائل ومنها الجبهة الشّعبيّة لتحرير فلسطين الّتي كانت ترى أنّ القبول بالتّسوية السّلميّة يعني القضاء على الثّورة الفلسطينيّة. وهنا وَجّه الدّكتور جورج حبش زعيم الجبهة رسالة إلى وديع حداد الّذي كان مختصاً بالعمليّات الخارجيّة مختصرة بكلّمتين (أشعل المنطقة)، وهذا يعني إدخال المنطقة والعالم في دوامة من العنف.

وفعلا بدأ وديع حداد الإعداد لخطف عشر طائرات مدنيّة، وفعلا بدأت هذه العمليّة في ١٩٧٠/٩/٦، حيث قامت مجموعة من الجبهة الشّعبيّة باختطاف عدد من الطّائرات، ومنها:

- **طائرة (بوينغ ٧٠٧) تابعه لشركة (TWA).**
- **طائرة بوينغ جامبو (٧٤٧) تابعة لشركة بان أمريكان.**
- **طائرة من طراز (دي سي ٨)تابعه لشركة سويس أيّر.**

أجبرت طائرة الـ (بان أمريكان) على التّوجّه إلى القاهرة. وبعد هبوطها في

مطـار بـيروت أفـرج عن الـرّكاب في القاهـرة، وتمّ نسـف الطّائرة، وأجـبرت طائرتا سـويس أيـر و TWA على الهبـوط فيما سـمّته الجبهة الشّـعبيّة (مطار الثّـورة)، وهو عبـارة عـن مطار قديـم كان البريطانيـون يسـتخدمونه مهبطاً للطّائرات تحت اسـم (مطـار- داوس)، ويقـع على الطّريق بين مدينـتي الزّرقاء والأزرق.

أصبـح العالـم مشـغولاً بموضـوع جديـد هـو خطـف الطّائـرات، وفي هـذه الأثنـاء تعرّضـت طائـرة رابعـة تابعـة لشركـة «العـال» الإسرائيليّـة لمحاولـة خطف فـوق الأجـواء البريطانيّة، لكنّ حـراس الطّائرة قتلـوا أحد الخاطفين وهـو (باتريك أرجيلـو) مـن نيكارغـوا، وأعتقلـوا ليـلى خـالد الّـتي سـلّمت للسّـلطات البريطانيّة. ومـن أجـل الإفـراج عن ليـلى خـالد سـيطرت مجموعة أخـرى مـن الجبهة الشّـعبيّة على طائـرة مـن طـراز (B. O. A. C)، وقادتها هي وركابها إلى ما سـموه مطار الثّورة.

أربـك هـذا الوضع الجديـد في اختطـاف الطّائرات الّذي خلـق ضجة عالميّة ضـدّ القيـادة الفلسـطينيّة. وللتخّفيف من أثار هـذه العمليّات قامـت قيادة منظّمة التّحريـر الفلسـطينيّة بالعمـل على تأمين حياة الـركاب، وصدر عنهـا البيان التّالي:

- نقل جميع الرّكاب إلى عمّان، ووضع ذلك موضع التنفيذ.

- الإفـراج عـن جميـع الـرّكاب مـن مختلـف الجنسـيات، باسـتثناء الإسرائيليين ذوي الصّفـة العسـكريّة، لدى صـدور تصريح رسـميّ من الحكومـات الاجنبيّة المعنيّـة بالتّعهّـد بإطـلاق سراح الفدائيّـين المسـجونين والموقوفـين في كلّ مـن ألمانيـا الغربيّـة وسـويسرا وبريطانيا.

- الإفـراج عن الطّائـرات الثّـلاث وملاحيها حين وصـول الفدائيّـين المذكورين

أعـلاه إلى الأردنّ أو أيّ قطـر عربيّ آخـر، بالإضافة إلى جثة الشّـهيد الّذي قتل في طائـرة العـال الإسرائيليّـة الّتي هبطـت في مطار لندن.

- الاحتفـاظ بالـرّكاب الإسرائيليـين ذوي الصّفة العسـكريّة في عمّـان ريثما يتمّ الوصـول إلى اتّفاقيّـة في المحادثـات الجاريـة مـع الصّليـب الاحمر مـن أجل أن تفـرج السّـلطات الإسرائيليّـة المحتلّـة عـن العـدد الّذي يتـمّ الاتّفـاق عليـة مـن الفدائيّـين والفدائيّـات الفلسـطينيّين المسـجونين في سـجون إسرائيـل، ويتـمّ الإفـراج عـن الـرّكاب الإسرائيليـين المذكورين حـال وصـول الفدائيّات والفدائيّـين الّذيـن يتـمّ الاتّفـاق على الإفـراج عنهـم مـن السّـجون الإسرائيليّة.

- يقوم «الهلال الأحمر الفلسـطينيّ» بمشـاركة الجبهة الشّـعبيّة لتحرير فلسـطين في المباحثـات الجاريـة مـع الصّليب الأحمـر الدّوليّ بتنفيذ جميع هـذه الإجراءات.

إنّ اللجنـة التنفيذيـة لمنظّمة التّحرير الفلسـطينيّة وهي تتّخذ هـذه القرارات إنّمـا تنطلق من الدّوافع الإنسـانيّة للمحافظة على حياة جميع الـرّكاب، وتقديم الحماية لهـم، وترغـب اللجنـة المركزيّة أن تكشـف عـن زيـف الدّعاوي الاسـتعماريّة بحياة هـؤلاء الـركاب في حـين أنّ هـذه الأوسـاط هي الّتي خلقت مأسـاة شّـعب فلسـطين، وشرّدتـه مـن وطنـه، وفرضت عليـه الحياة عـبر عشرين سـنه ولغايـة الآن في أقسى ظـروف العيـش، وبدلاً من وضع حدّ لمأسـاة شّـعب فلسـطين بالعمـل على إعادته إلى وطنـه، تحـاول الآن فـرض حياة التّـشرّد واللجـوء عليـه إلى الأبد، واغتصـاب وطنه نهائيّـاً وفقاً للسّياسـات الاسـتعماريّة في منطقة الشّرق الأوسـط.

لقـد أرادت اللجنـة المركزيّـة تخفيـف الضّغـط النّفسّي والاحتقـان لدى الفصائـل الفلسـطينيّة الّـتي فـرض عليهـا في ١٩٧٠/٩/٤ الخـروج من مـدن الجنوب

كالطّفيلة والكرك ومعان والشّوبك تجنّباً لإراقة دماء المدنيين والجيش، والاشتباكات الّتي جرت في منطقة الزّرقاء. ولهذا جاء البيان وكأنّه يساند بشكل ما الجبهة الشّعبيّة، لكنّه كان في واقع الحال محاولة لامتصاص ردود الفعل، ولتحقيق أيّة مكاسب وخصوصاً موضوع المعتقلين في السّجون الإسرائيليّة.

لم تكن القيادة تتقن المناورات السّياسيّة، لهذا جاءت النّتائج عكس ما توقعت هذه القيادة والجبهة الشّعبيّة. فرفضت الولايات المتّحدة تنفيذ أيّ مطلب للجبهة الشّعبيّة وكذلك امتنعت إسرائيل. وكانت ردّة فعل قيادة الجبهة الشّعبيّة هي تفجير الطّائرات، وأصدرت بياناً لم يؤت ثماره من خلال اعتبار أنّ الجبهة، ومن موقع أنسانيّ، قد أخلت الطّائرات من ركابها، وأفرجت عنهم باستثناء أربعين راكبا يحملون الجنسيّة الإسرائيليّة والأمريكيّة والسّويسريّة والألمانيّة والانجليزيّة... وانتظرت قيادة الجبهة أنْ يفرج عن المعتقلين الفلسطينيّين في كلّ من إسرائيل وسويسرا وألمانيا وبريطانيا.

في هذا الوقت أصدرت اللجنة المركزيّة قرارا في ١٩٧٠/٩/٧ بتجميد عضويّة الجبهة الشّعبيّة لتحرير فلسطين من اللجنة المركزيّة، وكشفت أنّ وفداً من اللجنة المركزيّة كان قد ذهب إلى موقع الطّائرات، إلّا أنّ الجبهة الشّعبيّة لم تلتزم بقرارات اللجنة المركزيّة، وعليه فقد قرّرت:

- تجميد عضويّة الجبهة الشّعبيّة في اللجنة المركزيّة نظرا لخرقها بيان ١٩٧٠/٥/٦.
- إدانة تصرّفات الجبهة الشّعبيّة لتحرير فلسطين، وعدم التّعامل معها لعدم التزامها بالاتّفاقات والقرارات الصّادرة عن اللجنة.
- الوقوف بحزم ضدّ أيّة تصرّفات من قيادة الجبهة الشّعبيّة حرصاً على سلامة وأمن الثّورة، وخوفاً من أنْ تحرفها عن معركتها الحقيقية ضدّ العدوّ الصّهيونيّ.

في هـذه الأثنـاء وصلت للسّـفارة المصريّـة في عمّـان برقيّة موجّهـة من جمال عبدالنّـاصر للجبهـة الشّـعبيّة باسـم جـورج حبش. ومـن المعـروف أنّ عبدالنّاصر كان متبنّيـا الخـطّ القـوميّ العـربيّ الّذي سـاهم في تأسيسـه جورج حبـش، وجاء في البرقيّـة: «إنّ هـذا العمل يـضرّ بالقضيّة الفلسـطينيّة ويرجو إخلاء سـبيل الرّكاب».

حمـل اللواء إبراهيـم الدّخاخنـة المندوب المـصريّ لدى المقاومة الفلسـطينيّة البرقيّـة، وقابـل كلًّا مـن جـورج حبـش ووديـع حـداد وأبـو مصطفى يـاغي، وفورا أمـر جـورج حبـش تسـليمه الرّهائـن، حيـث تـمّ نقلهـم إلى مستشـفى المعسـكر بعنايـة الصّليـب الأحمـر الدّوليّ بحضور ممثّـل عن السّـفارة الأمريكيّـة، ولم تفرج إسرائيـل عـن أيّ معتقـل فلسـطينيّ وكذلـك الدّول الغربيّة.

في ١٩٧٠/٩/٦ وقـع اشـتباك جديـد في مدينـة معـان بـين المقاومـة والجيـش الأردنيّ. وفي ١٩٧٠/٩/٧ كادت الأوضـاع أن تنفجـر عندمـا اسـتعدّت الوحـدات العسـكريّة الأردنيّـة المتمركزة في منطقـة النزّهة والعارضة لمهاجمـة مواقع الفدائيّين ومخيّمـات اللاجئـين في عمّـان خلافـاً للأوامـر، وتدخّـل الملـك شـخصيّاً بأوامـره لوقـف أيّ تصعيـد.

وفي ١٩٧٠/٩/٨ أعلـن في عمّـان عـن اتّفاق بـين المقاومة والسّـلطات الأردنيّة لوقـف إطـلاق النّار فـوراً، وحمـل البيان النّقـاط الآتية:

- وقف إطلاق النّار نهائيّاً وفوراً.

- تنفيـذ مـا أعلنتـه السّـلطة بتصريحهـا يـوم ٥ أيلـول ١٩٧٠، مقابـل إخلاء شـوارع عمّـان ومداخلهـا والطّـرق الرّئيسـة مـن المسـلّحين و أفـراد المنظّمـات كافّة فـوراً.

- منع جميع المظاهر العسكريّة داخل المدينة ومن المسلّحين كافّة.

- منع التّعرّض لأيّ فرد من القوّات المسلّحة الأردنيّة، والمنظّمات الفدائيّة من أيّ طرف.

- منع التّعرّض لأيّ مواطن وأمنه وممتلكاته وماله من أيّ طرف، وكلّ من يرتكب أيّة مخالفة يعدّ خارجاً عن القانون والنّظام، ويوضع تحت طائلة العقاب بالتّعاون بين الطّرفين.

- العمل على إيقاف جميع الحملات الإعلاميّة والتّعبئة النّفسيّة من جميع الجهات الّتي تسيء إلى المصلحة الوطنيّة والقوميّة.

- تمارس اللجنة المشتركة من الحكومة واللجنة المركزيّة تنفيذ المهامّ الموكولة إليها بما فيها هذه المواد.

لم يصمد البيان الدّاعي لوقف إطلاق النّار كثيراً، حيث أعلنت اللجنة المركزيّة بأنّ قوّات الجيش الأردنيّ لم توقف عمليّات القصف والحصار لقواعد الفدائيّين في إربد، وأنّ المدفعيّة التابعة للواء الاربعين المدرّع يضرّب هذه القواعد، حيث قتل ثلاثون فدائيّاً، وجرح أربعون آخرون.

كان الفدائيّون قد تمكّنوا من السّيطرة على مدينة إربد بتاريخ ١٩٧٠/٩/١٤... وفي اليوم التّالي أذاع راديو عمّان النّصّ الّذي اتّفق عليه بين اللجنة الخماسيّة العربيّة وبين الحكومة الأردنيّة واللجنة المركزيّة لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة، وقد تضمّنت البنود الآتية الّتي تعد نافذة ابتداء من ١٩٧٠/٩/١٦:

- تستبدل الحراسات القائمة حاليا في جميع المواقع في مدينة عمّان بشرطة مدنيّة، وذلك يشمل السّفارات والمرافق العامّة، ولا يشمل الدّيوان الملكيّ، وقصر الملك، والقلعة، والحاووز في جبل التّاج.

- تخفّف الحراسات القائمة حالياً في الحاووز وفي جبل التّاج والقلعة.

- تسحب جميع قوى الأمن الّتي احتلّت أماكن حديثة.

- تسحب القوى العسكريّة كافّة من حول عمّان.

- ينسحب الفدائيّون من جميع المواقع الّتي احتلوها أخيراً في شوارع المدينة.

- ترفع كافّة الحواجز من كافّة الطّرقات.

- عدم التّعرّض من قبل العناصر الفدائيّة للأفراد المدنيين والعسكريّين.

- يمتنع الفدائيّون عن تفتيش البيوت واعتقال الأشخاص.

- عدم تعرّض رجال القوّات المسلّحة والأمن العامّ لأيّ عنصر فدائيّ في أيّ مكان.

- يكون هناك وجود رمزيّ للكفاح المسلّح في المناطق التّالية:

١. البرّيّة.

٢. مولّدات الكهرباء في رأس العين.

٣. ماتورات المياه في رأس العين.

- تسحب القواعد العسكريّة للفدائيين من المدينة.
- يتمّ تنفيذ هذه الإجراءات ابتداء من صباح الأربعاء ١٦ أيلول ١٩٧٠ حتّى السّاعة السّادسة من مساء نفس اليوم.
- تشكيل لجنة من الحكومة واللجنة المركزيّة.
- بعد تنفيذ هذه الإجراءات في عمّان يصار في تنفيذها على سائر مدن المملكة.

خلال الأسبوعين الأوّليين من شهر أيلول/ سبتمبر حاولت القيادة الفلسطينيّة بكلّ ما في وسعها تلافي المواجهة، فدخلت في مفاوضات شاقّة تحت رعاية الوسيط السّودانيّ المكلّف من الجامعة العربيّة، ونصح رئيس الوزراء الأردنيّ عبدالمنعم الرّفاعيّ صلاح خلف بتوقيع الاتّفاق كما قدّم له، وأذيع نصّ البيان مباشره من إذاعة عمّان، وظنّ صلاح خلف أنّه تلافى الأسوأ...!!

وفي صبيحة اليوم التّالي أقال الملك حكومة الرّفاعيّ، وكلّف اللواء محمّد داوُد الفلسطينيّ الأصل بتشكيل حكومة حرب من العسكريّين. وفي ١٩٧٠/٩/١٦ أعلن عن تشكيل الحكومة العسكريّة الّتي أعلنت الأحكام العرفيّة، واتّخذ مجلس الوزراء قراراً بتعيين المشير حابس المجالي حاكماً عسكريّاً عامّا، وبدوره أصدر المشير حابس المجالي قراراً بتعيين العسكريّين التّالية أسماؤهم:

- الزّعيم مازن العجلونيّ نائبا للحاكم العسكريّ العامّ.

- اللواء قاسم معايطة حاكماً عسكريّاً محليّاً لمحافظتي الكرك والبلقاء.
- العقيد كساب صفوق حاكماً عسكريّاً محليّاً لمحافظة إربد.
- الزّعيم بهجت المحيسن حاكماً عسكريّاً محليّاً لمتصرفيّة الزّرقاء.
- الزّعيم سالم عودة نجادات حاكماً عسكريّاً محليّاً لمحافظة معان.

أصدرت الحكومة العسكريّة بعد تشكيلها بياناً للمواطنين يوم ١٩٧٠/٩/١٦ أيّ يوم تشكيل اللجنة المشتركة قالت فيه:

«إنّها ستضرب بيد من حديد على أيدي العابثين والمضلّلين، وإنّ ثقتنا كبيرة في تعاونكم مع الحكومة ودعمكم لها، وإنّ ما يجري على أرضنا ليس وليد صدفة، بل إنّه جزء من مخطّط تآمريّ يستهدفنا مثل غيرنا، بل يخشى أنْ يكون تمهيداً لاجتياح جديد بعد أنّ تستنزف الفوضى كلّ قوّاتنا وطاقاتنا».

طلبت الحكومة العسكريّة من المليشيات المكوّنة من عناصر مدنيّة مدرّبة للدّفاع عن مناطقهم بتسليم أسلحتهم لتنظيماتهم، وقد حشدت الحكومة العسكريّة في هذا الوقت حوالي ٦٥ ألف ضابط وجندي من رتب الجيش الأردنيّ، وكان يساندهم حوالي (١٠) الآف من قوّات الشّرطة والأمن العامّ، وقد حشد أكثر من نصف تلك القوّات حول عمّان والزّرقاء، وكانت مسلّحة بـ ٣٣٠ دبّابة، و٣٥٠ ناقلة جند مدرّعة، و٢٧٠ عربة مصفّحة، ونحو ١٥٠٠ مدفع هاون ومدفع عديم الارتداد، و ١٠٠-١٥٠ مدفع ميدان، وعدد من الطّائرات المقاتلة.

أمّا من النّاحية الأخرى فقد كان عدد قوّات الفدائيّين يقارب ١٠-١٥ ألف مقاتل بما في ذلك أفراد المليشيا، وكانوا يمتلكون ٢٥ مدفعاً عديم الارتداد، و١٥٠ مدفع هاون خفيف ومتوسّط، و١٥٠ قاذف صواريخ م. د، و (٥٠) رشّاشاً

مـن عيـارات مختلفـة. وقـرّرت المنظّمـات الفلسـطينيّة ردّاً على تشـكيل الحكومـة العسـكريّة وضـع قواتهـا والمليشـيا تحـت إمـرة يـاسر عرفـات الّذي اختـير قائـداً لقـوّات الثّورة الفلسـطينيّة.

تحـرّك يـاسر عرفـات، ووجّـه رسـالة إلى الملـوك والرؤسـاء العـرب شرح لهـم فيهـا تطـوّرات الموقف، وأشـار إلى أنّ اللجنـة المركزيّة لمنظّمة التّحرير الفلسـطينيّة «فوجئـت في يـوم ١٩٧٠/٩/١٦ بتشـكيل الحكومـة العسـكريّة بعـد سـاعات قليلـة مـن الاتّفـاق الّذي تـمّ بـإشراف اللجنـة العربيّـة الخماسـيّة... وهـو الاتّفـاق الّذي يضع الأسـاس التّمهيـديّ لإعادة الحيـاة الطّبيعيّة للبلاد، ولإنشـاء علاقـات أخويّة راسـخة بـين الحكومـة والجيـش الأردنيّ من جهـة و الثّورة الفلسـطينيّة والشّـعب الأردنيّ والفلسـطينيّ مـن جهـة ثانية».

ومـع انطلاقـة خيـوط صبـاح ١٩٧٠/٩/١٧ بـدأت وحـدات الجيـش الأردنيّ هجومهـا للسّـيطرة على عمّان، وسـيطرت على جميع مرافـق الدّولة والمؤسّسـات الّتي هي جـزء مـن عنـوان السّـيادة، وكانـت قيـادة الجيـش قـد خطّطـت لحسـم معركة عمّـان خـلال ٤٨ سـاعة، ووضعـت خطّطهـا للقيـام بعمليّـات بـين جـرش وإربد كمرحلـة ثانيـة، وقطـع الطّريـق على أيّـة محـاولات للتّدخّـل أو الوسـاطة العربيّـة، كمـا حشـد الجيـش اعـداداً كافيـة من الجنـود والضبـاط المعـززة بالأليـات لعمان والزرقـاء، كما حشـدت قـوّة خاصّة فيما لـو تدخّل العـراق على الطّريـق الممتدّ بين الزّرقـاء والحـدود العراقيّة.

أمّـا الطّـرف الفلسـطينيّ فقد اعتمـد على قيـادة عبدالرزاق اليحـيى الّذي لم تقابلـه الفصائـل بأيّـة ايجابيّـة، واعتمـد كلّ فصيل على أفـراده للدّفاع عـن المنطقة الموجـود فيهـا، ولم يتـمّ الإفادة من المعارك السّـابقة لتأمـين الملاجئ والمـاء والطّعام والمـوادّ الطّبيّـة للمقاتلـين وللسّـكّان المدنيـين، كمـا أنّـه لـم يكـن هناك مـا يدلّ

على قـدرة المقاومـة تحريـك قوّاتهـا، وتنظيـم دفاعاتها ضمـن خطّة مشـتركة حتّى لو توفـرت الرّغبـة في ذلك.

لـم يكـن لدى قيـادة الفدائيّـين أيّـة خطـط إلّا الدّفـاع، فلـم يسـتغّل واقع الحشـد العسـكريّ الكبير لعمّـان والزّرقاء في السّـيطرة على المواقع خـارج عمّان في إربـد أو جـرش أو عجلـون. كمـا أنّ الجيـش العـراقيّ كان قد انسـحب مـن المواقع الّـتي كان موجـوداً فيها في الرّمثـا وجرش إلى منطقة المفرق، وسـمح لوحـدات أردنيّة كبـيرة بالمـرور عـبر خطوط وجـوده لمهاجمـة الفدائيّـين في الزّرقاء، وقد أبلـغ جنوده بذلـك عبر نـشرة رسـميّة ألصقت على جـدران معسـكراته، كمـا أنّ قيـادة الجيش العـراقيّ ألقت القبـض على بعض الجنود الّذيـن كانوا يرغبون في الانضمـام للمقاومة الفلسـطينيّة، وكان تبريـر القيـادة القطريّـة للثّـورة العراقيّـة أنّ منظّمـة التّحريـر الفلسـطينيّة لـم تطلـب التّدخّل العسـكريّ المبـاشر، وكان الموقف العـراقيّ واضحاً مـن خـلال عبـارة «عـدم زجّ الدّولة العراقيّـة في حرب مـع الدّولـة الأردنيّة».

وفي محاولـة للتّخفيـف مـن حـدّة المعـارك وجّـه الرّئيـس جمال عبـد النّاصر واللـواء جعفـر النّمـيريّ والعقيـد معمّـر القـذافي رسـالة إلى الملـك حسـين وياسر عرفـات، حملهـا إلى عمّـان الفريـق محمّد صـادق رئيس هيئـة أركان حـرب القوّات المصريّـة تطلب وقف الصّـدام وإتاحة الفرص للجهود العربيّة. ورغم كلّ الوسـاطات الّـتي قامـت بها اللجنـة الخماسـيّة والاتّصـالات العربيّة فـإنّ المعارك لـم تتوقّف.

وفي ١٩٧٠/٩/١٩ أرسـل الرّئيـس جمـال عبـد النّـاصر برقيّـة لـكلّ مـن الملـك حسـين ويـاسر عرفـات تحـوي كلّ منهمـا على نـداء لوقف المعـارك، وكلّـف الفريق محمّـد صـادق لخدمـة هـذا الجهد.

ردّ الملـك حسـين على برقيـة الرّئيس جمال عبد النّاصر بالقـول: « إنّه بادر على

الفـور الاسـتجابة لطلبه، وسـوف يأمـر بوقف إطلاق النّـار في عمّان بعد ما سـيطر الجيـش على الوضـع إلّا في وجه أيّة نـيران موجّهه إلى القوّات المسـلّحة والمواطنين.

وبـدوره أصـدر يـاسر عرفـات نـداء إلى قـوّات الثّـورة الفلسـطينيّة بوقـف إطـلاق النّار اسـتجابة لطلـب الرّئيس جمال عبـد النّاصر، لكـنّ الفصائل الأخرى باسـتثناء فتـح رفضـت نـداء الرّئيس جمـال عبـد النّاصر، كمـا رفضته سـوريا.

فـفي خطاب ألقـاه نور الدّين الأتاسيّ بمناسـبة افتتاح المؤتمـر الـ ١٦ لنقابات العمّـال في سـوريا هاجـم الملـك حسـين، ونـوّه بتدخّل سـوريا في المعركـة الدّائرة في الأردنّ. وفي فجـر ١٩٧٠/٩/٢٠ عـبرت قـوّات سـوريّة مؤلّفة من لوائـين مدرّعين ولواء مشـاه الحـدود الأردنيّـة، وفي اليـوم التّالي وصلـت إربـد كتيبة من جيـش التّحرير الفلسـطينيّ إضافـة إلى الكتيبـة الّتي وصلت سـابقاً، واشـتبكت في قتـال شرس مع اللـواء (٤٠) المـدرّع، وبالطّبع نفت سـوريا تدّخـل قوّاتها، وقالـت: «إنّ القوّات الّتي تدخّلـت هي قـوّات جيش التّحرير الفلسـطينيّ».

ونتيجـة للتّدخّـل السّـوريّ وجّهـت الولايـات المتّحـدة رسـالة إلى الاتّحـاد السّـوفيتيّ تطلب فيها الانسـحاب السّـوريّ، وتلـوّح بإمكان قيـام إسرائيل بضربات جوّيّـة، و تدخّـل بـريّ في الأردنّ. كمـا عزّزت الولايـات المتّحدة أسـطولها في البحر الأبيض المتوسـط، ووضعـت الفرقـة (٨٢) المنقولة جـوّاً المتمركزة في ألمانيـا الغربيّة في حالـة تأهّـب، بينما حرّكـت إسرائيل لواءيـن إضافيين إلى مرتفعـات الجولان في الوقـت الّذي بـدأ فيه سـلاح الجـوّ الأردنيّ عمليّاتـه القتاليّة، لأوّل مرّة، حيث شـنّ هجمـات جوّيّة ضـدّ الجيش السّـوريّ في ١٩٧٠/٩/٢١، الأمر الّذي أدّى إلى انسـحاب الجيـش السّـوريّ بعـد غـروب يـوم ١٩٧٠/٩/٢٢ تاركـين وراءهـم ١٢٠ دبابـة وناقلـه جنـد مدرّعـة محترقـة، ومتكبدين أكـثر مـن ١٦٠٠ إصابة!!

كان الجيش الأردنيّ قد أعلن وقف إطلاق النّار من جانب واحد في ١٩٧٠/٩/١٩ عندما تحقّق من التّدخّل السّوريّ، إلّا أنّ الانتصار الّذي حقّقه هذا الجيش، ومعرفة قيادته بالاتّصالات العليا الّتي تمّت، قد دفعه إلى توجيه قوته من جديد إلى قوّات منظّمة التّحرير الفلسطينيّة. وقد ناشد المسؤولون الفلسطينيّون في عمّان القيادة السّوريّة أنّ تبقى على تقدّمها في اتّجاه إربد لمدّة ٢٤ ساعة أخرى، لكنّ ذلك كان هباءً منثوراً فقد انسحبت القوّات السّوريّة وهي تجرّ وراءها أذيال الخيبة، وبالطّبع كانت تحسب ألف حساب للتدخّلات الّتي تمّت.

تراجعت قوّات منظّمة التّحرير الفلسطينيّة من بعض أحياء عمّان ووسط الزّرقاء نتيجة للمعارك. وفي ٢٠- ١٩٧٠/٩/٢٢ أجبرت على نقل غرفة عمليّاتها المركزيّة ومركز قيادتها الرّئيس إلى جرش، التي استشهد فيها عدد من الكوادر والقيادات الفلسطينية، وفي مقدمتهم القائد المجاهد الكبير، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح «أبو علي إياد»، رحمه الله. كما تم في هذه الأثناء اعتقال كل من عضويّ اللجنة المركزيّة «فتح» صلاح خلف وفاروق القدوميّ، وعضوي اللجنة التّنفيذيّة لمنظّمة التّحرير إبراهيم بكر، وبهجت أبو غربيّة في ١٩٧٠/٩/٢٠. كما أجبر الفدائيّون على التّراجع عن أجزاء كبيرة من الطّريق الرّئيس من عمّان إلى الرّمثا رغم أنّ الجيش نفسه أجبر على الخروج من عجلون، حيث تفاجأ بانضمام (٣٠٠) جندي إلى قوّات منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، وبالذّات إلى «فتح»، وكان من بينهم قائد لواء المشاه سعد صايل.

ورغم أنّ الجيش الأردنيّ حقّق نجاحات مختلفة إلّا أنّه بدأ يفقد عامل الوقت. فقد التزم الرّئيس جمال عبد النّاصر الصّمت في الأيام القليلة الأولى من الصّراع، ثمّ أمر في ١٩٧٠/٩/٢٠ كتائب جيش التّحرير الفلسطينيّ في مصر

بمساعدة منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، فحملت طائرات النّقل العسكريّة المصريّة الكتيبة (٤٩) جوّاً إلى دمشق في اليوم نفسه، كما وصلت الكتيبتان ٣٩ و ٥٩ فجراً إلى اللاذقية في ١٩٧٠/٩/٢٢.

ونظراً لعدم استشارة رئيس الأركان في جيش التّحرير الفلسطينيّ «عثمان حدّاد»، فقد رفض إمداد القادمين بالمأوى أو بالطّعام أو بالتّعليمات، وقام الجيش السّوريّ بإيواء كتائب جيش التّحرير الفلسطينيّ في ثكنة شاغرة بالقرب من درعا.

في مساء ١٩٧٠/٩/٢٢ جرت اتّصالات أردنيّة مع كلّ من إبراهيم بكر وصلاح خلف وفاروق القدوميّ في سجنهم في المخابرات، وأسفرت هذه الاتّصالات عن قيام صلاح خلف بتوجيه رسالة صوتّية من الإذاعة الأردنيّة إلى الملك حسين باسم «شّعب فلسطين» تضمّنت مقترحات لوقف «الفتنة» جاء فيها :

- ينسحب الجيش الأردنيّ إلى أمّاكن مناسبة حول عمّان.
- ينسحب بعدها الفدائيّون من المدينة، وتلغى كلّ القواعد في المدينة.
- بعد ذلك يمكن التّوصّل إلى صيغة تتضمّن ما يلي:

١. التّعامل مع منظّمة التّحرير الفلسطينيّة كممثّل شرعيّ لشّعب فلسطين، وإلغاء التّشرذم في العمل الفدائيّ.

٢. يكون وجود الفدائيّين على حدود الوطن المحتّل، وليس في المدن.

٣. يتقيّد الفدائيّون بأنظمة البلاد وقوانينها.

٤. يتّفق على باقي النّقاط بروح المصالحة.

وفي ١٩٧٠/٩/٢٣ تـمّ نقـل صـلاح خلف وفـاروق القـدوميّ وإبراهيم بكـر إلى قـصر الحُمّـر، حيث التقـوا الملك حسـين ووفداً مـن الزّعمـاء العرب، وتـمّ التّوصّل إلى اتّفـاق بوقـف إطـلاق النّـار وفقاً للنّقـاط الّتي وردت في رسـالة صـلاح خلف. وعليـه فقـد أذاع اللـواء جعفـر النّميريّ بصفته رئيسـاً لوفـد الزّعمـاء العرب كلّمة مـن إذاعـة عمّـان، أعلن فيهـا توصّل الطّرفـين إلى اتّفـاق لوقف إطـلاق النّار وفق مقترحـات صـلاح خلـف ورسـالة الملـك حسـين، وأعلـن مباركتـه لهـذا الاتّفاق باسـم القادة العرب.

وبعـد انتهـاء كلّمـة النّمـيريّ أعلـن الملك حسـين في كلّمتـه إقـرار الاتّفاقيّة واعتمادهـا مـن الأطـراف الثّلاثـة، وأعلـن أنّـه أصـدر أوامـره للجيـش بوقـف إطـلاق النّـار. كمـا أرسـل الملـك حسـين محمّـد داوُود إلى القاهـرة في ١٩٧٠/٩/٢٣، وعـرض السّـماح لعـدد يـتراوح بـين ٦٠٠- ١٠٠٠ مـن الفدائيّـين الشّرفاء مـن «فتح» وجيـش التّحرير الفلسـطينيّ بالبقـاء في الأردنّ شرط أنّ ينضموا عمليّـاً وإداريّاً مع الجيـش الأردنيّ.

وفي ١٩٧٠/٩/٢٤ اسـتطاع الجيش الأردنيّ الاسـتيلاء على مخيّـم الوحدات وجبل التّـاج وجبـل الأشرفيّـة في عمّـان، وفي ١٩٧٠/٩/٢٥ سـيطر على الزّرقـاء ومخيّمـات اللاجئـين في محيطهـا، ولـم يتبـقَ فدائيون في مـاركا وجبل الهاشـميّ وجبـل اللويبده وبعـض أجزاء مـن جبـل عمّان.

أمّـا في إربـد فقـد تدهـور الوضـع هنـاك بشـكلّ متسـارع، حيـث انسـحبت

مفـرزة مـن الجبهـة الشّـعبيّة الديّمقراطيّة لتحرير فلسـطين ليلـة ١٩٧٠/٩/٢٣ بدون سـابق إنـذار، وتبعتهـا الجبهـة الشّـعبيّة لتحريـر فلسـطين، حيـث أمـرت القيـادة السّـوريّة الكتيبتين التابعتـين لجيش التّحرير الفلسـطينيّ بمغـادرة إربد، وحظرت على وحدات جيش التّحرير الفلسـطينيّ والفصائل الفلسـطينيّة الموجودة في سـوريا مهاجمـة المواقـع الأردنيّة عـبر الحدود.

وفي ١٩٧٠/٩/٢٧ وصـل الملـك حسـين إلى القاهـرة وتـمّ إقـرار اتّفـاق القاهرة وقـد وقّع عليـه جميع الرّؤسـاء الحاضرين والملك حسـين وياسر عرفـات. وفي اليوم نفسـه وصـل البـاهي الأدغـم إلى عمّـان، وعقد سلسـلة اجتمـاعات مع المسـؤولين الأردنيّـين وحركـة المقاومة.

في ١٩٧٠/٩/٢٩ صرح الملـك حسـين لعـدد مـن الصّحفيـين أنّـه إذا رفـض الفدائيّـون مغـادرة عمّـان، يجـب معاجلـة الوضـع بأيّـة طريقـة أخـرى، وفي اليوم التّـالي قصـف الجيـش الأردنيّ مدينـتي إربـد والرّمثـا.

لقد غطّت ظلال أيلول الأسـود بسـوادها على كلّ المناطق، ولامسـت مشـاعر كلّ مواطـن على أرض الأردنّ، واختلطـت الانفعـالات والعواطف، وتولّد شـعور بأنّ هنـاك شـيئاً جديـداً بـدون لون يلـفّ سـماء الأردنّ... ولم يكـن هناك مـن بدّ إلّا أنّ أغـرق أيّضـاً في تدويـن أحـداث التّاريـخ كيوميّـات مـن يوميّات أيلول الأسـود ومـا تـلاه حـتّى أيلـول ١٩٧١... رغم أنّـني كنت مقيمـاً في لبنان في ذلـك الوقت، ولم أكـن على السّـاحة الأردنيّة في تلـك الأيام.

وهكـذا أقـدّم تلـك التّواريـخ وأحداثهـا بنـاء على مـا راجعتـه مـن المصادر الّـتي ذكرتهـا، ومـن الذّاكـرة الّـتي تحـاول أن تنـسى ألـم أيلـول وسـواد ليله.

اسـتجابة للبيان الّذي صـدر عن لجنة المتابعة لوقف إطلاق النّار والانسـحاب

مـن عمّـان بـدأ الهدوء ينتشر منـذ ١٩٧٠/١٠/٢، حيـث توقّف إطلاق النّـار، ورفع منع التّجـوّل خلال النّهـار، وبدأ الإفـراج عن بعـض المحتجزين، وجرى إخـراج العديد مـن الضّحايـا الّذيـن سـقطوا تحـت الابنيـة المنهـارة. وفي ١٩٧٠/١٠/١٢ توصّلـت لجنـة المتابعـة إلى عقـد اتّفاقيـة تفصيليّة عرفت بــ «اتّفاق عمّـان»... ولا شـكّ أنّ اتّفاقية عمّـان اعتمـدت في نصوصها على الكثير ممّـا ورد في اتّفاقيّـة القاهرة.

لقـد كلّفـت الأحـداث الدّاميّة وهـذه المعارك ما بـين ١٥- ٢٥ الـف قتيل وفق التّقديـرات الفلسـطينيّة والأجنبيّـة، وتكبّد الجيـش الأردنيّ أكثر مـن ٦٠٠ قتيل و ١٥٠٠ جريـح. (رغـم المبالغة الممكنـة في الأرقام).

أمّـا خسـائر الفلسـطينيّين العسـكريّة فكانت ما بـين ٩١٠-٩٦٠ قتيـلاً، منهم أكـثر مـن (٤٠٠) مـن فتـح، و٢٠٠ مـن جيـش التّحريـر الفلسـطينيّ، و ٨٠- ٩٠ قتيلاً مـن الصّاعقـة و ٧٠- ٨٠ قتيـلاً مـن الجبهة الشّـعبيّة لتحرير فلسـطين، و ٣٠- ٥٠ من الجبهـة الديّمقراطيّـة أمّـا بـاقي القتلى فكانـوا من المدنـين الفلسـطينيّين المقيمين في عمّـان. ولـم يكـن سـهلاً تدمـير العـشرات بل المئـات مـن المسـاكن وخاصّة في المخيّمـات، وأطلـق الجيـش سراح مـا بـين ١٦- ٢٠ ألفـاً مـن الفلسـطينيّن الّذين تمّ اعتقالهـم أثنـاء المعركـة، وبقي بضـع مئات في سـجن الجفر الصّحـراويّ.

وفي ١٩٧٠/١١/٢١ عقـد اجتمـاع موسّـع بـين اللجنـة المركزيّـة والسّـلطة الأردنيّـة لإيجاد تسـوية شـاملة لكلّ المشـاكلّ المعلّقة بـين الطّرفين، وتسـهيل تطبيق الاتّفاقـات، لكـن وفي ١٩٧٠/١١/٢٥ شـنّ الجيـش الأردنيّ هجومـاً واسـعاً على مواقع الفدائيـين في جـرش وعجلـون، وامتـدّ الهجـوم إلى مدينـة الزّرقـاء، كمـا أصـدر الجيـش أوامـره إلى الفدائيّـين بإخلاء ثغرة عصفـور، وهي ممرّ اسـتراتيجيّ على طريق إربـد، وأقـام فيهـا حاجـزاً للتّفتيش العسـكريّ عند جـسر الزّرقاء جنـوبيّ جرش، وسـيطر الجيـش على مخيّـم سـوف للآجئـين، وأسر ٦٣ جنديّـاً وضابطـاً مـن جيش

التّحرير الفلسطينيّ، وألقي القبض على ٨٠ فدائيّاً.

وفي ١٩٧٠/١٢/٢٠ سيطر الجيش الأردنيّ على مدينة السّلط، وانسحبت وحدات من جيش التّحرير الفلسطينيّ وقوّات الصّاعقة من منطقة إربد إلى سوريا، وانسحبت عناصر بعض المنظّمات الأخرى إلى جبال جرش وأحراش عجلون. لم يتوقّف هجوم الجيش الأردنيّ، ففي ١٩٧١/١/١٨ شنّ الجيش هجوماً شاملاً على مواقع الفدائيّين استمرّ ثلاثة أيام، وأبعد الأردنّ ٣٨٤ فدائيّاً إلى سوريا.

وفي ١٩٧١/٣/٢٧ بدأت القوّات الأردنيّة بقصف الفدائيّين، وسيطر الجيش على إربد، وقصف جرش في ١٩٧١/٣/٣٠. وفي ١٩٧١/٤/١فرض الحصار على مواقع المقاومة في جرش بينما استمرّ في ضرب المخيّمات في ١٩٧١/٤/٣. وفي ١٩٧١/٤/٤ وجّهت الحكومة الأردنيّة إنذاراً نهائيّاً يطلب إخلاء عمّان من الفدائيّين نهائيّاً وسط استعدادات وحشود تشبه ما جرى في أيلول الأسود.

انسحب الفدائيّون من عمّان تجنّباً لمزيد من إراقة الدّماء في معركة غير متكافئة، واستمرّ الجيش الأردنيّ في قصف جرش وعجلون والأغوار حيث مواقع الفدائيّين، كذلك وقعت معارك ضارية في بلدة المفرق على الحدود السّوريّة، وحاصر الجيش مواقع الفدائيّين في الأغوار، وقطع عنهم الإمدادات والأغذية، وتمّ تصفية عدد كبير من الفدائيّين في أحراش جرش وعجلون، واعتقل العديد منهم في عمّان، وحوصرت مخيّمات اللاّجئين في الزّرقاء.

وبتاريخ ١٩٧١/٦/١٠ في الفترة الواقعة بين ٧- ١٩٧١/٧/٣ عقد في القاهرة المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ في دورته التّاسعة، وفي هذا الوقت بدأ الهجوم النّهائيّ

لتصفيـة العمل الفـدائيّ في ١٩٧١/٨/١٢ وما عرف بمعركة الأحـراش، وأعلن الجيش أنّـه قتـل ٢٥٠ فدائيّـاً، وتمكّن ٥٠٠ فـدائيّ من الوصول إلى سـوريا.

بـاءت كلّ محـاولات التّهدئـة بـل الاستسـلام بالفشـل. فـفي ١٩٧١/٧/١٤ شـنّ الطّـيران الأردنيّ والقـوّات الأردنيّـة الهجـوم الاخـير على الفدائيّـين في منطقة الأحـراش شـمال الأردنّ، وأسـفر ذلـك عـن إخـلاء السّـاحة الأردنيّة من النّشـاط العلـنيّ للمقاومـة. وكالعـادة رفضت بعـض الفصائل أيّ شـكّل من أشـكال المصالحة رغـم أنّ معظـم الدّول العربيّـة حاولـت التّوسّـط في ذلـك.

وهكـذا فقـدت المقاومـة أهـمّ قاعـدة، وأطول قاعـدة لهـا في مقاومـة العدوّ الإسرائيـلي، وبقيـت آثـار هـذه المعـارك مغطـاة بأيلول الأسـود حـتّى بـدأت تظهر خيـوط الشّـمس مجـدّداً لترمّـم الالـم، وتغطـي آثـار الجراح بين شـعبين شـقيقين!!

وفاة الرّئيس جمال عبد النّاصر

لا يمكن تجاوز ألم أيلول الأسود... وهذا الكمّ الهائل من الحزن والغضب على ما جرى ويجري دون التّوقف عند ألم كبير أيضا، وهو وفاة الرّئيس جمال عبد النّاصر في الوقت الّذي كان يسعى فيه لتوديع القادة والملوك والرؤساء العرب الّذين أشرفوا على اتّفاقيّة القاهرة بين الحكومة الأردنيّة والمقاومة الفلسطينيّة، حيث أصابته وعكة صحية لم تمهله طويلا، فتوفي في ٢٨/ ٩/ ١٩٧٠.

إنّنا هنا لسنا بصدد الحديث عن عظمة الرّجل وعظمة قيادته وحضوره السّياسّي الدّوليّ والعربيّ والمصريّ بل الحديث عنه كإنسان شكّل لأوّل مرّة في التّاريخ العربيّ (حالة قائد فذّ) للشّعب المصريّ، وكان رمزا للقادة العرب وللشّباب العربيّ الّذي رأى فيه رمزاً للتّحرير والحرّيّة... فهو رفيق جواهر لال نهرو وجوزيف تيتو وسوكارنو في حركة عدم الانحياز، وهو صاحب الخطاب الرّنّان والطّلعة ذات الكاريزما القويّة جدّا. وبعد وفاته مباشرة تقدّم جعفر النّميريّ باقتراح إلى إصدار بيان باسم الملوك والرّؤساء العرب مجتمعين في القاهرة جاء فيه بتاريخ ١/ ١٠/ ١٩٧٠: «نحن قادة الأمّة العربيّة وممثلي مقاومتها

المجتمعين اليوم في القاهرة، يوم ووري جثمان عزيزنا الرّاحل وفقيدنا الكبير: المقاتل الفذّ، والبطل الجسور المغفور له الرّئيس جمال عبد النّاصر.. نعاهد أمتنا، ونعاهد عزيزنا الرّاحل الّذي لا تزال كلماته المهيبة تستنهضنا.. وقدوته الرّائعة المثلى تلهمنا على الاستمرار بأشدّ عزم واقتدار ممّا كنّا عليه قولا وفعلا في مواجهة الاستعمار بكافّة أشكاله وأساليبه، وشتّى المؤامرات ومخطّطاته.. وفي حرب الصّهيونيّة حركة وتنظيما ودولة واحتلالا وحلفا حتّى نحرّر كلّ شبر سلب من الوطن في سيناء والجولان والقدس وكلّ فلسطين.. دولة، متجاوزين كلّ شكليّات حدودنا الإقليميّة الضّيقّة.. مطلّين من فوق همومنا الصّغيرة على جراح وطننا الأكبر الكثيرة.. متضافرين في وجه عدوّنا المشترك.. نابذين كلّ خلافاتنا.. عاقدين العزم على الموت أو الانتصار».

وهكذا فقد العرب والفلسطينيّون والشّعوب المظلومة صديقا وقائدا اسمه جمال عبد النّاصر.

الطّريق إلى لبنان يمرّ بأيلول

كان أيلـول أسـوداً... حالـكاً في سـواده... قاسـياً في حكمـه... راميـاً في عـدله.. كان أيلـول صخـرة ثقيلـة على القلـب، ومخـرزاً للعقـل، كان أيلـول عابئـاً بأرواحنا وعابثـاً ثقيـلاً يرزح فـوق أجسـادنا... فما بـين الجبال والأغـوار والأحـراش والمدن الصامتـة، والأزمـة الّـتي فقـدت روحهـا ولسـانها... كان أيلـول علامـة اسـتفهام للهويـة والانتمـاء والمحبـة... كان أيلـول تشريـداً جديـداً ونكبه جديـدة ليس لها عنـوان أو سـبب أو فاعـل... كان أيلـول جرحـاً عميقـاً في القلـب والكف!

في أيلـول كنـت بعيـداً في بـيروت، ولـم أشـارك في ساعاته وأيامـه وحـرارة شمسـه... وارتفـاع غيـوم ذيلـه. كنـت بعيـداً في أيلـول وفي روحي شـفقة لا معـنى لهـا... فقدنـا في أيلـول أعلامـاً تقـارب لونهـا مـا بـين النّجمـة واللانجمـه... فقدنا في أيلـول رجـالاً كانـت عزائمهـم قويـة، وإرادتهـم صلبـه مصنوعة مـن كلّ القبائل والانتمـاءات.

خـرج مـن تبقى مـن الرّجـال في أيلـول إلى الجزء الآخر مـن بلاد الشـام... إلى سـوريا، وإلى لبنـان... وإلى المهاجـر البعيـدة. وفي دمشـق وصلـت بقيّة القيـادة بعد استشـهاد القـادة أبـو علي إيـاد وأبو صـبري، ووصل كمال عـدوان وأبـو ماهر غنيم وأبـو جهـاد وآخرين إلى دمشـق. اجتمعوا وقرروا الاسـتمرار في المقاومـة من قواعد لبنـان الّتي أنشـئت أنويتها منذ بـدأت صحيفة «فلسـطيننا نداء الحيـاة» في الظهور والانتشـار، وتجمّعـت قواعـد صغيرة في الجنـوب اللبنانيّ.

كان أوّل معسـكر للتّدريـب في شـمال لبنـان بقيـادة أحمـد الأطـرش الّذي

خـرّج الدفعـة الأوّلى الّتي ضمّـت ١٢ متدرباً، والّذيـن تمّ إعدادهم للقيـام بدوريات داخـل الوطـن المحتل عـبر الحـدود اللبنانيّة.

ومنـذ العـام ١٩٦٧ وجـدت خلايا «فتـح» في منطقـة البقـاع وفي العرقوب في «فتـح لانـد» أو هكذا سـموها اسـتفزازاً. وعلقت أسـماء قـرى الجنـوب في عقولنا، وفي قلـب كلّ مـن مـرّ من هناك. إنّـني أكرّر هذه الأسـماء للتّأكيد على تلـك الذّاكرة وهي بعـض قليـل من البـلدات والقـرى الصّامـدة... بالقادمين إليهـا، ومنها:

الهباريـة، وكفـر شـوبا، شـبعا، ومرجعيـون، والخيـام، والقليعـه، ورأس النّاقـورة، وراس الـوادي، وحاصبيا، وعين عـررا، وأمّ دوخا (مدوخـا) راس الفخار، ومجـدل سـالم... وأخرى.

وصـل القادمـون مـن الأردنّ، وقبـل حريـق أيلـول، وكان عددهـم سـبعين فدائيّـاً كوّنـوا قواعـد العرقـوب الأوّلى.

لقـد حمـل لبنان على أرضـه (مرغماً) أو (مجبراً) سـتّة عـشر مخيّماً فلسـطينيّاً توزّعـت على الأرض اللبنانيّـة مـن الجنوب الرّشـيديّة، والبرج الشّـماليّ، وعين الحلوة وحـتّى الشّـمال نهـر البـارد، والبـدّواي، كذلـك الوسـط، وبـيروت الّـتي احتضنت صبرا وشـتيلا وبـرج البراجنه.

لقد شـكّلت هـذه المخيّمـات -بالطبـع- حاضنة عظيمـة للثّـورة، وخاصّة أن الحكـم اللبنـانيّ الطّائـفيّ كان يمـارس كلّ أشـكال الاضطهـاد ضـدّ الفلسـطينيّين الّذيـن وضعـوا في مخيّمات محـاصرة، حيـث كان حزب الكتائـب يعيث فيها فسـاداً، وإرهابـاً وإذلالاً؛ لأنّهـم اعتقدوا أنّ الفلسـطينيّين سـنّة، وسيشـكّلون رديفـاً ودعماً وقـوّة للسّـنّة اللبنانيّـة في مقابـل الشّـيعة والمسـيحيين. ورغـم كلّ النّكبـات الّـتي حلّـت بلبنـان لازالت تلك النّظـرة الطّائفيّة الّـتي لا يعرفها الفلسـطينيّون حاضرة

في كلّ مناسبة... رغم أنّ الفلسطينيّين أحيوا الاقتصاد اللبنانيّ الّذي لم تتبلور ملامحه بعد، وكذلك الثّقافة والفنّ والسّياحة والإعمار والزراعة... فلقد كان الفلسطينيّون روّاداً في هذا المجال. لقد حملوا أموالهم وذهبهم إلى لبنان، ووصل لبنان في العام ١٩٤٨ لاجئين مسجلين في قوائم (الأنروا) (١٠٦,٥٣) فلسطينيّاً، ساهموا في مجال العمران، وتطوير ميناء بيروت ومطار بيروت الدّوليّ الّذي كان صغيراً ومحدود النّشاط.

لقد حمل الفلسطينيّون معهم إلى لبنان ١١٥ مليون جنيه إسترليني أي ما يعادل في هذا الوقت ما يزيد على المليار دولار، ممّا أنعش الاقتصاد اللبنانيّ... ولمعت أسماء فلسطينيّة كبيرة تسابق اللبنانيّون في تقديم الجنسيّة اللبنانيّة لها، ومنهم: طلال أبو غزاله، وحسين الصباغ، ويوسف بيدس، وكمال الشّاعر، وسعيد خوري وسامي العلمي، ورفعت النّمر، وبدر الفاهوم، وباسم فارس، وريمون عوده، وتوفيق غرغور، وعطاالله فريج، وزهير العلمي، وأودي أبيلا، وفؤاد سابا، وكريم خوري، والفرد سبتي، ويتوفيل بوتاجي، وعبدالمحسن القطّان، ومحمود فستق، ومنى جمال. هذه الأسماء اللامعة الكبيرة صنعت إقتصاد لبنان وعمرانه وفنه... فكلّ واحد من هذا الأسماء عمل في تخصص ومجال يختلف عن الآخرين، فلم يكن غريباً أيضاً أنّ عدداً من قاعات الجامعة الأمريكيّة تحمل ومازالت أسماء هؤلاء الفلسطينيّين الأفذاذ.

إنّه لا يمكنني أنّ أتجاهل أسماء الأكاديميين والعلماء، وكذلك أصحاب المزارع والصّنّاع الفلسطينيّين، وأذكر منهم: آل عطايا الّذين تخصّصوا في مجال الزّراعة، وكذلك هناك معامل جبر وغندور وعسيلي، واليمني، وأساتذة الجامعات نقولا زيادة، وبرهان الدّجاني وبثينة أمين فارس، وصلاح الدبّاغ، ونبيل الدّجانيّ، ويوسف عقل، ووجيه مقدسي وريتا عوض، وفيكتور سحاب،

ويسري جوهر، ورجاء طنوس، وسمير صفيلي، ومحمود زايد، وزين مياسي وعصام مياسي، وعصام عاشور، وطريف الخالدي. أمّا روّاد مؤسسي مراكز البحث العلمي فكان منهم: وليد الخالدي، وهناك أسماء عملت في النّقد الأدبيّ والعمل الإذاعي ومنهم: د. محمّد يوسف نجم، و د. إحسان عباس، وكامل قسطندي، وغانم الدجاني، وصبحي أبو لغد، وناهده فضلي الدجاني، وعبد المجيد أبو لبن وشريف العلميّ ورشاد البنى.

أذكر هذه الأسماء اللامعة لأنّ لي علاقة شخصيّة مباشرة مع الغالبية منهم في مجال العمل، أو التّكليف والتّنظيم، حيث كان معظمهم إما مستشارين أو خبراء أو منتمين للثّورة الفلسطينيّة وخاصّة لحركة فتح، أو لمنظّمة التّحرير كمستقلين. ولست بصدد القفز عن أسمائهم؛ لأنّه كان لهم دور رياديّ استشاريّ وعمليّ مفيد للثّورة. ولهذا لابدّ أنّ أذكر أسماء الفنانين التّشكيليين الفلسطينيّين في لبنان، ومنهم: جوليانا اسيرانيم، وبول غيراغوسيان، وناجي العلي، وإبراهيم غنام، وتوفيق عبد العال، ومليحة أمتان، وإسماعيل شموط، وتمام شموط، ومحمّد الشّاعر، وكميل خوري، وموسى طيبا. أمّا في مجال الصّحافة فبرزت أسماء بقيت معنا حتّى اليوم كغسان كنفاني، ونبيل خوري، وشفيق الحوت، ونايف شبلاق، وتوفيق صايغ، وكنعان أبو خضرا، وجهاد الخازن، ونجيب غرام، والياس نعواس، وسمير صنبر، والياس سحاب، وخازون عبود، ومحمّد العدناني، وزهدي جادالله، ولابد من ذكر الفلسطينيّ الّذي اشترك في بعثة علميّة في القطب الجنوبيّ، ورفع العلم اللبنانيّ هناك اللاجئ جورج دوماني.

وفي مجال تطوير العمل السّياحيّ برز سامي كوكبي الّذي أبرز جمال مغارة جعيتا، وجعلها من أهم المعالم السّياحيّة اللبنانيّة. ولابدّ من ذكر الفلسطينيّ حنا حوّا أوّل قائد لطائرة جمبو التّابعة لشركة طيران الشرّق الأوسط (MEA).

أمّـا صـبري الشّريـف فـكان مـن روّاد العمـل المـسرحيّ، وقـد كان تأثـيره واضحـاً على الأخويـن رحبـاني، وكذلـك دوره في مهرجانـات بعلبـك... وهناك أيضـا ديمتري برامـكي مدير متحـف الجامعـة الأمريكيّة.

ولا يمكـن إنكار صاحب الفضل في إبراز الدّور الّذي قام به الفلسـطينيّون في لبنـان، في الوقت الّذي كانـت بعض الجهات الطّائفيّـة والانعزاليّة في لبنان تهاجم الفلسـطينيّين، وهـو الباحـث والكاتـب الكبـير صاحـب جريـدة السـفير «طـلال سـلمان» الّذي عمـل مـن خـلال أبحاثـه دور الفلسـطينيّين في إنعـاش الاقتصـاد اللبنـانيّ والحيـاة اللبنانيّـة بشـكّل عام حتّى اليـوم من خـلال الأموال الكثـيرة جّدا الّـتي يقوم بتحويلهـا المغتربون الفلسـطينيّون إلى أهاليهم في لبنان مـن دول الخليج أو الدّول الأوروبيّـة.

ومـا كنـت اذكـر وأدوّن مـا ورد إلا لمعرفتي الواثقـة والدقيقة والملموسـة لدور الفلسـطينيّين الإيجـابي السـياسي والاقتصادي والعلـمي في كلّ العالـم وخاصّة دول اللجـوء الأردن وسـوريا ولبنـان ومصر والعـراق... فهنـاك المئات، بـل الآلاف، من العلمـاء الفلسـطينيّين ينتـشرون في كلّ العالـم المتقـدّم وفي الدّول العربيّة، ولا أحد ينكـر دور الفلسـطينيّين في نهضـة دول الخليـج والدّول العربيّـة علميّـاً وفكريّـاً ودينيّـاً واقتصاديّـاً، بـل كان الفلسـطينيّون هم عصـا الوحـدة العربيّة الّتي تتوسّـط كلّ العـصي، وحولهـا كانت تجتمـع كلّ الأرواح.

ومـن هنـا أودّ أن أكمـل بعض مـا تبقى مـن دور الفلسـطينيّين في لبنان فقط في تلـك الأيام وحـتّى اليوم... !

كان مـن روّاد تدريـس الرّياضيّـات في لبنـان على سـبيل المثـال لا على سـبيل الحـصر جميل علي، و سـالم خميـس، وعبدالملك الناشـف، ووصفي حجـاب. وأمّا روّاد

العمـل الموسـوعيّ والقانون فـكان منهم أحمد شـفيق الخطيب، وقسـطنطين ثيودوري. وتخصّـص سـعيد الصّباغ في رسـم الخرائـط، حيـث كان الأوّل في هـذا المجال.

كان أوّل رئيس عربي مقيم للجامعة الأمريكيّة هو الدكتور إبراهيم السـلطيّ. وكثـيرون لا يعرفـون أنّ الفنانـة المطربة العملاقـة فيروز هي ابنه لأب فلسـطينيّ من قريـة «فسـوطة» من قضاء عـكا، وأمّا أمّهـا فهي لبنانيّة من آل البسـتانّي... والموسـيقي طنـب الحـاج، وكذلك فريد وحنا وريتشـارد السـلفيتي، وحليم الـرّوميّ وابنته ماجدة الـرّوميّ وريـاض البنـدك، وسـلفادور عرنيـط، والفاريس بولص، ثمّ سـليم سـحاب، وعبـد الكريـم قزمـوز، وعبـود عبدالعـال، ومحمّـد غازي. وأوّل فرقـة رقـص شـعبي أسسـها الفلسـطينيّان مـروان جـرار ووديـع حـداد جـرار. وأوّل الفـرق الكورالیـه الموسـيقيّة أسسّـها الفلسـطينيّان الفاريس بولص، وسـلفادور عرنيطة.

ولا بـدّ من ذكـر اللبنانيّين الّذين ولدوا أو عاشـوا في فلسـطين، ومنهم الأديب الكبـير ميخائيـل نعيمـة الّذي درس في القـدس، والأديبـة الكبـيرة مي زيـادة الّـتي ولدت في مدينـة النـاصرة لأم فلسـطينيّة وأب لبنـانيّ، والأديـب وديـع البسـتانّي، والباحثـة بيـان عجـاج نويهـض زوجـة المرحـوم شـفيق الحـوت الّـتي ولدت في القـدس، وقدمـت العديد مـن الكتـب الهامّة عـن القضيـة الفلسـطينيّة، وكذلك نجيـب نصـار صاحـب جريـدة الكرمـل، ونجيـب عازوري صاحـب كتـاب يقظة الأمّـة وجـورج انطونيـوس صاحـب كتـاب يقظـة العرب.

لقـد ذكـرت كلّ هـذه الأسـماء كمـا وردت في بحث الصّحـفيّ الكبير الأسـتاذ طـلال سـلمان تقديـرا لهـذه الأسـماء وإعجابـاً بهـا، وكأنّـني أريـد أنّ أردّد بفخـر واعـتزاز، وأصرخ بعـالي الصّـوت هاهـم الفلسـطينيّون... وهـذا دورهـم في لبنـان كمـا هـو حالهـم في كلّ مـكان وجـدوا فيـه! إنهـم بنّـاؤون ايجابيـون، محبـوّن للعمل ومنتجـون، ومخلصـون للبـلد الّذي يحتضنهـم.

ولهذا كان الفلسطينيّون ينظرون إلى لبنان نظرة خاصّة مليئة بالاحترام والمحبّة والتقدير. وعندما بدأت أبواب دمشق تغلق تدريجياً في وجه المقاومة الفلسطينيّة، ولم يكن بالإمكان انطلاق العمليّات الفدائيّة من الحدود السّوريّة نحو إسرائيل دولة الاحتلال، لم تجد فتح والمقاومة غير لبنان كبديل يناسب الالتحام المباشر مع العدّو واجتياز الحدود للقيام بالعمليّات العسكريّة.

وكما أشرنا فقد تمركزت الخلايا الأوّلى في المخيّمات السّتّة عشر الموجودة في لبنان، وفي قرى ومدن وجبال وغابات الجنوب اللبنانيّ. لكن سقوط أوّل شهيد (لبنانيّ) في صفوف الثّورة الفلسطينيّة بتاريخ ١٩٦٨/٤/١٠ شكّل مشعل الثّورة وانطلاقها في لبنان، وهو الشّهيد البطل خليل عزّ الدّين الجمل الّذي خرج لبنان كلّه في وداعه. فمنذ دخوله الحدود السّوريّة حتّى مثواه الأخير في لبنان، اصطفت الجماهير حاملة الأعلام السّوداء وأعلام فلسطين ولبنان وأكاليل الزّهور. وتردّدت الزّغاريد والهتافات وإطلاق النّار بالفضاء، وقرعت أجراس الكنائس، وواكبه وفد من رجال العاصفة بملابسهم العسكريّة وسلاحهم الكامل أيضاً، وانضمّ إلى ركب موكب الجثمان جورج صارونيم محافظ البقاع، وحضر الصّلاة عليه رئيس الوزراء المحافظ رشيد كرامي الياغي، والشّيخ حسن خالد مفتي الجمهوريّة، وعدد كبير من رجال الدّولة. وصدر مرسوم من الدّولة اللبنانيّة بمنح الشّهيد وسام الاستحقاق اللبنانيّ، ووجّه الرّئيس عبد الناصر تحيّة للشهيد في خطابه في شهر ١٩٦٨/٤ كما حضر مراسم التّشييع ممثلون عن الطّوائف اللبنانيّة والنّقابات والأحزاب والجمعيات. ودعت القوى الشّعبية كافة إلى التّظاهر في يوم ١٩٦٨/٤/٢٣، لكنّ الجيش اللبنانيّ اصطدم بالمتظاهرين وسقط ١١ قتيلاً وجرح ٨٠ شخصاً آخرين، وأعلنت حالة الطوارئ في لبنان، و استقالت حكومة رشيد كرامي.

كان أثـر استشـهاد خليـل عـزّ الدّيـن الجمـل كبـيراً على السـاحة اللبنانيّـة، فتسـابق الفلسـطينيّون واللبنانيّـون للالتحـاق بحركـة فتـح والتّنظيمـات الأخرى، وفتحت معسـكرات التّدريـب السّريّة في معظـم مخيّمات لبنان، وتعـزّزت القواعد في الجنـوب بالعنـاصر الجديـدة، وبالطبـع فإنّ هذا الأمـر أثار إسرائيـل الّتي وجدت أنّ لبنـان قـد تحـوّل بسرعـة لبديل عن جبهـة الأردنّ. ولإخافـة اللبنانيّـين ودفعهم لمهاجمـة الفلسـطينيّين قامـت مسـاء يـوم السـبت ١٩٦٨/١٢/٢٨ بالهجـوم على مطار بـيروت وتدمـير ٣٦ طائرة مدنيـة، وكالعادة صدر قـرار ٢٦٢ من مجلـس الأمن يدين الاعتـداء الإسرائيليّ...!

انقسـم المجتمـع اللبنـانيّ إلى مؤيد للثّورة الفلسـطينيّة وإلى معـادٍ لها. وطالب ريمـون إدّة بقـوات دوليّة لحمايـة لبنان، بينمـا ضاعفت الأحزاب القومية واليسـار اللبنـانيّ تأييدهـا للثّـورة الفلسـطينيّة. وهنـا لا بـد مـن الإشـارة إلى ظهـور حركـة ضمـت العاملـين في حقل الإعـلام وقطـاع النّقابات التزمـت بدعـم وتأييد حركة فتـح، وكان القائـد لهـذه الحركـة الدكتـور أسـامة الفاخـوري. وقامـت هـذه الحركة بدعـم المقاومـة عام ١٩٦٩، وسـيّرت مظاهـرة ١٩٦٩/٤/٢٣، وقـام أفرادها بالمسـاهمة في حمايـة المخيّمـات الفلسـطينيّة بعـد أنّ قـام الجيـش بقصفهـا، فلقـد أعطيـت الأوامـر للجيـش اللبنـانيّ للتخلـص مـن المقاومـة الفلسـطينيّة بنفـس الطّريقـة الّـتي حصلـت في الأردنّ... لكـن الظّروف واختـلاف المواقف السّياسـيّة في لبنان والتنّـوعّ الطّائفيّ أفشـل الجيـش اللبنانيّ في مهمتـه. ولهذا اضطرت حركـة فتح بعد أحـداث ١٩٦٩ إلى الالتقـاء مـع النّظـام اللبنـانيّ، والتّفاهـم معه برعايـة مصريّة وتمّ التوقّيـع على «اتّفاقيّـة القاهـرة» في ١٩٦٩/١١/٣.

وقـد وقّـع العمـاد إميـل البسـتانيّ الاتّفاقيـة عـن الجيـش اللبنـانيّ، ووقـع يـاسر عرفـات عـن الجانـب الفلسـطينيّ، وقـد تـمّ إعـداد اتفاقيـة وصياغتهـا في

منزل الأستاذ يوسف الصّايغ في ١٩٦٩/٥/٩، وقد راجع واطّلع على هذه الاتّفاقيّة إضافة للعماد إميل البستانيّ الرّئيس ميشيل الحلو، ورشيد كرامي، وغابي لحود مدير الاستخبارات العسكريّة، والياس سركيس الّذي أصبح رئيساً فيما بعد أثناء الحرب الأهليّة اللبنانيّة، والعميد يوسف شميط، و فؤاد شهاب، وجوني عبده. وكانت اتفاقية القاهرة تعدّ أوّل اتّفاقيّة تعقدها دولة عربية مع المقاومة ا لفلسطينيّة .

وتمركزت قوّات الثّورة، وخاصّة «فتح»، والّتي تكوّنت من عناصر فتح الّذين خرجوا من الأردنّ وكذلك الجنود والضّبّاط الّذين كانوا يخدمون في صفوف الجيش الأردنيّ والتحقوا بحركة «فتح» وتكونت من خلالهم كتيبة اليرموك الأوّلى والثانية والثالثة، وتمركزت في الجنوب اللبنانيّ وفي سفوح جبل الشّيخ وفي محيط قرية «بكة». كما تمركزت كتيبة شهداء أيلول وتموضعت فيما بعد في منطقة أبو الأسود، وكذلك الكتيبة الطّلابيّة، والأوسط، وكتيبة كايد، وعزمي الزغير، وروميل في محيط صور.

وهنا لا بدّ من ذكر أوّلئك الضّباط الّذين أطلقنا عليهم مجموعة الجيش الأردنيّ، والّذين قادوا بجدارة كتائب فتح وقوّات العاصفة، وبالطبع في طليعتهم القائد سعد صايل (أبو الوليد) الّذي حظي بتاريخ حافل في الجيش الأردنيّ، واصبح مستشاراً عسكريّاً للملك حسين بعد معركة الكرامة وتنسيقه الدّائم مع القائد مشهور حديثة، وكذلك أبو المعتصم الّذي يعدّ من أقدم الكوادر العسكريّة الّتي التحقت بحركة فتح، وأبو خالد العملة، وأبو فؤاد، وأبو موسى، وأبو الحكم الرّوسان، ومحمود الرّوسان وأبو خالد ياسين (ياسين سعادة)، وأبو هاجم، وأبو الزّعيم. وفي لبنان بدأت مرحلة تاريخيّة جديدة لحركة فتح ولكلّ الفلسطينيّين، وانطلقت قضيّة فلسطين من لبنان إلى كلّ العالم.

قوّات فتح الأولى في لبنان

توسّعت أنوية فتح في لبنان، والتحق العديد من أبناء المخيّمات الفلسطينيّة بمعسكرات التّدريب السّرّيّة الّتي أقامتها قيادة فتح في لبنان.

ففي أوائل عام ١٩٦٨ تكون في لبنان القطاع (٤٠٢)، وفي هذا الوقت تقدّمت المجموعات التّابعة لفتح في الجولان نحو لبنان، وبالذّات نحو منطقة العرقوب في المنطقة الغربيّة لجبل الشّيخ وشكّلوا القطاع (٥٦)، وبلغ عدد المقاتلين آنذاك حوالي ١٨٠ مقاتلاً، وأصبح عددهم في العام ١٩٦٩ حوالي ٥٠٠ عنصر. ونقلت فتح حوالي ١٥٠ عنصراً نحو الشّرق وإلى منطقة بنت جبيل في الوسط، وكان الهدف الوصول إلى رأس الناقورة على البحر الأبيض المتوسط وهي منطقة مرتفعة تشرف بشكل كامل على السّاحل الفلسطينيّ.

وعلى إثر توقيع (اتّفاقيّة القاهرة) في تشرين الثّاني ١٩٦٩، وتولّي م.ت.ف الإشراف على المخيّمات الفلسطينيّة استقطبت حركة فتح عدداً كبيراً من العناصر الموجودة في المخيّمات، وأقامت عدّة قواعد عسكريّة قتاليّة في منطقة بنت جبيل عام ١٩٧٠، واستقدمت تعزيزات من قطاع الجولان (٥٥) ودمجته مع القطاع (٥٦) في حزيران عام ١٩٧٠، وشكّلت بذلك قطاعاً جديداً سمته قطاع نسور العرقوب، وبلغ تعداد عناصره (٥٠٠) عنصر بقيادة نعيم، واستحدثت قوّة جديدة من القوّات الموجودة في بنت جبيل وقانا ضمّت حوالي ٣٢٠ عنصراً بقيادة جواد أبو الشّعر.

وفي نفس الوقت تمّ إنشاء جهاز استخبارات واستطلاع في مخيم الرّشيديّة جنوب صور، وكذلك قاعدة جديدة للبحريّة الّتي تدرّبت قيادتها في الكليّة البحريّة المصريّة في الإسكندريّة، وبلغ تعدادها ١٥٠ رجلاً.

وبعد الخروج من الأردنّ وتأسيس قوّات فتح في لبنان من العناصر الّتي التحقت بفتح من مخيّمات لبنان ومن العناصر الّتي تركت الأردنّ، بما في ذلك الجنود الّذين التحقوا بفتح من الّذين كانوا جنوداً في الجيش الأردنيّ، ومن ساهموا بشكل كبير في تنظيم وتدريب العناصر الجديدة، وكلّها كوّنت قوّات العاصفة، والّتي تشكّلت من خمسة ألوية، تشمل ٢٦ كتيبة.

وبالطّبع هنا تسمية اللواء أو الكتيبة لا تخضع لمعايير ومفاهيم الجيوش المعروفة، لا عدداً ولا عده، وفي بعض الأحيان يكون تعداد الكتيبة كتعداد سريّة في الجيوش الأخرى، كما أن اللواء أصبح ٣-٤ كتائب يقوده مقدّم أو عقيد، أمّا القوّات الأساسيّة لفتح فهي:

أوّلاً: قوّات اليرموك:

تشكلت هذه القوّة من العسكريين الّذين تركوا الجيش الأردنيّ في أيلول ١٩٧٠ والتحقوا بحركة فتح، وكانت بداية تمركزها في سوريا. بلغ تعدادهم (٣٥٠٠) جنديّ في تموز ١٩٧١، و في نهاية عام ١٩٧١، بلغ تعدادهم (٥٠٠٠) جنديّ، لكنّ العدد تناقص إلى ٤٠٠٠ جنديّ، لأنّ بعضهم التحق بالتّنظيمات الأخرى، كما أنّ عدداً كبيراً منهم بلغ تقريباً إلى النصف عاد إلى الأردنّ بعد إعلان الملك حسين العفو عمّن يعود إلى الأردنّ، وبقي فقط ١٦٠ جنديّاً من أصل خمسة آلالف، وجدوا في القطاع الشّرقيّ من جنوب لبنان في البقاع (من الخيّام حتّى راشيا الوادي)،

وقـاد هـذه القـوّات العقيـد الرّكـن سـعد صايـل (أبـو الوليـد)، وكان نائبـه محمود دعّاس (أبـو خـالد)، وضـمّ اللواء ثـلاث كتائب:

١. **الكتيبة الأولى**: بقيادة موسى مراغة (أبو موسى).

٢. **الكتيبة الثّانية**: بقيادة محمّد جهاد العموريّ.

٣. **الكتيبة الثّالثة**: بقيادة حسن سنار.

ثانياً: قوّات الكرامة:

تـولّى قيـادة لـواء الكرامـة الّذي بلـغ تعـداده (٢٠٠٠) فـدائيّ محمّـد مصطـفى البـدر (أبـو مجـدي) وقـد ضـمّ اللـواء الكتائـب الآتيـة:

١. **كتيبة نسور العرقوب**: وقائدها نعيم.

٢. **كتيبة الجليل**: بقيادة الحاجّ حسن سعادة.

٣. **الكتيبة المحمولة**: وقائدها كان الرّائد أحمد الرّيّان.

٤. **كتيبة شهداء أيلول الّتي انفصلت عن قوّات القسطل**: وقائدها كمال الشّيخ.

٥. **كتيبة الكرمل**: بقيادة محمّد أبو خليل/ عبود- أبو إبراهيم.

ثالثاً: قوّات القسطل:

وتعدادها حوالي (٧٠٠) فدائيّ، وقد تولى قيادتها عطاالله عطاالله، وتناوبت عدّة أسماء على قيادة هذا اللواء، وتكوّنت هذه القوّات من الكتائب الآتية:

- **كتيبة بيت المقدس**: قادها رياض عوّاد.
- **كتيبة شهداء أيلول**: قادها كمال الشّيخ.
- **كتيبة القطاع الأوسط**: قادها اللبنانيّ علي مروة، ثمّ بلال.
- **كتيبة الجرمق**: وهي كتيبة الطّلّاب الّتي اشتهرت في معركة قلعة الشّقيف، وكان قائدها معين الطّاهر.

كما تمّ إلحاق قوّات التّحرير الشّعبيّة من قوّات جيش التّحرير الفلسطينيّ الّتي شاركت في معركة الكرامة في الأردنّ عام ١٩٦٨ وكان قائدها عبدالله صيام.

أمّا القوّات الأخرى فسنأتي على ذكرها لاحقاً، وقد تأسّست بعد العام ١٩٧٥.

التّمرّد والانشقاق في حركة « فتح »

عندما نتحدّث عن حالات التّمرّد في صفوف «فتح» وحالات الانشقاق، فإنّنا لابد أن نذكر أن «فتح» وجدت الدّول العربيّة متناقضةً في المصالح والولاءات، كما أنّه كان هناك الطمع والطموح الخاطئ والأنانية عند بعض عناصر «فتح».

لقد شكّلت القضيّة الفلسطينيّة بعد انطلاقة «فتح»، وتأثير عمليّاتها العسكريّة على الجماهير العربيّة بعد الهزيمة الكبرى في حرب الستة أيام، والانتصار الأوّل لحركة فتح والجيش العربيّ الأردنيّ في معركة الكرامة شكّلت حالة استقطاب ورغبة لدى الأنظمة في الاستحواذ على حركة «فتح» والمقاومة بشكل عامّ، حيث وضعت كلّ دولة عربيّة تنظيما لها كما كان حال الحكومة العراقيّة (البعث العراقي) عندما أوجدت جبهة التّحرير العربيّة وأوعزت إليها التّواجد على السّاحة الأردنيّة. وهكذا عملت سوريا (البعث السّوريّ)، حيث صنعت الصّاعقة ووجّهتها إلى الأردن أيضا. وحاولت كلّ من العراق وسوريا التّدخّل بين الفصائل الفلسطينيّة الأخرى، وإحداث انشقاقات داخل حركة «فتح»، واستقطاب بعض العناصر لها. كما أنّ الرّئيس الليبيّ أراد أنّ يجد له موضع قدم في الثّورة الفلسطينيّة بعد وصوله إلى سدّة الحكم عام ١٩٦٩، حيث استعمل أسلوب التّرغيب والتّرهيب في التّعامل مع حركة «فتح»، وعندما لم يثمر هذا الأسلوب بدأ بالتحريض، ودعم الانشقاقات، ومنها دعم منظمة الألويّة الثّوريّة العربيّة الّتي قادها أحمد عبد الغفور (أبو محمود) بعد انشقاقها

عـن حركـة «فتـح» بأوامر ليبيـة التحق أحمد عبـد الغفور بالمنسّـق الإرهـابيّ الآخر صـبري البنـا عام ١٩٧٣.

إنّنـا هنـا لا يمكـن أنّ نتجاهـل التّمـرّد الأوّل الّذي بدأ في الكويـت، والّذي أخـذ في ظاهـره الحـرص على القضيّـة الفلسـطينيّة وعـدم انحـراف حركـة فتح عن برامجهـا، حيـث يمكن تلخيـص هـذا الموقف على النّحـو الآتي:

وقـع خـلاف أثنـاء الاجتمـاعات السّياسـيّة الّـتي كانـت تعقـد في الكويـت، والّـتي تحـدّث في إحداهـا فـاروق القـدومي الّذي نـادى بتجزئـة النّضـال لمراحـل: أوّلهـا القبـول بالضّفّـة الغربيّـة وقطـاع غـزّة لإقامـة الدّولـة الفلسـطينيّة عليهـا، ثّـم المطالبـة ببقية فلسـطين... الأمـر الّذي أثار جدلاً واسـعاً عـزّزه وائل السّـعديّ الّذي كان عضـواً في لجنـة إقليـم الكويـت الّتي كان يترأسـها خالد الحسـن. وفي هذا الإجمـاع الّذي خصّـص للبحـث في طـرح فـاروق القدوميّ قـال وائل السّـعديّ: إنّه سـمع كلامـاً مشـابهاً لمـا يقوله فـاروق القـدومي من عصـام السّرطـاويّ، وقـال: إنّ هنـاك قـراراً لدى بعـض أعضـاء القيـادة ينـادي بذلـك بشـكل سريّ، وهـذا يعـدّ خيانـة واضحة.

لقـد حـضر هـذا الاجتمـاع إضافـة لخـالد الحسـن فتـحي عرفـات، ووائـل السـعدي، وتحسـين البورنـو، ومـوسى قتيبـة، حيث أجمـع المجتمعـون على أنّ هذا الانحـراف سـيؤدي إلى اتّخـاذ قـرارات سريعـة للـردّ عليه، ومـن هذه القـرارات:

- **حجب الأموال عن القيادة الّتي يرأسها عرفات وأبو جهاد.**
- **إرسـال الأمـوال إلى محمـود مسـودة العضـو الجديـد في اللجنـة المركزيّـة الّـتي شـكّلت عام ١٩٦٦.**

إنّنا هنا وفي هذا المقام لا بدّ من الإشارة إلى أنّ خالد الحسن قد تحفّظ على القرارين. ولتهدئة الوضع حضر كلّ من (أبو عمار) و (أبو إياد) إلى الكويت، واستطاعا تأجيل البحث في هذه القرارات والموضوعات حتّى المؤتمر الثّاني الّذي عقد في الزّبداني عام ١٩٦٨.

لقد اتّضح أثناء الاجتماعات أنّ أحمد جبريل ويوسف عرابي قد لعبا دورا تحريضيّا داخل اللجنة المركزيّة لحركة فتح ضدّ ياسر عرفات، حيث طالبت اللجنة بإقصاء ياسر عرفات وتعيين يوسف عرابي بدلا منه، كما تحرّك عبدالله الدّنّان وعادل عبد الكريم إلى دمشق، وأبلغا القيادة السّوريّة أنّ اللجنة المركزيّة في الكويت قامت بعزل ياسر عرفات وتعيين يوسف عرابي بدلاً منه.

إنّني الآن استرجع الموقف الّذي أدّى إلى قتل يوسف عرابي عندما تعارك معه محمّد حشمة الّذي كان يدافع عن قيادة عرفات -ومنها يوسف عرابي- بحضور زكريا عبد الرّحيم... وهو في وضع الجريح العائد من عمليّة عسكريّة داخل الوطن المحتلّ.

لقد تداولت مجموعة سوريا (البعث السوري) قراراتها دون اطّلاع ياسر عرفات وخليل الوزير على فحواها، وكان لعادل عبد الكريم وعبدالله الدّنّان دور في الضّغط لاستصدار هذا القرار الّذي اطلع عليه كلّ من يوسف برجي ومختار البعباع و يوسف عرابي.

لقد أوردنا أنّ يوسف عرابي كان قدّ قتل أثناء دخول عبدالمجيد زغموط إلى الغرفة الّتي كان يتجادل فيها يوسف عرابي ومحمّد حشمة، حيث قتل يوسف عرابي بعد قتله محمّد حشمة.

في هـذه الأثنـاء كان كلّ مـن يـاسر عرفـات وخليل الوزيـر يبحثان مـع قيادة المخابـرات السّـوريّة مسـلك يوسـف عـرابي عندمـا وصل خـبر مقتلـه... وعلى إثر ذلـك اعتقلت السّـلطات السّـوريّة الأخـوة الّذيـن ذكرناهم.

وهنـا لا بـدّ مـن الإشـارة إلى أنّ يـاسر عرفـات كان قـد أعلـن إضرابـه عن الطعـام في ذلـك الوقـت لمـدة تزيـد عـن عشريـن يومـاً، حيـث فقـد فيهـا الوعي عـدّة مرات.

وفي هـذا الوقـت -كمـا اشرنـا- قـام كلّ من صلاح خلـف وفـاروق القدومي ومحمّـد يوسـف النّجّـار بمقابلة حافظ الأسـد. ورغـم جلافته المعروفة فقد اسـتمع إلى وفد الوسـاطة، وأقتنـع برأيهم.

وبعـد ثلاثة أشـهر مـن وجودهـم في السـجن أفرجـت السّـلطات السّـوريّة عـن يـاسر عرفـات، وأبـو صـبري، ومختـار البعبـاع، وبـقي في السـجن زكريـا عبـد الرّحيـم وعبـد المجيـد زغمـوط وعبـد الكريـم العكلـوك، لكـن المحكمـة العسـكريّة أصـدرت بتاريـخ ١٩٦٦/٢/٩ حكمهـا بـبراءة زكريا عبـد الرّحيم وعبد الكريـم العكلوك لعـدم ثبوت الأدلّـة والقرائن، وحكمت على عبـد المجيد زغموط بالإعـدام، وبـقي في السّـجن ٣٣ سـنه، وتـوفي وهو في سـجنه.

تّمرّد أبو يوسف الكايد عام ١٩٧٢

يختلف عصيان (أبو يوسف الكايد) مصطفى يوسف الكايد جباره عن أشكال التّمرّد والانشقاقات الأخرى، لأنّ الرّجل له تاريخ مشرّف، فهو مقاتل وفدائيّ يشهد له. فقد نفّذ العديد من العمليّات العسكريّة داخل الوطن المحتلّ انطلاقاً من مدينة قلقيلية المحاذية لفلسطين المحتلّة عام ١٩٤٨. كما يشهد له بالجرأة أيضا، فقد نقل سيّارة أسلحة إلى الجنوب اللبنانيّ بداية عام ١٩٦٨، وكان صديقاً حميماً لأبي علي إياد الّذي وبأمر منه شكّل قطاعاً عسكرياً بحريّاً في قرية الصّرفند، حيث قام من هذا الموقع بعدّة عمليّات ناجحة ضدّ العدوّ، وحاز أيضا على محبة سكان المنطقة وتعاطفهم وتعاونهم.

ونتيجة لهذا الواقع، وخوفا من تمدّد ظاهرة (أبو يوسف الكايد) على المناطق الجنوبيّة قام العدوّ باجتياح منطقة الصّرفند، حيث وقعت معركة من أهمّ معارك الجنوب اللبنانيّ آنذاك، فقدّ تكبّد العدوّ فيها أكثر من خمسين قتيلاً وجريحاً، وأستشهد ثلاثة مقاتيلين، وجرح آخرون كان من بينهم أبو يوسف الكايد.

ورغم الاشتباك الدّائم مع العدوّ في الجنوب اللبنانيّ إلّا أنّ توتّرا ظهر داخل فتح عندما أراد أبو يوسفا الاستقلال بوحدته رقم (٣٠٢) عن الكايد الزّعيم، والبقاء تحت مرجعيّة القيادة العامّة لقوّات العاصفة مباشرة كما كان الأمر أيام (أبو علي إياد).

توجّه أبو عمار إلى بلدة «بكة» الّتي تقع في سفح جبل الشّيخ من الجهة اللبنانيّة الّتي تتمركز فيها بعض كتائب قوّات اليرموك، حيث وجد (أبو خالد العملة) و(أبو موسى) و(أبو عيسى) في تلك الكتائب، والتحق ب (أبو عمّار)

أبـو جهـاد، وأبو المعتصـم، وأبو صالح وأبـو الزّعيم الّذي كان قائداً لقوات القسـطل، وسـعيد مراغه /أبـو موسى.

ورغم كلّ الواسطات والاتّصالات اللآسلكيّة فإنّ تّمرّد أبو يوسف لم يقف، فأصدر أبو عمّار قراراً يقضي بحلّ حالة التّمرّد بكلّ الوسائل الممكنة، وأمر قوّات العاصفة التّعامل مع تمرّد أبي يوسف فقط، واستثنى قوّات أبي الزّعيم أي قوّات القسطل وحدها.

قدّرت القيادة العسكريّة الحاجة إلى ٣٠٠ مقاتل لتنفيذ هذه المهمّة، وشاركت في هذه المهمّة الكتيبة الأوّلى لقوّات اليرموك بمائة مقاتل، وكتيبة شهداء أيلول بمائة مقاتل، وجمع من قطاعات أخرى مائة مقاتل، وحوصرت الوحدة ٣٠٢، وأسقط في يد القوّة المحاصرة ، وكاد الأمر أنّ ينتهي بسلام، لكن المفاجأة كانت أنّ (أبو جهاد) و (أبو اللطف) قاما بالنّزول إلى مقرّ الوحدة المتّمرّدة في خربة روحة بتاريخ ١٩٧٢/١٠/١٥، رغم تحذير (أبو يوسف الكايد) بعدم حضور أيّ من أعضاء القيادة، حيث كان الأخوان يتوقعان فرض شكّل من أشكال العقلانيّة، واستنهاض ما لديه من أخلاقيّات الحركة لحلّ هذه المشكلة، لكنّ أبا يوسف الكايد قام باعتقالهما أو حجزهما.

ولحلّ هذا الوضع الجديد فقد حضر إلى خربة روحة قادماً من بيروت السّفير الجزائريّ الّذي كان صديقاً لـ (أبو جهاد) منذ العام ١٩٦٤، حيث قدّم اقتراحا للقيادة و لأبي يوسف الكايد يقضي بإنهاء تمرّد (أبو يوسف) على أن لا تتمّ ملاحقته، وأنّ ينتقل إلى الجزائر مع بعض مساعديه.

وفي ١٩٧٢/١٠/٣٠ أصدرت اللجنة المركزية قراراً بفصل (أبو يوسف الكايد) من حركة فتح.

صُـوَر

الرئيس القائد أبو عمار والشهيد القائد أبوجهاد في عدن -اليمن

الرئيس القائد أبو عمار والشهيد القائد أبو اياد

أبو علاء مع الرئيس أبوعمار في رام الله

أبو علاء و الشهيد القائد أبوجهاد يلقي محاضرة لعمال "صامد" في بيروت

أبو علاء و الشهيد القائد أبو إياد

أبو علاء والقائد أبو اللطف

أبو علاء و الشهيد القائد أبو الهول

أبو علاء والشهيد علي حسن سلامة في معرض صامد / بيروت

أبو عمار والشهيد القائد ماجد ابوشرار

أبو علاء و الرئيس أبوعمار وعلي حسن سلامة في معرض صامد / بيروت

القائد أبوعمار وأبوعلاء والشهيد فيصل الحسيني والشهيد هاني الحسن

أبو علاء والقادة أبوعمار وأبوجهاد واسماعيل شموط و عصام قريع ومنى قريع
في معرض "صامد" في بيروت

القادة أبو عمار وأبوجهاد وأبو اياد وأبو الوليد في حفل تخريج لعمال مؤسسة صامد – لبنان

القادة أبو جهاد وخالد الحسن " أبو السعيد" وفاروق القدومي "أبو اللطف"

أبوعلاء والشاعر محمود درويش وأبوشامخ و أحمد الأزهري

الرئيس أبوعمار والرئيس جمال عبد الناصر في الاسكندرية، بحضور كل من فاروق القدومي"ابو اللطف"، وخالد الحسن " ابو السعيد" ، وهايل عبد الحميد "أبو الهول"

الرئيس أبوعمار والرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين والملك فيصل والرئيس جعفر النميري- في مؤتمر القمة العربي - بعد أحداث أيلول في الأردن ١٩٧٠

الرئيس الأوغندي عيدي أمين وأبوعلاء والدكتور فتحي عرفات والدكتور ابراهيم صهيون في زيارة الى أوغندا

أبوعلاء و الرئيس الكوبي فيدل كاسترو في مهرجان الشبيبة العالمي في هافانا-كوبا

الرئيس أبوعمار والرئيس الروماني "تشاوشيسكو" وأبو علاء وجويد الغصين في زيارة الى بوخارست - رومانيا

القادة الشهداء " أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح"

الشهيد كمال عدوان

الشهيد محمد يوسف النجار

الشهيد عبد الفتاح الحمود

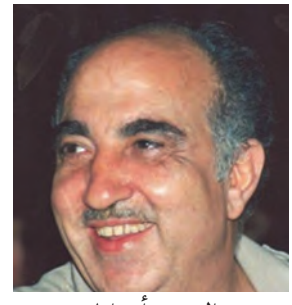
الشهيد أبو إياد

الشهيد أبو جهاد

الشهيد ممدوح صيدم

الشهيد خالد الحسن

الشهيد أبو الهول

الشهيد أبوعلي اياد

الشهيد صبحي أبوكرش

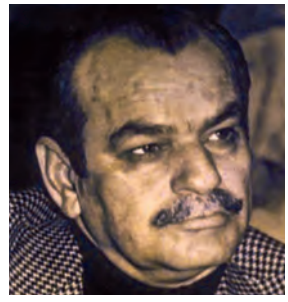
الشهيد سعد صايل

الشهيد ماجد أبوشرار

أحمد قريع (أبو علاء) ١٩٣٦م - ٢٠٢٣م

- من مواليد أبوديس / القدس.
- شخصية بارزة في العمل السياسي الفلسطيني، تفرغ تماماً لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) عام ١٩٦٨، بعد أربعة عشر عاماً قضاها في العمل المصرفي في المملكة العربية السعودية.
- أسس مؤسسة صامد (معامل أبناء شهداء فلسطين) في بيروت في أوائل السبعينيات وشغل منصب مديرها العام حتى توقفها عن العمل نهائياً في (٢٠٠٧/٢٠٠٨).
- تولّى منصب مدير عام دائرة الشؤون الاقتصادية والتخطيط في منظمة التحرير الفلسطينية، حيث عمل من خلال هذه الدائرة على دعم وإنشاء العديد من المشاريع والمؤسسات الفلسطينية في الوطن مثل: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، مجلس الإسكان الفلسطيني، ومؤسسات الإقراض وغيرها.
- شغل منصب محافظ فلسطين لدى البنك الإسلامي للتنمية منذ ١٩٨٧حتى عام ١٩٩٦.
- عضوٌ في المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وعضوٌ في المجلس الوطني الفلسطيني.
- أُنتخب عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح في آب/ أغسطس عام ١٩٨٩.
- أشرف على إعداد البرنامج العام لإنماء الإقتصاد الوطني الفلسطيني للسنوات ١٩٩٤- ٢٠٠٠.
- شغل منصب المدير العام للمجلس الإقتصادي الفلسطيني للتنمية والإعمار(بكدار).
- عُيّن وزيراً للإقتصاد والتجارة ووزيراً للصناعة في أول حكومة فلسطينية في الفترة (١٩٩٤-١٩٩٦).
- أُنتخب عضوًا في المجلس التشريعي الفلسطيني بعد الإنتخابات العامة الفلسطينية عام ١٩٩٦ عن دائرة محافظة القدس ممثلًا عن حركة فتح، وأُنتخب رئيساً للمجلس التشريعي الفلسطيني عام ١٩٩٦ وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ٢٠٠٣.
- تولى منصب رئيس مجلس الوزراء الفلسطيني منذ أكتوبر ٢٠٠٣ وحتى آذار ٢٠٠٦، ترأس خلالها ثلاث حكومات فلسطينية (الحكومة السابعة والحكومة الثامنة والحكومة التاسعة).
- تولى مهمة المفوض العام لمفوضية التعبئة والتنظيم في حركة فتح حتى نهاية عام ٢٠٠٩.
- أُنتخب عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وعين رئيساً لدائرة شؤون القدس في منظمة التحرير الفلسطينية في شهر تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠٩.
- أُنتخب أمين سر المجلس الاستشاري لحركة التحرير الوطني الفلسطيني عام ٢٠١١.
- ترأس مجلس أمناء جامعة القدس ورئيس مجلس إدارة معهد القدس للدراسات والأبحاث حتى وفاته عام ٢٠٢٣.
- لعب دوراً أساسياً في عملية السلام في الشرق الأوسط حيث شغل منصب المنسق العام للوفود الفلسطينية للمفاوضات المتعددة الأطراف، وترأس الوفد الفلسطيني خلال المباحثات الفلسطينية الإسرائيلية في أوسلو/ النرويج، التي انتهت باتفاق إعلان المبادئ الذي وقّعه بالأحرف الأولى عن الجانب الفلسطيني في العشرين من آب/ أغسطس عام ١٩٩٣. وترأس الفريق الفلسطيني في المفاوضات التي أدت إلى التوقيع على اتفاقية المرحلة الانتقالية الثانية) عام ١٩٩٥، كما ترأس الجانب الفلسطيني في لجنة التوجيه لتنفيذ هذه الاتفاقية. ترأس الوفد الفلسطيني في مباحثات الوضع النهائي مع الإسرائيليين خلال مفاوضات ستوكهولم وشارك في مفاوضات كامب ديفيد عام ٢٠٠٠. وترأس فريق المفاوضات الفلسطيني في المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية في طابا عام ٢٠٠١، كما ترأس فريق المفاوضات الفلسطيني إلى مفاوضات الوضع النهائي التي انطلقت بعد مؤتمر أنابوليس للسلام في الشرق الأوسط عام ٢٠٠٧.

على دروب الفتح (٢)

أصل الحكاية

واحسب ان مضمون هذا الجزء، او قل هذا الكتاب، أكثر أهمية من الجزء الأول، كونه يقترب أكثر فأكثر من صلب الرواية الفتحاوية التي لم تكتمل بعد، وينطوي في الوقت ذاته على حيثيات ووقائع وحقائق ومرويات ومعلومات غير متداولة على نطاق واسع، الامر الذي سيجعل المتلقي اشد التفاتاً الى محتويات هذا الإصدار مما كان عليه الحال في الجزء السابق، لا سيما واننا نتحدث عن «أصل الحكاية» التي كبرت ونمت عظامها بسرعة قياسية، واكتست لحماً وشحماً بصورة صحية، وغيرت مسار شعب القضية الفلسطينية، من قضية لاجئين إنسانية تحظى بالقليل من العطف والإحسان، الى قضية وطنية ذات اهداف عظمى وتطلعات سياسية كبيرة، في مقدمتها هدف الحرية والاستقلال.

ISBN 978-9950-364-36-3

9 789950 364363

جامعة القدس
معهد القدس للدراسات والأبحاث